المقـــدمـــة :

جـاءت فكرة هذا الكتـاب من خبـر نشـر في اوائل عـام ١٩٨٩م عن بناء ثاني اكبر كنيسة في العالم في سـاحل العـاج بغربي افريقيـا . ولما كـانت هذه المنطقة من اعرق مواطن الاسـلام هالنا الخبر وقمنا باعداد مـلف صحفي نوضح فيـه مدى خطورة انشـاء كنيـسـة بهـذا الحجم في تلك المنطقـة تواكب نشـره في جـريدة (اليوم السعودية) مع إفتتاح الكنيسة في مطلع العام التالي ، واتضح انها ليست كنيسة فقط بل مجمعا ضخما لخدمة التنصـير يشتمل على مراكز للاذاعـة والنشـر وتدريب المنصـرين .

ومن خـلال بحثنا في كتب التـاريخ القـديم والحديث على حـد سـواء وجدنا انفسـنا نتصفح سـجل حضـارة الاسـلام المشـرقة في افريقـيا . وادركنا بمزيد من الاسـف مدى تقصـيرنا نحن مسـلمي اليوم في معـرفة ذلك التـاريخ المجيـد . وادركنا ايضـا بمزيد من الاسـى مدى نجاح الدوائر المعـادية للإسـلام في تشـويه التـاريخ الاسـلامي . في محـاولة لقطـع الصـلة بين المسـلمين المعـاصـرين وبين مـاضـيـهم العـريق . إذ عـمـدوا إلى إزالـة ذلك التـاريخ الاسـلامي من المناهج التـاريخـيـة التي تدرس لابناء المسلمين في المدارس والجامعـات . واحلوا محـله تاريخـا مزوراً يقـوم على قلب الحقـائق . زاعـمين ان تاريخ افـريقـيـا بـدأ ببـداية الكشـوفات الاوربية والاستعمار الاوربي .

ومع تواصل البحث وجدنا ان بناء ثاني اكبر كنيسة مسيحية في العالم بسـاحل العـاج . هو جـزء من الخطـة المدروسـة والحـرب الضـروس التي تشنهـا الدوائر التنصيرية العالمية على الاسـلام والمسلمين . ليس في هـذه القاره وحدها بل في العالم اجمع . وهي حرب مستعره منذ عـدة قرون ولا تزال . وتقـودها الحكومات والمؤسـسـات الرسـميـة والكنائس . من اوربا وامـريكا ومن خـارجهـا منذ ان بدأ عـصر الإنحـسـار الإسلامي الذي نتج عن عدم التزام المسلمين بدينهم الحنيف .

وعدم تحكيم شرع الله في كل شئون حياتهم .. وركونهم إلى حياة الترف والدعه وعزوفهم عن خوض ميادين الجهاد وحب الدنيا وكراهية الموت . وهكذا اجبروا على الخروج من الاندلس عام ١٤٩٢م .

وليس معنى ذلك ان الحرب ضد الاسلام قد بدأت في هذا التاريخ . فالكيد للاسلام قديم .. قديم بدأ حتى قبل بعثه خاتم الانبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم . ولكن اختيارنا لهذا التاريخ في اواخر القرن الخامس عشر الميلادي يرجع الى انه يمثل بداية الانحسار الاسلامي بشكل عام .

وامام هذه الحرب المخططه والمدروسه التي يشنها اعداء الاسلام وجدنا انه لا يكفي ملف صحفي واحد . فشرعنا في إعداد تلك الدراسة الموسعة لعلها تساهم في إبراز الجوانب المشرقه للمسلمين في افريقيا . وجاء هذا الكتاب ليكون في اطار عدد من المحاولات الجاده التي يبذلها بعض ابناء امة الاسلام . لبعث تراث نحن احوج ما نكون للاقتداء به . وإقتحام مجال كاد أن يستحوذ عليه اعداء الاسلام بدراساتهم التي تهدف في المقام الاول لتحقيق امانيهم بطي سجل تاريخ الاسلام وثقافته في افريقيا . واسدال الاستار والحجب الكثيفة عليه . وقطع كل صلة لحاضرها بماضيها تقويضا لحركة الاسلام فيها . وتضليلا للمسلمين لصرفهم عن دينهم وتاريخهم وحضارتهم التي ترتبط جذورا وفروعا بالإسلام .

ونأمل ان تساهم هذه الدراسة المتواضعة في الجهود المبذولة لكشف الافتراءات التي احتوتها المؤلفات الغربية الاستعمارية والتنصيرية . التي تقرر أن افريقيا لم تكن على وجه البسيطة الا يوم أن دبت عليها اقدام الاوربيين . وان تاريخها هو تاريخهم فيها وحضارتها من غرس ايديهم ، فهي القارة التي كانت مظلمة قبل أن يدخلوها ..

ونأمل ان نكون بهذه الدراسة قد نبهنا إلى بعض الجوانب الغامضة في الحرب التنصيرية التي تدار حاليا في عقر ديار المسلمين . وفي تلك المنطقة التي

قامت فيها امبراطوريات الاسلام العريقة في افريقيا جنوبي الصحراء الكبرى . وعلى سواحلها الشرقية ليتجه شمالاً مهاجما البنى الاسلامية للمجتمعات المسلمة في المنطقة المعروفة جغرافيا بحزام السافنا من الصومال شرقاً وحتى السنغال غرباً .

حرب مدروسة ومخطط لها سلفا . يتولى اعدادها ومتابعة تنفيذها المئات من مراكز الابحاث والدراسات والمعاهد والجامعات حيث تنتشر في العالم اكثر من (١٥٠٠٠) كلية ومعهد وجامعة تحت تصرف المنصرين من الكاثوليك وحدهم . إضافة إلى (٢٠٠) مركز ابحاث خاص للتنصير يشرف عليها بابا الفاتيكان بنفسه ، لكنه يعطي اهميه خاصة لافريقيا . وهذا يفسر زياراته المتكرره لتلك القارة وهنا يبرز التساؤل .. ولماذا التركيز على افريقيا ؟

الاجابة معروفه تماما لدى كل من الكنيسه والدوائر الصليبيه العالميه ، لكنها اما غائبه عن اذهان غالبية المسلمين او انهم يتجاهلونها ... فافريقيا كانت محطة انطلاق الاسلام الاولى خارج شبه الجزيرة العربية ، وفيها وجد المسلمون القبول والترحاب . وتمثل افريقيا رأس الرمح للمد الاسلامي في كل من الامريكيتين غربا واستراليا ونيوزيلندا جنوبا خاصة وان لافريقيا جسوراً عرقية وثقافيه ممتده في عمق الغرب المسيحي في نصف الكرة الارضيه الغربي . وبين شعوب جزر المحيطين الاطلسي الجنوبي والهادئ . ولهذا فإن اي تحول فيها سيكون له صداه هناك .

ولقد قسمنا هذا الكتاب الى فصول استعرضنا في الاولى منها الجذور التاريخيه للمواجهة بين الاسلام والمسيحية في افريقيا ، ثم تناولنا في الفصل الثاني عرضا مختصرا لتاريخ ابرز الامبراطوريات والدول الاسلاميه التي قامت وازدهرت بالاسلام في افريقيا . واسست حضارات اعترف بها المنصفون من اساطين المؤرخين من امثال الكاتب الفرنسي جويلي (Gouilly) الذي قال في كتابه الاسلام في افريقيا (ان الاسلام ظل وحده رائد التغيير والبناء في

افريقيا لاكثر من (١١) قرنا من الزمان .

ثم افردنا فصلا لعرض وثائق مؤتمر كلورادو ١٩٧٩م الذي يعتبر في رأينا اخطر مؤتمر لتنصير المسلمين . وننشر اول ترجمة عربية لبيان هذا المؤتمر الخطير . مع عرض تفصيلي للوثيقة الخاصة بتنصير افريقيا جنوب الصحراء . وفي فصلين متتاليين قدمنا عرضا بالوثائق لحرب التنصير في وادي النيل . في كل من مصر والسودان باعتبارهما بوابة المد الاسلامي المتدفق الى قلب افريقيا .

ويبقى التنويه بان هذا الكتاب كان من المفترض ان ينشر في اغسطس عام ١٩٩٠م ولكنه تعثر بسبب الدوامه التي دخلت فيها هذه المنطقة والمسلمون بسبب الغزو العراقي لدولة الكويت في الثاني من ذلك الشهر . ثم لا يسعنا وقد خرج هذا الكتاب الى النور إلا ان ننوه بجهود كل من ساعدنا وشجعنا على جمع مادته واخراجه . ونخص بالذكر الداعية الاسلامي الكبير الدكتور / زغلول النجار أستاذ علوم الارض بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن بالظهران والاستاذ / عبدالله عبد السيد مدير فرع منظمة الدعوة الاسلامية بالمنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية والعاملين في المكتبة العامة بمدينة الدمام السعودية والاستاذ / خليل الفزيع رئيس تحرير جريدة اليوم السابق والاستاذ / عتيق الخماس نائب رئيس التحرير اللذين شجعانا ورحبا بنشر محتويات هذه الدراسة في مرحلتها الاولى بالجريدة والاستاذ / حسين سلطان محمد المدرس بالمعهد العلمي بالدمام لتحمله مشقة المراجعة النحوية واللغوية .

المؤلفان ..

الدمام - رمضان ١٤١١هـ - مارس ١٩٩١م

الفصل الأول

نبــذة تاريخيــة

نبذة تاريخية

ظل الاسلام وحده سيد الحركة في افريقيا طوال احد عشر قرنا من الزمان ... فقد كانت افريقيا المحطة الثانية لا نطلاقة الاسلام بعد مكة المكرمة .. وأرخ المسلمون لا فريقيا وعرفوها وعرفوا بها قبل الغربيين بثمانية قرون على الاقل .

عرف الاسلام طريقه الى افريقيا قبل هجرة المصطفى (ص) الى المدينة المنورة ... وكانت ارتيريا على الساحل الشرقي لافريقيا المركز الثاني الذي انطلق منه الاسلام بعد مكة .. حيث هاجر اليها في رجب في العام الثامن قبل الهجرة عدد من اوائل الصحابه . كان في مقدمتهم عثمان بن عفان وزوجته رقيه بنت رسول الله (ص) وابوحذيفة بن عتبه بن ربيعة ومعه زوجته سهيلة بنت سهيل بن عمرو والزبير بن العوام ومصعب ابن عمير وعثمان بن مظعون وعبدالرحمن بن عوف وغيرهم ... ويبلغ عددهم العشرة ثم تبعهم جعفر بن ابي طالب وزوجته اسماء بنت عميش [١] رضى الله عنهم اجمعين .

واحسن النجاشي حاكم الحبشة استقبال هؤلاء الفارين بدينهم من اذى قريش . واسلم بعد ان سمع حديث المهاجرين على لسان جعفر بن ابي طالب . وخرج عليه بعض قومه (البطارقة) ولكنه تثبت وانتصر . وهاجرت بعد ذلك مجموعات اخرى من الصحابه حتى زاد عددهم على الثمانين . واستقر بعض هؤلاء هناك وتكونت عائلات منهم ولا تزال احفادهم موجوده حتى الان وتدعى هذا الاصل بكل فخر .. وعندما مات النجاشي صلى عليه رسول الله (ص) صلاة الغائب واستغفر له .

---

(١) محمود شاكر - ارتيريا والحبشة - مواطن الشعوب الاسلامية في افريقيا ، المكتب الاسلامي ص ١٤/١٥ .

ومما يدل على انها كانت بعثه لنشر الاسلام .. وليس للفرار من عذاب مشركي مكة ، كما يرى بعض رواة السيرة . ان هذه البعثه ضمت الكثير من اشراف قريش ومن اصحاب المنعه فيهم . وقد كانوا لا يتعرضون لاي اذى رغم اعلان اسلامهم [٢] .

ظل الاسلام وحده سيد العقائد في افريقيا طوال اكثر من احد عشر قرنا . وهي الفترة الزمنية التي سبقت الاستعمار الصليبي الاوربي . فقامت عشرات الممالك والدويلات ، وقد كان هناك تداخل في بعض الدول . وقد قامت اكثر من مملكة اسلاميه قويه في فترة زمنية واحده ، وقامت ممالك اسلاميه على انقاض ممالك اسلاميه اخرى . والذي لا نشك فيه هو أن هذه الدول شكلت الملامح الرئيسية المكونه لوجه الاسلام قبل قدوم الاستعمار الاوربي .

ومن اشهر هذه الممالك الاسلامية ممالك مالي وغانا وسنغاي والبرنو وكانو والهوسا والفولاني والفونج والفور وتقلي واليوروبا والبمبارا والتكرور والادارسه والعبيديون والسعديون والعلويون والموحدون والسنوسيون والمرابطون والمنهاجيون والمرينيين والاغالبه والمغرابيون والحفصيون ودولة حميد المرجى والدولة المهدية وغيرها .

والمجال هنا لا يتسع لعرض هذه الدول مجتمعه ولكننا سنتعرض لبعض الدول الاسلاميه التي قامت جنوب الصحراء في غرب ووسط وشرق افريقيا ... لانها هي المنطقة التي يركز عليها الاستعمار والمنصرون لتعميق الهوة بين شمال الصحراء الافريقية العربي المسلم وبين الدول الاسلاميه جنوب الصحراء . وايضا لان الاستعمار الصليبي والمنصرين نجحوا الى حد كبير في طمس معالم التاريخ الاسلامي لافريقيا جنوب الصحراء .

---

(٢) منير الغضبان – الجزء الثاني – عمان ١٩٨٥م ص ٦٦/٦٧ المنهاج الحركي للسيرة .

كما واكب طمس معالم التاريخ الاسلامي في القارة مخطط غرس واشادة بحضارة المستعمر . من تبشير بمللهم ونحلهم ، وفرض للغتهم ، وصبغ المجتمع بثقافتهم ، واعداد نخبة معينه في المجتمع بما يوائمهم . والسيطرة على ولائها الحضاري والثقافي . وتربية أفرادها على أعين المستعمر . ثم اعطائها مقاليد الأمور . مع اثارة بغيضة على الاسلام وانتصار للوثنيات ، واعلاء شأنها ، والمناداة بالردة اليها باسم القومية ، ويقول بريفيه في كتابه (الاسلام ضد الوثنية في السودان الفرنسي) ، انه من صالح فرنسا استغلال زعماء القبائل. الوثنية في تلك الارجاء لأن الاعتماد على الجماعات الاسلامية ينطوي على خطر أكيد للمستعمر [٣] .

ويفيد أيضا عرض التاريخ الاسلامي المشرق لبعض الدول الاسلاميه في القارة . والتي امتد بعضها شمالا وجنوبا في الرد على دعاوي أعداء الاسلام الزاعمه بالفصل بين شمال افريقيا المسلم وبين جنوبها ويسمونه افريقيا السوداء ، ففي العهد الاسلامي الذي ساد لاكثر من أحد عشر قرنا كان التواصل كاملا بين شمال القارة وجنوبها ، وبين غربها وشرقها ، بل أن التواصل كان بين القارة بأكملها والدول الاسلامية في الشام والعراق واواسط آسيا ، وشبه الجزيرة العربية .

فقد دخل الاسلام غرب افريقيا في القرن السابع الميلادي . . فسبق وصوله اول منصر الى هذه المنطقة باكثر من سته قرون . وقد كشفت الحفريات التي اجراها علماء الآثار الفرنسيون عام ١٩٥١م في موقع مدينة غانا على الحدود الجنوبية لدولة مالي الحاليه عن آثار عدد من المساجد والمنازل

---

(٣) مع حركة الاسلام في افريقيا – د . عبده . بدوي .
القاهرة ۱۹۷۰ ، الدعوة الاسلامية في غرب أفريقيا .
وقيام دولة الفولاني ، د . حسن عيسى عبدالظاهر – الرياض ۱۹۸۱م .

والواح الحـجـر الملون مكتـوب عليـهـا آيات قـرآنيـة بالخط العـربي [٣] .. هـذه الحفـريات دلت وفق شـهـادة علمـاء الآثـار الفـرنسيين على ان عـدد سـكان الجـزء الاسـلامي من مدينة غـانا كانوا حـوالي ٣٠ الف نسمه ، وهـو عدد ضخم جـدا بمقياس ذلك الزمـان .

ويورد احـد المؤرخين الاوربيين وهو (اي . دبيلو . يوفـيـل) في كـتـابه (قـوافل الصحراء القديمة - مدخل لتاريخ السودان الغربي) انه قبل قدوم العرب الى افريقيا لم يكن يعـرف الكثير عنها جنوبي بـلاد المغرب ، فنحن - الاوربيين - ندين بمعلومـاتنا عن التـاريخ المبكر لداخل القـارة لفـئـة قليلة من المؤلفين والرحـالة ومن اهـمـهـم المسـعـودي وابن حـوقل والبكري والادريسي وياقـوت والعمـري وابن بطـوطه وابن خلدون [٤] .

عندما كانت الممالك الاسلاميـة تزدهر وتتسـع منهمكة في نشـر الحضـارة والمعـرفه . وعـامـله على اعـادة صيـاغـة حيـاة الافريقيين في مختلف اوجهـها الإجتمـاعيـة والإقتـصـادية . وهديهم إلى الطريق القـويم ، فـتـعرفـهم بان الهـهم واحد . وانهم سـواسية مع غيـرهم لا يختلفون عنهم . وليسـوا اقل منهم - كان الاوربيون يقيـمـون - القـلاع والحصون التجارية على سـواحل افريقيـا الشـرقـيـة وينصبون الشراك للافريقيين لاصطيادهم وبيعهم .

لقد شهـدت افـريقـيـا اكبـر عـمليـة تهـجيـر قـسـري لابنائها تمتـهن كرامة الإنسـان في التـاريخ المكتـوب ، على ايدي الاوربيين . كـان (الهـدف منهـا تسخيرهم لخدمة مصـالح اوربا وتحقيق رفاهية مواطنيها على حساب الشعوب الافريقية ، وكانت اول شحنه من الافريقيين الذين سيقوا للاسـترقاق قد نقلت من سـاحل غـانا ووصـلت الى هاييتي عـام ١٥١٠م وإلى كـوبا ١٥٢١م كما

(٣) شـرقي الجمـل - تاريخ كشف افريقيا ص ١٩٨ .
(٤) شرقي الجمل مصـدر سـابق ص ١٩٨ .

بلغ عدد الافارقه الذين بيعوا عبيدا في سوق الرق في لشبونه (١٠٫٠٠٠) افريقي عام ١٥٣٩م [٥] .

بل يشهد التاريخ بان الملكة اليزبث الاولى (ملكة بريطانيا) في الفترة من ١٥٥٨م إلى ١٦٠٣م) .كانت تاجره رق محترفه . وكانت شريكه اكبر تاجر رقيق في عهدها ... واسمه جون هوبكنز . وكانت السفينه التي يحملون عليها المخطوفين للإسترقاق من افريقيا تسمى (المجد ليسوع) . وكان رجال الكنيسة يتحصلون اتاوة عن كل رأس .. مقابل ان يسمحوا بابحار السفينه . [٦] .

من الذي اكتشف مجاهل افريقيا ؟ :

حتى اواخر القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر الميلاديين لم يكن الاوربيون يعرفون عن افريقيا جنوب الصحراء شيئا يذكر . ولعل اشنع الاكاذيب التي سجلها التاريخ ، تلك التي كان يرويها اولئك الرحالة الاوربيون الذين توغلوا في افريقيا . فيما عرف بعصر الكشوف الجغرافية ويتضح مدى تزويرهم للتاريخ والحقائق اذا ماقارنا ماكتبوه مع ماسجله الرحالة العرب المسلمون في نفس الفتره .

لقد ادعوا كذبا انهم وجدوا افريقيا مجهولة معزولة وكتب التاريخ والمناهج المدرسية في مدارس المسلمين التي استقت معلوماتها من كتابات الغربيين . وكنا ندرسها في المدارس وما زال ابناؤنا يدرسونها تطفح بهذه الاخطاء الفاحشه .

وكذلك فان كتب الجغرافيا في الدول العربيه والاسلاميه ما زالت تزعم ان الاوربيين هم الذين اكتشفوا منابع النيل . ومجاهل افريقيا . ولم يتم حتى

---

(٥) شوقي الجمل / مصدر سابق ص ١٣٩ ـ ١٦٩ .

(٦) عبدالودود شلبي حقائق ووثائق ص ١٠٤ .

يومنا هذا تصحيح ذلك الخطأ التاريخي . وان كانت هناك محاولات متواضعه لم يعطها واضعوا المناهج المدرسيه اي اعتبار .

لم يقل لنا احد في المدرسة ونكاد نجزم بان مدرسي الجغرافيا يجهلون حتى الان ان الرحالة الاسكتلندي استانلي عندما وصل الى اعالي نهر الكنغو عام ١٨٧٧م وجد هناك دوله اقامها المسلمون العرب . مستقره ومزدهرة . رئيسها حميد بن محمد المرجبي بين بحيرة تنجانيقا والشلالات المعروفه حاليا بشلالات ستانلي (٦) . وقد اشتهر المرجبي في تاريخ الكنغو بـ (تيبوتيب) . وقد انشأ دولة عربية اسلاميه في هذه المنطقة عاصمتها كاسنجو . وظل يحكمها حتى عام ١٨٩٠م حيث خلفه ابنه سيفو الذي استبسل واستشهد في محاربة المستعمرين البلجيك . وبسقوط العاصمه كاسنجو في ١٨٩٣/٤/١٧م دمرت اخر دوله للمسلمين في وسط افريقيا .

وقد كتب الطبيب البريطاني (سدني لانغفورد هند) عضو الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية . والذي اشترك في الحملة ضد دولة حميد المرجبي عام ١٨٩٢م يؤكد في كتابه THE FALL OF THE CONGO ARAB ان هذه الدولة (بلغت درجة عالية من التقدم . وكانت بها مساجد ومدارس عربية يدرس فيها القرآن الكريم وعلوم الدين والحساب . وبها قصور مؤثثة بافخر الاثاث . وانها امتدت حتى نهر لومامي . وكانت ترتبط بطرق رئيسية وعدد آخر من الطرق الفرعية مع زنجبار على الساحل الشرقي لافريقيا (٧) .

وبناء على هذه الحقائق فان الثابت ان المسلمين هم الذين اكتشفوا مجاهل افريقيا . وليس الاوروبيين لكن من لنا بابلاغ ذلك لواضعي مناهجنا الدراسية

---

(٦) ساعد حميد المرجبي / هنري استانلي عام ١٨٧٦م ودله على مجاهل نهر الكنغو (زائير حاليا) .

(٧) شوقي الجمل مصدر سابق ص ٣٢٠ .

على امتداد العالم العربي والإسلامي . وللمؤلفين النقاله الذين لا يتحرون فيما ينقلون . لقد كتب جرينفل الوزير في اول وزارة وطنيه في الكنغو تشكلت بعد الإستقلال عن الاستعمار البلجيكي . كتب يقول [لقد زور البلجيكيون كل شئ في الكنغو فليست مدينة (ستانلي فيل) سوى مدينة تيبوتيب (حميد المرجبي) التي اقامها قبل قدوم الرحالة استانلي . لقد ترك لنا العرب لغة متولده من لغتهم ودينا وحضاره وسماحة تسوى بين كل الناس كما تركوا على ارضنا دماءهم ، والبلجيكيون يحصدونهم بالاسلحة الحديثة . ليس العرب كما قالوا لنا تجار رقيق ، وانما هم تلك الموجه الانسانية التي اختلطت بنا وصاهرتنا] (٨) .

ونحن لا نريد هنا ان ننفي اشتراك العرب في تجارة الرقيق بافريقيا . ولكن الذين وقعوا منهم في هذه الخطيئة كانوا ينفذون للاسف الشديد طلبات التجار الاوربيين الذين كانوا نادرا ما يظهرون في الصورة مباشرة ، ولهذا بقيت في ذاكرة الافريقي صورة تاجر الرقيق العربي . وهذا عين مايحدث اليوم فالغربيون هم الذين يبيدون الحياة البريه في افريقيا . ويتاجرون في سن الفيل لكن الافريقي الطيب هو الذي تصوره كاميرات التلفزيون الغربي وتنشر صوره الصحف متلبسا في الغابه بالجريمه .

لقد سجل المسلمون الاوائل قرونا ناصعه في تاريخ افريقيا القديم . فجاء نفر من احفادهم فلوثوا ذلك التاريخ باشتراكهم في تجارة الرقيق . التي مارسها الاوربيون على اوسع نطاق ممكن ثم نجحوا في الصاق التهمه بالعرب والمسلمين وسط الافارقه .

لم يقتصر وجود الامارات العربية المسلمة على « الساحل الشرقي الشمالي عند زنجبار ودار السلام كما هو معتقد . وإنما امتدت جنوبا الى

(٨) محمد عبدالعزيز اسحق / نهضة افريقيا ص ١٦٣ .

مـابعد نهر الزمبيزي ، فعندما جـاء البرتغاليون (طلائع الاستعمار الاوربي) الى شـرق افـريقـيـا كـانت لامـارة كلوة (جنوب مـدينة دار السـلام الحـاليـه) السـيـاده على الجزء الجنوبي من السـاحل الافـريقي ولما وصل فـاسكو دي جامـا الى مـوزمـبـيق وجـد حـاكم المدينة نائبـا عن سـلطان كلوة [٩] وقـد قـام العـرب المسلمـون مـدينة سـقـالة على مقـربة من موقع مـدينة بيـرا الحـاليـه في جنوب افـريقـيـا واثبـتت الحـفـريات الاثـرية التي اجـريت في هذه المنطقـة وجـود آثـار اسـلامية كثيرة بتلك المنطقة .

فـاسكو دي جامـا الذي اشـتـهـر بانه مكتـشف طريق رأس الرجـاء الصـالح (الدوران حـول افـريقـيـا) . وجـد عـندمـا نزل على السـاحل الافـريقي الشـرقي امـارات المسلمين منتشـره على امـتـداد السـاحل . وقـد كـتب في مذكـراته (انه اسـتـقـبل وبعـثـتـه في قـصـر مـفـروش بالسـجـاد ، وقـدمت له في مـالندي التي كانت تقع شـمـال مدينة ممبسـا الحـاليـة الهـدايا الثمينـه) [١٠] .

نعـود الى غـرب افـريقيا لنذكر بان حمـلات التنصـيـر لم تبدأ بكنيسة سـاحل العاج وزيارات البـابا . ولن تنتـهي بهـا . طالما ان المسلمين والعـقـيـده الاسـلامـيـة في هذه المنطقـة ترفض الاسـتـسـلام . وتـرد على اسـاليـبـهم الخـبـيـثـة والملتـويه بمزيـد من الإنتـشـار والصـمـود . وليس هناك دليـل اقـوى على ذلك من قـصـة القـس النيـجـيـري الذي تناقلت الصـحـافـة خبـره في مطلع عـام ١٩٨٨م عندمـا وقـف امـام جـمـع غـفـيـر من اتباعـه ليـشـعل النار في نـسخة من القـرآن الكريم فـاحترقت يده ونجا المصحف الشـريف . ولم يكن مـن القس الا ان اعلن اسـلامه جهـارا وتبعه كثيرون كانوا قد جاءوا ليحتفلوا بحـرق المصحـف .

مثل هذه الامثلة المشرقة يحاصرها المنصـرون ويمنعـون اطـلاع اتباعهم عليها

---

(٩) ابن بطوطه زار كـلوة وممبسـا ومقديشـو عام ١٣٣٣م (د/ شـوقي الجمل - مصـدر سـابق ص ٥٣) .

(١٠) د/ شـوقي الجمل مصدر سـابق / ص ١٧٥ .

حتى لا تؤثر فيهم . ذلك ان العقل عندما يدرك الحقيقة لا يستطيع الانحراف عنها .

ويستعملون في التنصير شتى الاساليب والضغوط . ويرفعون علنا شعار (اخلع عنك رداء الاسلام نرفع عنك وطأة الجوع والفقر) .. وفي السنغال توقع البعثات التنصيرية عقودا مسبقه مع الاسر لتقدم لها المساعدات العينيه كل شهر مقابل ان تعطيها الحق في اختيار طفل من اطفال الاسره تربيه على يديها [(١١)] .

وكان ليوبولد سيدار سنغور الرئيس السنغالي السابق . والشاعر الافريقي المشهور ابنا لابوين مسلمين . حمله المنصرون الى فرنسا وربوه على ايديهم . ثم اعادوه راهبا ليحكم شعبا مسلما . ويعمل على نشر المسيحية ومركز داكار للتنصير يخرج الاف الرهبان والقسس كل عام .. ويدفع بهم الى مختلف بلدان افريقيا [(١٢)] .

الحرب ضد الاسلام في غرب افريقيا :

الحرب ضد الاسلام في غرب افريقيا مستمره منذ اكثر من اربعة قرون . تقودها الحكومات والمؤسسات الرسميه والكنائس . من اوربا ومن خارج اوربا منذ ان بدأ عصر إنحسار المسلمين . عندما اجبروا على الخروج من شبه جزيرة ايبريا في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي عام ١٤٩٢م .

لقد تعهد الاسبان والبرتغاليون بعد طرد المسلمين من الاندلس بتعقبهم الى شمال افريقيا . واخراجهم من كل مكان يجدونهم فيه لاعادتهم الى جزيرة العرب ومحاصرتهم هناك . وذلك انهم كانوا عندما يستولون على موقع للمسلمين لا يحتلونه فقط وانما يحرقون كل شئ فيه ويمنعون ممارسة اي مظهر اسلامي به .

---

(١١) د . شوقي الجمل مصدر سابق / ص ١٧٥ .

(١٢) مجلة المجتمع الكويتية عدد ١٥ رمضان ١٤٠٢هـ .

لقد كانت الاستراتيجيه التي مازالت تطبق حتى يومنا هذا ، هي تعقب القوى الاسلاميه . وتطويقها حتى داخل الدول المسلمة . وقد وصلت لملوك اوربا الذين كانوا يحكمون ذلك الوقت باسم الكنيسة اخبار مفادها وجود دوله مسيحية في شرق افريقيا الا وهي الحبشة . فعملوا للإتصال بها لتطويق الاسلام والقضاء على مصادر القوة الاقتصادية والعسكرية للمسلمين . لهذا فهم محتارون اليوم لماذا ظلت جذوة الاسلام باقية تتوهج رغم انهم يضربون حصارا قويا حول الدول الاسلاميه لقد خرجوا يحاربون الاسلام في افريقيا وفي مواطن اخرى كثيره فاذا هو يطل في عقر دارهم - روما - قويا شامخا [١٣] .

في اواخر القرن الخامس عشر الميلادي اتصل ملوك اوربا حماة المسيحية (المسيحية في ذلك الوقت وحاليا كما نعلم مجرد اسم على غير مسمى . وهي مسخ مشوه بعيده كل البعد عن رسالة السيد المسيح على نبينا وعليه السلام بملك الحبشه لتطويق الدول الاسلاميه كما ذكرنا . والقضاء على مصدر قوتها المتمثلة في التجارة برا وبحرا . خاصة مع الشرق الاقصى وسواحل افريقيا . والسيطرة على الطرق البحرية شرايين هذه التجارة - هذا العمل نفسه هو الذي يهلل له للاسف كتابنا حتى اليوم ولكن تحت اسم فتح الطريق امام التجارة الدولية - ومد جسور الاتصال بين الشرق والغرب . ولم يدركو ان الامر لم يكن سوى حرب اقتصادية مخططه سلفا ضد الاسلام والمسلمين .

كانت رحلات بارثلوموديا ز وفاسكو دى جاما الذي وصل الى الامارات العربية المسلمة في شرق افريقيا ثم الي الهند وحملات شركة الهند الغربية

(١٣) عام ١٩٨٩م شهد افتتاح مسجد روما احد اكبر المساجد في اوربا .

التي انشأتها بريطانيا فيما بعــد . وغــزت بها منطقة الخليج واحـرقت المراكز التجارية الهامة في رأس الخيمة [١٤] وغيرها . كلها تنفيذا لاستراتيجيه موحده هدفها ضـرب المسلمين في مقتل بالقضاء على احتكارهم للتجارة الدولية في ذلك الوقت . ومن ثم تركيع قـوتهم المادية والعسكرية .الملك البرتغالي يوحنا والد الامير هنري الذي عرف في كتب التاريخ بهنري الملاح صرح في ذلك الوقت بان الميدان الحقيقي الذي يكسب فيه افراد بيته الفخار والمجد هو القتال ضد المسلمين في المغرب شمال افريقيا . وانه سيمنح وسام السيد الاعظم - اعلى وسام في بلاده - لمن يحارب في هذا الميدان . وخلفه ابنه هنري الملاح (حكم البرتغال ١٣٩٤ / ١٤٦٠م) وتعتبره معظم كتب التاريخ والجغرافيا التي تدرس لابناء المسلمين رائد الكشوف الجغرافيه . وممهد طرق الملاحه البحرية . هنري هذا هو الذي وضع نصب عينيه هدف الوصول الى مملكة غانا اقدم مملكة اسلامية في غرب افريقيا . لمحاصرتها وقطع طرق الاتصال بينها وبين البلدان الاسلامية . ومن ثم نشر المسيحية بين ربوعها . والانطلاق منها الى بقية غرب افريقيا بالاضافة الى الاستيلاء على ثروتها الطائلة لتمويل حربه ضد المسلمين . وعمل هنري الملاح للاتصال بالحبشة المسيحية وعقد تحالفا لتطويق بلاد المسلمين . ومنعهم من الوصول إلى منتجات الشرق التي تدر عليهم ارباحا طائلة من احتكار سفن المسلمين لعمليات النقل البحري واسواق اوروبا التجارية اضافة الى المكوس التي يجبونها .

وقد اشتركت البرتغال بالفعل مع الحبشة في الحرب ضد المسلمين . وارسلت قوه بقيادة احد ابناء فاسكو دي جاما . وكان يقود الجيش الاسلامي البطل الصومالي محمد جراني فقد كان القرن الافريقي موطنا لعدد من الامارات

---

(١٤) Dr. Sultan Bin Mohd. EL- Qasimi, The myth of Arabian Piracy in the Gulf .

الاسلامية ، وكانت تمتد حتى حلق الهضبه الحبشية وتحيط بها حتى اطلـق عليها (امارات الطراز الاسلاميه)[١٥] لانها كانت تشبه الطـراز المحيط بالثوب تلك المعركة قد تكون اول حـرب علنيه مكشوفه بين المسيحية والإسـلام في افريقيا .

وفي سنة ١٥٠٥م ارسلت لشبونـه اسـطولا عـسكريا من ٢٣ سفـينه بقـيـادة فرانسيسكو دي الميدا للقضاء على نفـوذ المسلمين في شـرق افـريقيا .. خاصة في المناطق التجارية والاستراتيجيه . فاستولت قواته على سـفالة وكلوة وممبسا . وبعد ان نهبوها اشعلوا فيها النيران فأتت على كل شئ .. وقد كتب حاكم هذه المدينه يصـف كيف وجدوها بعد عودتهم اليها الى زميله حاكم مالندي يقول (لم يتركوا فـيها كائناً حياً لا رجل ولا امرأة لاا صغـيرا ولا كبيرا حتى الاطفال كل الذين فشلوا في الهرب قتلوا اوحرقوا) .

وواصل البـرتغـاليـون (الذين كـانوا يملكون اقـوى قـوة بحـرية فـي اوروبا في ذلك الوقت) حـملتـهم ضـد الوجـود الاسـلامي في افـريقـيـا فـارسـلوا في سـنة ١٥٠٦م اسـطولا ثانيا من اربعين سفـينه الى شـرق افـريقيا . مركزين على تلك المنطقـة لادراكهم ان السيطرة عليها يعني عـزل واضعـاف مناطق اخرى في غرب ووسـط القارة ، فـاستـولوا على لامو وعلى جزيرة سـوقطره واحتلوا عـام ١٥٠٧م مـوزمـبيق . واقـامـوا فـيـهـا اول كنيـسـه في المنطقـة . وبعـد ان سيطروا على السـاحل الشـرقي لافـريقـيا . وإتجـهـوا الى سـاحل شـبـه الجزيرة العـربيـة . فـاذا كانت افريقيا هدفهم التنصيري فان محاصرة المسلمين في شبـه الجزيرة العـــربية وقطع الاتصال بينهم وبين مواطن الاسلام في افريقيا سيخدم هدفهم الى حدكبير

---

(١٥) د/ شوقي الجمل تاريخ كشف افريقيا مصدر سـابق ص ١٣٣ .

(١٦) المرجع السابق / في القرن الثالث الهجري قامت سبع امارات اسلاميه في الجانب الشرقي والجنوبي مـن هضبة الحبشة هي امارات (شوا / اوفات / دوارو / إربميتي / هذيه / شرخا / دارة / وفي العصـور المتأخرة - امارتا عدل وهرر) سيد عبدالمجيد بكر ـ الاقليات المسلمة في افريقيا ص ٥٣ .

هاجم البرتغاليون مسقط وهرمـز وعدن وكانت معـركة ديو عام ١٥٠٩م مع المماليك الذين كان لهم النفوذ في الحجاز ومصر والشـام هي المعركة الفاصـله . خرجت فيها السـياده على المحيط الهندي والطـرق المؤديه اليه من ايدي المسلمين الذين حرم عليهم بعد ذلك القيام باي نشاط تجاري بحري حر في هذه المياه التي كانت لقرون حكرا عليهم .

ضربت البرتغال وبعدها بريطانيا وفرنسا حصـارا قـويا على البحار الداخلية التي كان يسيطر عليها المسلمون - الخليج والبحر الاحمر وبحر العرب [١٧] بعد ان طردوهم من المحـيط الهندي . وقلصـوا نشـاطهم في البحـر الابيض المتـوسط . فكان ذلك بمثابة حصار اقتصادي . وعزلوا معظم البعثات التي كانت تعمل على نشـر الاسـلام في افـريقـيـا . وبدأوا في تصـفـيـتـهـا تماما مـثلمـا يحدث حـاليـا بالاسـاليب العصـرية الحديثه من خـلال الدسـائس السـيـاسـيـة وتلفـيق تهم اثارة الاضطرابات ضدهم .

اول كنيسة اقيمت في غرب افريقيا في عام ١٤٨٤م عند مصب نهر الكنغو اقـامهـا اول منصـر برتغـالي يهبط تـلك المنطقة . وهو المستكشف دييجو كام [١٨] الذي وجد هناك مملكة عـاصـمتـهـا امبـاترا ، ووفـقـا لخطة المنصرين والمسـتـعـمـرين الغـربيين الذين حـرصـوا على العـمل لالغـاء الماضي من ذاكـرة الشـعـوب التي يستعمرونها .. وفصلها عن ماضيها حتى لا تستلهم موروثها الحضاري والثقافي في مـعـركـة الصـراع مع القـيم والمفـاهيم الدخـيلة . عـمـد البـرتغـاليـون لمسح اسـم امباترا من الخريطة فـاطلقـوا اسـم ساوسلفادور عليـهـا مثلمـا استبدل البلجيك اسم مدينة حميد المرجبي باستانلي فـيل .

---

(١٧) د/ شـوقي الجمـل تاريخ كشـف افريقيا ص ١٧٦ .

(١٨) المصـدر السـابق ص ١٧٧ .

الدول الاوربيه فرنسا وانجلترا والمانيا والنمسا وبريطانيا عقدت في ١٨٧٦/٩/١٢م مؤتمرها الشهير الذي عرف بمؤتمر بروكسل . الذي دعا له ليوبولد ملك بلجيكا . وفيه تم تكوين شعبه اطلقوا عليها الشعبه الدوليه لكشف افريقيا ... وادخال الحضاره فيها ... وهذا مسمى خادع تماما مثل المسميات التي تعمل تحتها منظمات التنصير الحالية .

عن هذه الشعبه تفرعت لجان في كل واحده من هذه الدول تولت ارسال بعثات التنصير والاستكشاف الى افريقيا بطريقة منظمة وجماعيه .. بعد ان كانت تلك الدول تعمل على اسس فرديه .

فقد اصدر البرلمان الانجليزي مثلا عام ١٦٤٩ م قراراً انشئ بموجبه (هيئة لنشر المسيحية في انجلترا الجديده أي في المناطق التي استعمرها الانجليز).

على مر التاريخ كان المستكشفون والحكام الذين يرسلون لهذه المستعمرات يحصلون اولا على مباركة الكنيسه او ينضمون الى الجمعيات التنصيريه . فالمستكشف البريطاني ديفد لفنجستون مثلا انضم عام ١٨٣٨م الى جمعية لندن التنصيريه قبل ان يأتي الى افريقيا ، وغردون باشا قبل ان يأتي الى السودان كان في القدس يجري ابحاثا لا هوتيه .

اجمعت الكتب الاوربيه التنصيريه الاستعماريه زورا على ان افريقيا لم تكن على سطح البسيطة الا يوم ان دبت عليها اقدام الاوربيين ، وكأن بدء خلقها يوم عرفوها ، وان تاريخها هو تاريخهم وحضارتها من غرس ايديهم فهي في كتبهم القارة المظلمة قبل دخولهم لها ، وغالوا في تصوير ظلمتها وهمجيتها حتى دمغوها بتلك الصفات واقروها في الاذهان تحت اسم (القارة المظلمة) .

فهم في تعرضهم للاسلام وحضارته في افريقيا يتحاملون عليه جهلا وحقدا ويتعمدون طمس معالم تاريخ القارة الاسلامي في الوقت الذي يغرسون فيه مللهم ونحلهم ولغتهم بالقسر ، ويقول جانها ينزجون في كتابه (الانسان ... عرض للثقافة الافريقية الحديثه) ان الثقافة الافريقية الحديثه تقوم على

دعامتين دعامة اوروبيه يعرفها القارئ دون صعوبه ... والدعامه الثانيه هي التقاليد الافريقيه وقد تكون التقاليد الافريقية . كما تبدو في ضو الثقافة الافريقية الحديثه اسطوره ايضا) فحقد هذا الكاتب الاوربي جعله يتجاهل الاسلام تماما .

ولكن الحقيقة تقول انه عندما توجه الاسلام الى افريقيا لم ينظر اليها على انها ارض بكر لا ستنزافها بل لتعميرها . ولم تكن عينه على انسان القارة لا سترقاقه بل لتحريره وهدايته . فتاريخ الاسلام في افريقيا هو نفسه التاريخ الحضاري الناصع لهذه القارة ... فهي بالاسلام افتتحت لنفسها صفحات التاريخ وسارت في موكب اعظم حضارة عرفتها الأنسانية حضارة حكمت شرع الله في امورها فاعزها الله .

وهذا ليس تعصبا وانما هو حق يقرره التاريخ والواقع والمنصفون من الكتاب فيقول . الكاتب الفرنسي جويلي Gouilly في كتابه L/Islam Dans L, Afrique Occidental. « ان العصر التاريخي لافريقيا السوداء لم يبدأ الا منذ ظهور الاسلام وانه بالاسلام وحضارته ولغته تقدم السود وتطوروا وبلغوا شأوا كبيرا في المدنيه » ويقصد بالعصر التاريخي ازدهار الحضارة الافريقية القوميه الاسلاميه ويقول القمص دين استانلي (لا يمكن ان ننسى ان الاسلام هو الديانه الساميه الوحيده التي أدت الى تقدم وتطور قارة افريقيا) .

ويقول الرحالة أم . بارك (M . Bark) (لقد عمل الاسلام على تطوير بلاد الزنوج ولا يزال يعمل) . ويقول : ار . كوبلاند (R . Kobland) في كتابه (شرق افريقيا وغزواتها) الصادر في لندن عام ١٩٣٨م « اننا يجب ان لا نندهش لما يورده الرحالة الغربيون عن مشاهداتهم لمظاهر الحضاره التي نقلها العرب (الكتابات الغربية تذكر كلمة العرب باعتبارها مرادفه لكلمة المسلمين) لشرق افريقيا فالعرب كانوا في ذلك الوقت حملة لواء حضاره وان مدارس القاهرة وبغداد وتونس كانت حتى القرن الثالث عشر الميلادي تفوق

تلك في اكسفورد والتي في اي مدينه مسيحية اخرى ».

وقال دافد سون (Davidson) (ان حضارة غانا وهي اول مملكة قوميه في غرب افريقيا اعتنقت الاسلام في القرن الاول الهجري (السابع الميلادي) وكان موقعها شمال غانا الحاليه التي سميت تيمنا باسمها في غرب افريقيا كانت تفوق حضارة الانجلو ساكسون زمن وليم الفاتح في القرن الحادي عشر الميلادي).

اعتنقت غانا الاسلام في القرن الاول الهجري (السابع الميلادي) وكان موقعها شمال غانا الحالية التي سميت تيمنا باسمها في غرب افريقيا . كانت حضارتها تفوق حضارة الانجلوساكسون زمن وليم الفاتح في القرن الحادي عشر الميلادي .

وكانت كلمة مسلم تدل في غرب افريقيا على ان صاحبها منزه عن فعل السوء . وان من يريد من السكان ان يدفع عن نفسه تهمة توجه اليه كان يقول (انا مسلم) فترفع عنه التهمه مباشرة لان الجميع متأكدون ان المسلم لا يمكن ان يفعل شرا [(١٩)] .

وقد سبق المسلمون الاوربيين في الكتابه عن افريقيا بحوالي ثمانية قرون ، فقد كتب المسعودي عن افريقيا في القرن العاشر الميلادي (عام ٩٥٦ ميلاديه) . ومن كل قرن بعد ذلك كان هناك المؤرخون والرحالة المسلمون الذين كتبوا ووصفوا افريقيا من خلال رحلاتهم ورصدهم لحضارتها وتطورها . منهم ابن حوقل (٩٦٨م) والبكري (١٠٩٤م) والادريسي (١١٥٤م) وياقوت الحموي (١٢٢٩م) وابن ابي زرع (١٣٢٦م) وابن بطوطه (١٣٦٩م) وابن كثير (١٣٧٢م) وابن خلدون (١٤٠٥م) .

وفي القرن الخامس عشر الميلادي ايضا ارخ لافريقيا القلقشندي والمقريزي وابن حجر ، وفي القرن السادس عشر أرخ السيوطي وحسن بن الوزان المعروف

---

(١٩) محمود شاكر : سيراليون ـ من سلسلة مواطن الشعوب الاسلامية ص ٣٧ .

باسم (ليو الافريقي) بينما لم تظهر الكتابات الاوربيه عن افريقيا الا في القرن الثامن عشر . وكانت بمثابة تمهيد للحركة الاستعماريه . وتواكبت مع هذه الحركة وكثرت خلالها لاهداف تتعلق بطمس التاريخ الاسلامي الحضاري لافريقيا . والفرض القسري لمنهج وديانة واسلوب حياة المستعمر .لم يكن للاسلام سبيل واحد فقط ولم يكن تقدمه ودخوله افريقيا شمالا وغربا وشرقا وجنوبا من مدخل واحد . بل كانت وما تزال له عدة سبل ومداخل . فتارة مع الركب الدعاة وتارة مع قافلة تجارية وثالثة مع صحبة الفاتحين ورابعة مع هجرة تنتجع الامن او كلأ او الاستقرار وخامسة مع وفد الحجيج غدوة ورواحا .

ان الاسلام عرف طريقه الى غرب افريقيا في القرن السابع الميلادي (القرن الاول الهجري) . وليس في القرن الحادي عشر الميلادي على ايدي دولة المرابطين كما هو متواتر لدى غالبية المؤرخين . وقد اشار احمد بابا مؤرخ دولة سنغاي الى وجود ١٢ مسجدا في مدينة غانا وهي حاضره اول الممالك الاسلاميه الكبري في افريقيا حوالي عام ٦٠ هجرية (٦٧٩م) . ولكن المرابطين كان لهم دور رئيس في التاريخ الاسلامي لهذه المنطقة ، ليس فقط في نشر الاسلام بين الوثنيين بل ايضا في اصلاح عقيدة المسلمين الافارقة الذين اعتنقوا الاسلام ولم يلتزموا باحكامه .

وقد اورد المؤرخ المسلم ابوعبيدالله البكري (١٠٢٨ - ١٠٩٤م) في كتابه (المسالك والممالك) عن رحلته الى منطقة غرب افريقيا انه يندر ان توجد مدينه من مصب نهر السنغال الى لاغوس لا تكون الا وبها الائمة والمؤذنيين . وفيها فقهاء وحملة علم وقد اشتهر سلاطين مملكة مالي ١٢٣٨ - ١٤٨١م بالحرص على بناء المساجد والاعتناء بها . بل كان السلطان منسا موسى اعظم سلاطين هذه الامبراطوريه (١٣٠٧ - ١٢٣٢م) يبني مسجدا في كل مدينه

تدركه فيها صلاة الجمعه [٢٠] وتذكر بعض الروايات وجود (٤٢٠٠ عالم) مسلم في مدينة جنى [٢١] مما يدل على سعة انتشار الاسلام في هذه البلاد .

واليوم في واحد من اعرق مواطن الاسلام - غرب افريقيا - اكتمل بناء اكبر كنيسة في تاريخ المسيحية والعالم . ترتفع قبتها ٢٢٥ قدما بزيادة مائة قدم عن كنيسة روما [٢٢] التي تعتبر معلما دينيا في العالم المسيحي ، هذه الكنيسة اقيمت في ساحل العاج . البلد الذي يشكل المسلمون فيه حاليا اكثر من ٦٠ ٪ من عدد سكانه البالغ عددهم عشرة ملايين نسمه . اي ستة ملايين نسمه بينما لا يزيد عدد المسيحين فيه عن مليون نسمه والباقون وثنيون .

هو فيه بوانيه ٨٣ عاما رئيس ساحل العاج الذي يطلق عليه الغرب لقب حكيم حكماء افريقيا . هو الذي سعى لبناء هذه الكنيسة . ولقد اعد اعداداً خاصا منذ صغره للقيام بهذه المهمه ، استقطبه المنصرون عندما كان طفلا صغيرا يتيما معدما . فادخلوه المسيحيه وتعهدوا رعايته فكان عند حسن ظنهم ، فقد قام بتخصيص ١٦ كيلو مترا مربعا في مسقط رأسه ياموسوكرو . ومائتي مليون دولار لبناء هذه الكنيسه التي قال علنا انه (يريدها حصنا في وجه المد الاسلامي في بلاده ... ومركزا يحج اليه كاثوليك افريقيا البالغ عددهم ٧٣ مليون) ويتم ذلك في بلد عجز عن تسديد ديونه الخارجيه البالغه اكثر من ثمانيه مليارات دولار ، وفيه يمشي الفقر والجوع والتخلف على اقدام بشريه .

من اين لهوفيه بوانيه بهذا المبلغ الضخم ؟ لقد قال انه من حسابه الخاص ، وهو كلام لا يقنع احداً حتى ان احد كبار كتاب صحيفة التايمز البريطانيه (برنارد ليفن) سخر من ذلك قائلا (طالما ان المشروع يحتاج الى (٧٠٠ر٠٠٠) طن

---

(٢٠) د / حسن عيسى عبدالظاهر - الدعوة الإسلامية في غرب افريقيا - منشورات جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - الرياض ص ١٠١ .

(٢١) المصدر السابق ص ١٠٣ .

من الرخام الذي قطعا لا ينمو في غابات ساحل العاج فلابد للمرء ان يتساءل من اين لهوفيه بذلك المبلغ ؟ ويضيف هناك فقط ثلاثة مصادر محتمله .

(فاما ان تكون عمته الزنجيه العجوز قد تركته له في وصيتها ، واما ان يكون المبلغ سقط عن ظهر لوري فالتقطه . بوانيه واما انه كما يقال في افريقيا في مثل هذه الحالات (عمل مثل موبوتو [٢٣] اي نقل دخل بلاده القومي الى مكان آمن ـ ربما الى بنوك امارة ليتنشتاين ـ لحمايتها من خطر الحريق !) .

لكن برنارد ليفن الكاتب اليهودي نسى او تجاهل عمدا مصدرا رابعا هو اقوى احتمالا واكبر امكانات وهو الفاتيكان الجهة التي يهمها بناء هذه الكنيسه الضخة في افريقيا بعد ان اعلنت ان هدف النصرانيه في هذا القرن هو تنصير افريقيا بحلول عام الفين . فانطلقوا باثارة الاضطرابات والخلافات الداخليه والحدوديه بين الدول المسلمة في شمال افريقيا لشغل المسلمين بانفسهم . وكف انظارهم عما يجري حولهم وكثفوا الجهود ضد الاسلام والمسلمين في وسط القارة وجنوبها باثارة الفتن والنعرات وعلى اطرافها في الغرب والشرق وركزوا حملات التنصير على الاطراف الجنوبية لشمال افريقيا او ما نريد تسميته هنا بخط المواجهة وسط اللاجئين الفقراء في المخيمات .

كما في جنوب السودان والسنغال وموريتانيا لدفع خط المواجهة الذي يمتد من شرقي افريقيا الى غربها بعرض حزام السافنا الى اقصى نقطة ممكنه شمالا .

ويقود هذا الهجوم حاليا جيوش من المنصرين يعملون تحت غطاء تقديم الاغاثة وخدمة التنمية . بتوجيه من بابا الفاتيكان شخصيا . خاصة في غرب

---

(٢٢) برنارد ليفين ـ جريدة التايمز البريطانيه صفحة الرأي بتاريخ ١٩٨٩/٩/١١م .

(٢٣) موبوتو سيسي سيكو دكتاتور زائير وصديق اسرائيل تولى السلطة عام ١٩٦٥م في انقلاب عسكري وحتى عام ١٩٩٠م . لم تبني حكومته مستشفى واحدا يخصص ٣٪ من ميزانية بلاده للتعليم و٧٣٪ لدعم مؤسسات حكومته السياسية العسكرية . بلغت ثروته ٦ ملايين دولار وله حوالي ١٢ قصرا في بلجيكا وفرنسا وقلعة في اسبانيا وفيلا بها ٣٢ غرفة نوم في سويسرا ك تايمز ١٩٩٠/٤/٢١م .

ووسط وجنوب القـارة حيث قـام بعـدة زيـارات مكوكيه [٢٤] الى هناك . ومثله الرئيس الامريكي الاسبق جيمي كارتـــر الذي ما ينفك يتردد على شـرق افريقيا (منطقـة القـرن الافـريقي رأس الحـربه الذي يراد توجـيـهـه الى قلب العـالم الاسـلامي) لتـحـقـيق هدف المنصـرين الاوائل في طرد الاسـلام من افـريقـيـا ومحاصرته في جزيرة العـرب .

أليني ملكة الحبشـة المسيـحيـة القـديمه كتبت في القـرن الخامس عشـر من الميـلاد لعـمـانويـل مـلك البـرتغـال الذي كـان يخوض حـربا صليـبـيـه شـرسـه ضد المسلمين ، تحرضه وتوازره في رسـالة مشهورة جاء فيها :

(السلام على عمانويل سيد البحر وقاهر المسلمين القساة الكفرة .. نحن على استعداد لمقاومة الكفرة بارسال اكبر عدد من جنودنا في البحر الاحمر الى مكة أو جزيرة باب المندب ... واذا اردتم نسيرها الى مكة أو الطـور (القـدس) للقضاء على جرثـومة الكفر) [٢٥] .

تغـيـرت الشـخـصـيـات والزمـان لكن المكان والهـدف مـازال واحدا . فـبـابا الفاتيكان وكارتر يعملان لنفس الهدف . وقد بدأ الاخير استراتيجيه بعيدة المدى فـاقـام تحت اشراف الجبهـة الشعبـيـة بقيادة اسياس افوركي في ارتريا ـ حظيـرة توليـد ـ تساق اليـهـا بنات ونسـاء المسلمين قـسـراً لتـضـع الحـوامل حـملهـن في الحظيـرة ثم يطردن الى اهلهـن .. ويتـولى مـقـعـدو الحـرب والمعـوقـون تحـمـيل الاخريات ضـمن المشروع المسـمى الكوكب الاحـمـر [٢٦] لانتـاج جـيل يربى تربيـة نصرانيه خالصه .

ولان الامر مستعجل اذ يراد لافريقيا ان تدخل جميعها الى حظيرة النصرانية

---

(٢٤) يوالي بابا الفاتيكان زيارات منتظمة لهذه المنطقة للاشـراف على المشـروع التنصيري وتشجيعه وكانت اخر زياراته في الاسبوع الاخير من شهر ينايـر١٩٩٣م حيث زار غينيا بيسـاو ، بوركينا فاسو ، تشـاد ، مالي ، جزر كيب فيـرد والسودان

(٢٥) محمود شاكر ـ العالم الاسـلامي ومحاولة السيطرة عليه ـ المكتب الاسلامي ـ بيروت ١٩٨٤م ص ٦٤ .

بحلول عام الفين ، فان بناء اكبر كنيسه في العالم على انقاض اكبر مملكتين اسلاميتين - غانا ومالي - في افريقيا جنوب الصحراء لم يستغرق سوى ثلاث سنوات فقط رغم ان بناء كنيسه روما استغرق مائة عام [٢٧] .

الجمعيه الدوليه للاسلام والطب كشفت في احصائيه حديثه اوردتها وكالة الانباء الاسلاميه (اينا) يوم ١٩٨٩/٩/٢٥م ان ٣ر٥ مليار دولار تم رصدها لتنصير افريقيا . وجند لهذا الهدف ١١٢ ألف منصر لتنفيذ هذه الخطة . وواضحت الاحصائية ان المنصرين يستخدمون وسائل شتى منها التأثير الاقتصادي وتقديم الخدمات الطبيه والتعليميه . مجلة المجتمع الكويتيه ذكرت في مقال مطول بتاريخ ١٥ رمضان ١٤٠٢هـ ان هناك سته ملايين منصر يعاونون المنصرين المتفرغين ، وان عدد المعاهد التعليميه التي تديرها الكنائس في افريقيا يزيد عن ١٢٠ ألف معهد ·وألفي روضه اطفال - وللتنصير اكثر من خمسمائة جامعة وكلية ومعهد في العالم تحت اشراف المنصرين يرسلون اليها النابغين من ابناء المسلمين وغيرهم لصياغتهم كما يريدون .

اما احدث احصائية عن التنصير فقد كانت تلك التي نشرتها (المجلة الدولية لابحاث التنصير) التي تصدر في امريكا . وجاء فيها ان مجموع التبرعات لاغراض كنسية بلغت عام ١٩٨٩م ١٥١ مليار دولار امريكي وان عدد المجلات والنشرات الدوريه المسيحيه التي توزع في العالم تبلغ ٢٢٧٠٠ مطبوعة وانه قد وزع من الانجيل في نفس العام ٧٢ مليون و ٥٥٢ ألف نسخة .

وتحدد الاحصائية عدد اجهزة الكمبيوتر التي تستغلها المنظمات المسيحيه

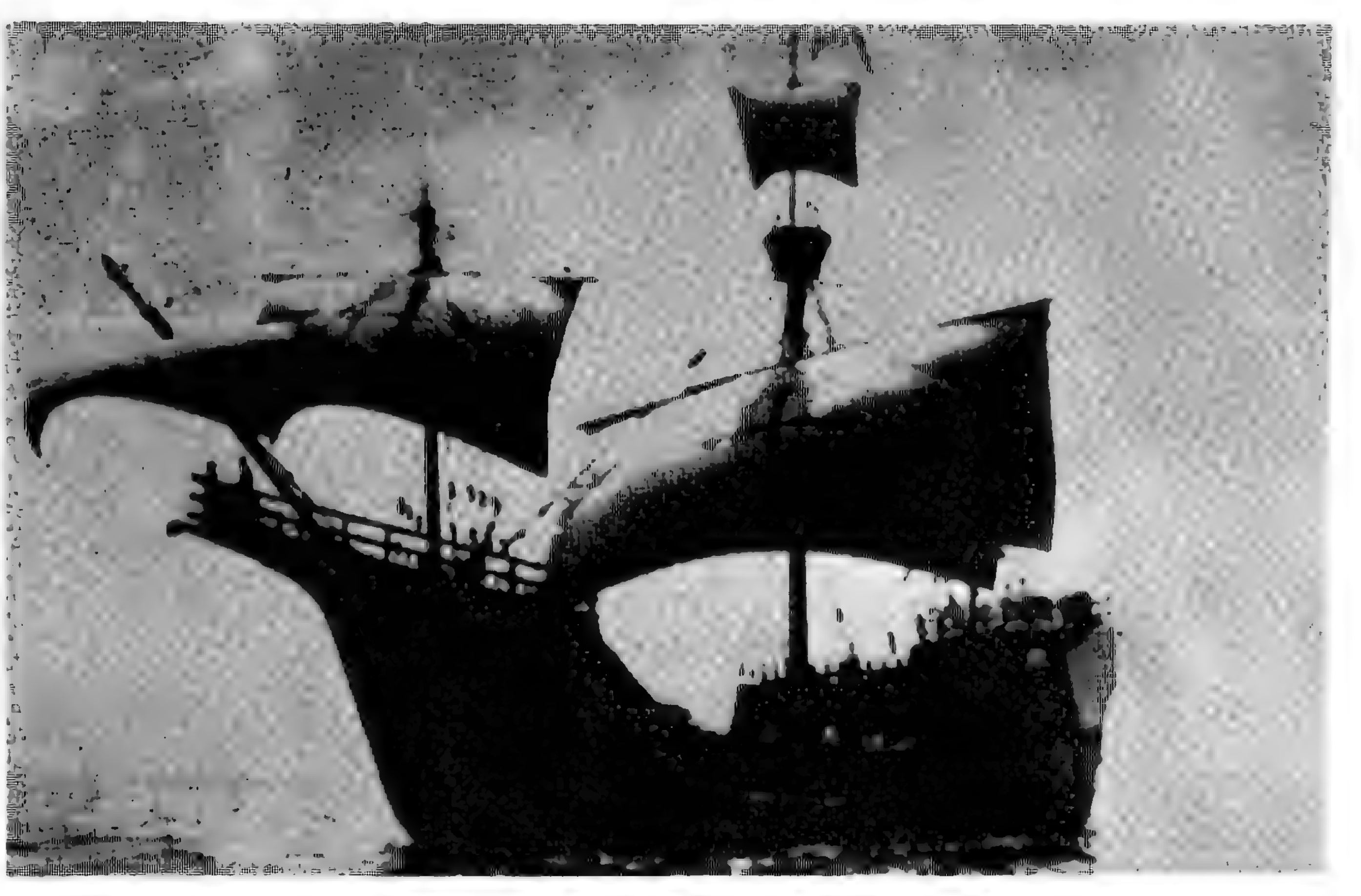
---

(٢٦) جريدة المسلمون العدد ٢١٤ بتاريخ ١٠ - ١٨٩/٣/١٦٠م ص ٣ (خطف ٦ الاف مسلمة الجين ٢٥٠٠ طفلا ترى كم بلغ العدد اليوم ؟)يشرف كارتر على مشروع الكوكب الاحمر لانجاب اطفال ينشأون في حظيرة كبيرة على المسيحية - ويقود عمليات وساطة مشبوهة في القرن الافريقي .

(٢٧) برنارد لفين - مصدر سابق .

لخدمة التنصير في تخطيط برامجها وتنفيذها بـ ٤٥ مليون جهاز وان محـطات الاذاعـة والتلفـزيون المسـيحـيـة في العـالم تبلغ نحـو ١٩٠٠ مـحطة وان عـدد المنصـرين المحليين الذين ينتـمـون الى الدول التي يعـملون فـيـهـا يبلغ ٣ مـلايين و ٨٦٥ ألف منصر (٢٨).

(٢٨) جريدة اخبار العالم الاسلامي ـ اسبوعية تصدرها ادارة الصحافة والنشر برابطة العالم الاسلامي ـ العدد ١١٦٧ ـ ١٩شوال ١٤١٠هـ الموافق ١٤/٥/١٩٩٠م.



نموذج صمم في اسبانيا لسفينه كريستوفر كولمبس كانت ترفع الصليب شعارها في رحلاتها الاستكشافيه نقلاً عن الاسوشتيد برس الامريكية .



الفصل الثاني

دول وحضارات إسلامية في حزام المواجهة



دول وحضارات إسلامية في منطقة حزام المواجهة

(١) امبراطورية غانا

المسلمون الذين ينقبون في تاريخ افريقيا القديم يكتشفون حقائق ومعلومات مذهلة لا عن افريقيا تلك القارة التي مازال تاريخها القديم مجهولا وإنما عن انفسهم ايضا .

والمسلمون وغير المسلمين من ابناء افريقيا جنوب الصحراء لو قرأوا التاريخ القديم لتلك القارة من منابعه الصافية الامينه التي لم تشبها اهواء واغراض لعقدت الدهشة السنتهم .

فالتاريخ الذي ننقله ونتدارسه ونعلمه ابناءنا والمفاهيم التي نتداولها ونخطها في كتاباتنا ونقيم علاقتنا على ضوئها - نحن المسلمين مع تلك المنطقة - استقيناها ومازلنا نتلقاها من المصادر الغربية عموما والاوربيه بوجه خاص . لا من افريقيا مباشرة ولا من المصادر الاصلية التي كتبها المؤرخون والرحالة المسلمون . فاعجب لهذا الادراك القاصر والفهم الملتوي الذي يسيطر علينا مسلمي اليوم ويوجه حياتنا

لقد جمعت اوربا معارفها عن دول افريقيا في القرنين الماضيين [١] من التراث الاسلامي الذي وجدته في المكتبات والمدارس الاسلاميه في كل من شبه جزيرة ايبيريا وجزر البحر الابيض المتوسط وما وصل اليها عن طريق التجار العرب والمسلمين الذين كانوا يجوبون شواطئ اوروبا وهي في عصورها الوسطى المعروفه في تاريخ اوربا بعصور الجهل والتخلف حتى اطلق عليها اسم « عصور الظلام » فجئنا نحن المسلمين الذين ننقل دون تبصر فاطلقنا نفس التسمية على الحقبه التاريخية التي تقابل عندنا عصور الظلام في اوروبا رغم انها من ازهى واعظم

(١) المعلومات الاساسية عن امبراطورية غانا وبلاد السودان تعود الى ما كتبه الرحالة والمؤرخون والجغرافيون المسلمون فقد زار ابن حوقل امبراطورية غانا الاسلامية في القرن العاشر الميلادي وابن بطوطه في القرن الرابع عشر . د/ابراهيم طرخان امبراطورية غانا الاسلامية ص ٩ .

المراحل في تاريخ المسلمين .

ذلك التراث كان هو العمود الفقري لمدرسة الخرائط التي اقيمت في جزيرة ميورقه [٢] واعتمد العاملون فيها من الاوربيين على ما دونه الرحالة والجغرافيون والمؤرخون المسلمون من امثال المسعودي في النصف الاول من القرن العاشر الميلادي وابن حوقل الذي جاب القارة الافريقية من الشرق الى الغرب في النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي . والبكري في القرن الحادي عشر والادريسي وابن بطوطه وابن خلدون والسعدي وحسن ابن الوزان المعروف بـ (ليو الافريقي) وغيرهم هؤلاء المؤرخون والرحالة الذين عرفوا العالم بافريقيا القديمة وسجلت مؤلفاتهم للافارقة تاريخهم القديم وحفظت لهم تراثهم لان المسلمين هم الذين نقلوا لغة الكتابه التي بها تدون المعلومات الى افريقيا جنوب الصحراء وبعيدا عن السواحل قبل القرن العاشر الميلادي وكانت هي اللغة العربية .

عن مؤرخي المسلمين عرف المهتمون بالتاريخ ودراسته ان ممالك ودولا قامت في وسط افريقيا التي كانت معروفه ببلاد السودان . وهو المصطلح الذي اطلقه مؤرخو المسلمين وما زال متداولا على منطقة واسعه في افريقيا تنحصر بين الصحراء في الشمال والغابات الاستوائية في الجنوب ، وتمتد شرقا عبر دولة السودان الحالية الى مرتفعات الحبشة ، وغربا الى المحيط الاطلسي .

وفي هذه المنطقة قامت امبراطورية غانا اول دولة افريقيه استكملت المقومات الاساسيه للدولة في القرن الميلادي الاول .... وبلغت ذروة مجدها عندما تحولت للاسلام بين القرن السابع ومنتصف القرن الحادي عشر الميلادي [٣] . ويورد دافدسون (Davidson) في كتابه (صحوة الافارقة) ان حضارة غانا كانت تفوق

---

(٢) المصدر السابق ص ١١ وعنه اخذت معظم المعلومات الوارده في هذا الفصل .

(٣) المصدر السابق ص ١٥ .

حضارة الانجلوساكسون زمن وليم الفاتح في القرن الحادي عشر [٤] .

وكلمة غانا تعني (كما يروي المؤرخ الغيني جبريل نيان) تعني القياده العسكرية ثم صارت تعني العاصمة مركز القيادة واتسع المدلول فصار يطلق على الامبراطورية كلها .

ولا احد يعرف بالضبط مدى اتساع امبراطورية غانا . وان كان يظن انها ربما تكون قد امتدت من ناحية الغرب الى اعالي نهر السنغال وفرعه باول ومن الشرق الى قرب مدينة تمبكتو الحالية . والى اعالي نهر النيجر ومنطقة الذهب في ونقاره غربا . ويحتمل انها وصلت الى المشارف الشمالية لجمهورية غانا الحديثة التي اتخذت اسمها تيمنا بتلك الامبراطورية والى الغابات الاستوائية جنوبا .

وتختلف الروايات عن اصل سكان هذه الامبراطورية وفي بعض وثائق قبائل الهوسا ان اهل غانا القدماء جاءوا من وادي دجله والفرات . اي ان لهم اصولا بابليه واشوريه قدموا الى غانا من شمال افريقيا . ويعتقد المسعودي انهم جاءوا من الحبشة . اما السعدي فيكتفي بالقول : (اننا لا نعلم اصلهم) والراجح انهم من البربر فاهل امبراطورية غانا القديمة يقولون ان اسرة بربرية كانت تحكم بلادهم منذ زمن بعيد . وقد اطلق على مؤسسي امبراطورية غانا اسم (البيض) لان لونهم كان يختلف عن لون اجسام المواطنين [٥] . نشأت امبراطورية غانا اول ما نشأت في مدينة غانا القديمة التي اختلف المؤرخون حول تحديد موقعها . وان كانت الحفريات التي قام بها علماء اثار غربيون في الخمسينات كشفت انها تقع بالقرب من الحدود الجنوبية لجمهورية موريتانيا الحالية . ضمن اراضي جمهورية مالي الحديثة . على طريق القوافل الغربي القادم من مراكش . ويبعد الموقع عن مدينة تمبكتو بمسيرة عدة

---

(٤) المصدر السابق ص ١٠ .

(٥) المصدر السابق ص ٣٣ .

ايام الى الجنوب الغربي وعلى بعد حوالي الف ميل شمال جمهورية غانا الحالية و٢٠٠ ميال شمال باماكو عاصمة جمهورية مالي [٦] .

ويتفق المؤرخون المسلمون على ان امبراطورية غانا التي قامت اول امبراطورية في غرب افريقيا في القرن الاول الميلادي (حوالي ٣٠٠ميلادية) حكمها اربعه واربعون ملكا اثنان وعشرون منهم قبل البعثه النبويه واثنان وعشرون بعدها .

ويذكر السعدي في كتابه ان اول سلطان في تلك الجهة كان يدعي قيمع . ودار امارته غانا وهي مدينه عظيمه في ارض باغن تملك فيها ١٢ ملكا قبل البعثه و٢٢ ملكا بعدها . اما صاحب الفتاش فيوضح ان عدد الذين حكموا قبل البعثه كانوا عشرين . وان قيمع ليس اسما وانما معناه ملك الذهب . واورد اسم كنسفي الذي قال ان الملك الذي عاصر الرسول (ص) اي في القرن الاول الهجري ـ السابع الميلادي .

عن هذا الملك اورد صاحب الكشاف وصفا قد نراه بمقاييسنا الحاليه مبالغا فيه لكنه يوضح مدى مابلغته غانا من شأن وقوة وتقدم مادي وثراء حيث يقول : (ان له الف خيل مربوطه في داره ان مات واحد في صبح جئ باخر غيره قبل المساء وفي الليل كذلك . ولا ينام واحد منها الا على زربيه ويربط بحرير في عنقه وفي رجله ولا تري زبلا تحت واحد منها ، ولكل منها من الخدم ثلاثة انفس يجلسون تحته واحد يقوم بعلفه وواحد موكل على رصد وحمل زبله).

وكانت مدينة الملك كما قال البكري تسمى الغابه . ومبانيها من الحجارة وخشب السنط . وللملك قصر وقباب ويحيط بالمدينة حائط كالسور . كان ملوك غانا الاوائل من البيض القادمين من الشمال ثم خلفهم السوننك الوطنيون الذين تولوا السلطة في نهاية القرن الثامن الميلادي باستثناء الفترة التي استولى فيها

---

(٦) المصدر السابق .

المرابطون على عاصمة غانا (١٠٧٦م ـ ١٠٨٧م) . وبلغت غانا في عهد هذه الاسرة مجدها وعظمتها واتساعها .

وهناك اعتقاد خاطئ بان الاسلام دخل الى بلاد غانا القديمة على ايدي المرابطين . ويشير اكثر من مرجع الى ذلك رغم ان حكم المرابطين لدولة غانا القديمة لم يدم لاكثر من احد عشر عاما كما سبق وان اشرنا. وان بلاد غانا عرفت الاسلام واقيمت فيها المساجد وفتحت مدارس تحفيظ القرآن وتعليم اللغة العربية ، قبل حوالي قرنين من وصول المرابطين على الاقل . بل ان مملكة اوغست الاسلامية التي استولت عليها غانا عام ٩٩٠م كانت تقع حسب رواية البكري على مسيرة شهرين من سجلماسه و١٥ يوما من عاصمة غانا . ومكانها اليوم مدينة تجداوست ضمن جمهورية موريتانيا الحديثه قد لعبت دورا كبيرا في نشر الاسلام بين الافارقه وبلغت اوج عظمتها في القرنين التاسع والعاشر الميلادي فسبقت حركة المرابطين في الدعوة للاسلام هناك .

وكان العلماء والدعاه قد توغلوا جنوبا من مصر ومن الدويلات الاسلاميه القائمة في شمال افريقيا ، بعضهم فرارا بعقيدته بعد تصاعد الخلافات السياسية وتضييق الحكام على العلماء ، وبعضهم رغبة في نشر العقيده السمحاء وابلاغها الى من لم تصلهم .. هذا اضافة إلى التجار والرحالة . فلم تكن الصحراء الكبرى عائقا وفاصلا كم صورها المؤرخون الغربيون ، ويريد سياسيوهم اليوم فرض هذا المفهوم . وانما كانت جسرا ومعبرا تدب فيه الحياه ليلا ونهارا . وتحمل القوافل اضافة للسلع التجارية على ظهورها الدعوة الى الله وتتيح تبادل المعرفة وتلاقح الثقافات .

وحتى قبل ان يدخل ملوك غانا القديمة الى الاسلام كان للمسلمين في بلاطهم ، شأن ووضع خاص . يقدرونهم ويحترمونهم ويسندون لهم الوظائف العليا والحساسة

ويطلبون مشورتهم ونصيحتهم [٧] . وفي ذلك يقول البكري (وفي مدينة الملك مسجد يصلي فيه من يقدم عليه من المسلمين . والمسجد يقام على مقربة من مجلس حكم الملك) فهذا دليل على مدى التقدير الذي كان يحظى به المسلمون حتى ان الملك الوثني اقام لهم مسجدا في الحي الذي يضم بلاطه من المدينة ليؤدى فيه الذي يفدون عليه شعائرهم .

اسند ملك غانا الوثني للمسلمين بعد تجربة وخبرة الوظائف العليا في حكومته لما تميزوا به من حسن سيرة وسلوك . فالبكري يورد في المسالك والممالك ان تراجمة الملك كانوا من المسلمين وكذلك صاحب بيت ماله وأكثر وزرائه . وهذه مناصب لا تسند الا لمن عرف بالامانه والكفأة . ويقول البكري ايضا : (ان مدينة غانا مدينتان كبيرتان احداهما المدينة التي يسكنها المسلمون وهي مدينة كبيرة بها ١٢ مسجدا احدها يجمعون ـ يصلون الجمعة ـ فيه ... ولها الائمة والمؤذنين وفيها فقهاء وحملة علم وحواليها ابار عذبه ومدينة الملك على بعد ستة اميال من هذه وتسمى الغابة والمساكن بينهما متصلة) .

يورد دافدسون في كتابه (اعادة اكتشاف افريقيا القديمة Old Africa Rediscovered ان الحفريات التي قام بها عام ١٩٥١م عالمان فرنسيان كشفت عن بقايا المدينة الاسلامية او القسم الاسلامي من المدينة . ودلت الحفريات ان سكانها كانوا حوالي ٣٠ ألف نسمه . ويقول نفس المؤلف (الراجح ان هذه المدينه الاسلامية كانت مركزا للحكومه الاسلاميه التي قامت في غانا في عهدها الاخير عندما اعتنق ملوك غانا الاسلام)، ٣٠ ألف نسمه عدد ضخم اذا ما قورن بتعداد سكان مدن العالم المعروفه على قلتها في ذلك الوقت . وهو ايضا يوضح مدى اقبال الناس على الاسلام ودخوله افواجا . كما ان تقدير المسلمين وتقريبهم وتوليتهم الوظائف

(٧) د/ حسن عيسى عبد الظاهر ـ الدعوة الاسلاميه في غرب افريقيا ص ٩٣ .

العليا دليل دامغ ينفي الادعاء الذي يزعم ان الاسلام انتشر هناك بالقوة .

الحفويات التي اجريت كشفت عن عدد من المنازل والمساجد ووجد ٣٥ لوحا من الحجر الملون مكتوبا على بعضها ايات قرآنية بالخط العربي ... اضافة الى مبنيين كبيرين يبلغ طول احداهما ٦٦ قدما وعرضه نحو ٤٢ قدما وهو من طابقين .

حسب الرواية التي اوردها دي لارونسيران تلوثان ملك غانا اعتنق الاسلام عام ٨٣٧م وشن حربا ضد جيرانه الوثنين . واذا كانت هذه الروايه ليست دليلا على ان جميع ملوك غانا في ذلك القرن او قبله كانوا مسلمين فهي تؤكد ان بعضهم على الاقل كان قد اسلم وظل من لم يسلم وفقا لشهادة البكري التي اوردناها سابقا على علاقة حسنه مع المسلمين .

لقد وصلت طلائع المرابطين الذين جاءوا لتصحيح العقيدة التي كانت موجوده من قبلهم ودفع مد الدعوه الاسلاميه الى تخوم ارحب في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي ... فاعادوا عام ١٠٥٥م مملكة اوغست الاسلامية الى حظيرة الاسلام .

في عام ١٠٧٦م استولى المرابطون على مدينة غانا ، وهذا هو التاريخ الذي يمكن ان يؤرخ به لامبراطورية غانا الاسلاميه ، وليس لدخول الاسلام الى المنطقة . حيث اعتنقه عدد كبير من سكانها قبل ذلك التاريخ وبوصول المرابطين في مطلع الربع الاخير من القرن الحادي عشر وحتى انتهاء دولتهم اوائل القرن الثالث عشر الميلادي كانت حكومات غانا وجميع ملوكها من المسلمين .

كان نظام الحكم في غانا مركزيا حيث كان الملك ينظر في جميع شئون الدولة . وكان له مستشاروه ووزراؤه وكانت الامبراطورية مقسمه الى ولايات او ممالك . وكان للعاصمه ولكل ولايه خاضعه لغانا حاكم او ملك . ومن اشهر هذه الولايات اوكار التي تعتبر نواه امبراطوريه غانا ، وهوذ في الوسط وممالك البربر في

الشمال ورباط ، وتاكانات في الغرب ، وياماسكرو في الشرق ، وواجاد وكايناجا ويغن في الجنوب والجنوب الشرقي [٨] .

وكانت المجالس التي يعقدها الملك للنظر بنفسه في المظالم من التقاليد الراسخة في غانا ، ويصف البكري هذا المجلس بقوله (وهو ـ اي الملك ـ يجلس للناس في قبة وعلى يمينه اولاد ملوك بلده اي ملوك الاقاليم والولايات الخاضعة له ووالي المدينه حاكم العاصمه بين يدي الملك جالس على الارض وحواليه الوزراء جلوس على الارض) .

في العهد الوثني كان كبار موظفي الملك ومستشاروه ووزراؤه من المسلمين الذين كانوا يشكلون اكبر طبقه مثقفه في غانا فكان لهم دور بارز في بناء الدوله وارساء اسسها ، وقد ذكر جويلي (Gouilly) [٩] (ان العصر التاريخي لافريقيا السوداء بدأ بظهور الاسلام وان السود تقدموا وتطوروا وبلغوا شأوا عظيما من من المدنيه بالاسلام وبلغته وحضارته) ، ولذلك قدم الادريسي وصفا رائعاً لهيئة ركوب الملك المسلم للنظر في المظالم حيث كتب : (وهو ـ الملك المسلم ـ اعدل الناس فيما يحكى عنه ومن سيرته قربه من الناس وعدله فيهم له جملة قاده يركبون الى قصره كل يوم ، فاذا اجتمعوا اليه ركب وسار يقدمهم ويتمشى في ازقة المدينه ودابر البلد فمن كانت له مظلمة وانابه امر تصدى له فيظل حاضرا بين يديه حتى يقضي مظلمته ثم يرجع إلى قصره ويتفرق قواده ، فاذا كان بعد العصر وسكن حر الشمس ركب مرة ثانية وخرج وحوله اجناده فلا يقدر احد على قربه ولا على الوصول اليه وركوبه في كل يوم مرتين سيره معلومه) .

لقد اهتم اهل غانا بالاسلام وعملوا على نشره واصبح له اثر عظيم في

---

(٨) د/ ابراهيم طرخان ـ امبراطورية غانا الاسلامية ص ٦٠ .

(٩) المصدر السابق ص ٩٠ .

حياتهم كلها حتى ان بعض العشائر كانت تختص بالعمل في الدعوة للاسلام فقط . وقد وصف الفرناطي في « تحفة الالباب » مدى محافظة اهل غانا على اداء الفروض وقد انتشرت في غانا المدن الاسلامية حتى قبل ان تصبح الدولة اسلامية ، فكانت غيارو على مقربة من نهر النيجر برسي غربها الى جانب اودغست وولاته ونيمه مراكز لنشر الدعوة الاسلامية . وكانت لغة القرآن هي لغة العبادة والكتابة الوحيده . ثم اصبحت لغة الثقافة والتجارة والمكاتبات [١٠] . كان في العاصمة وحدها ١٢ مسجدا قبل ان تتحول الدولة جميعها الى الاسلام . وكان كل مسجد ملحقا بمدرسة لتعليم القرآن واللغة العربية .

وعلى مشارف غانا كانت تقوم مملكة اوغست التي سبقتها الى اعتناق الاسلام . وازدهرت المملكتان المسلمتان في القرن الحادي عشر .كما قامت مملكة سلسي الاسلاميه ومملكة ماسنه في الجنوب الشرقي من غانا .

نعمت غانا بالامن والاستقرار في كنف الاسلام وبفضله وكان لها خياله يجوبون اطراف الصحراء [١١] لحفظ الامن ، كما اشتهرت امبراطورية غانا بقوة جيشها وكثرة تعداده ، يذكر البكري (ان ملك غانا يعود جيشه الى مائتي الف منهم ازيد من اربعين الفا رماة) . وكان الجيش يتسلح بالاسلحة الحديثه من السيوف والحراب والرماح والخناجر وقد عثر في مدينة كومبي صالح عاصمة غانا على حراب وسكاكين وفؤوس وسهام ومسامير ومجموعات مختلفة من الالات والادوات الزراعيه كما عثر على مقص حديدي دقيق الصنع ربما كان هو اقدم ماعثر عليه من هذا النوع في جميع حفريات مواقع الحضارات القديمة . اضافة الى سنج (وزنات) زجاجيه واضح انها كانت تستخدم في وزن الذهب .

---

(١٠) د/ حسن عيسى عبدالظاهر ـ مصدر سابق .

(١١) المصدر السابق ص ٩٦ .

هذا التقدم الصناعي بما صاحبه من تقنيه عاليه وهذا التطور في نظم الحكم والإدارة والمعمار كان راسخا قبل اكثر من ستة قرون من عقد الدول الاوربيه كل من (فرنسا وانجلترا والنمسا وايطاليا وبلجيكا) مؤتمرا باسم مؤتمر كشف افريقيا وتحضيرها في سبتمبر ١٨٧٦م برئاسة ملك بلجيكا ليوبولد .

كانت غانا مملكة زراعيه الا ان نشاطها في انتاج الذهب . والتبادل التجاري جعل ملوكها على درجة كبيرة اصبحوا يلقبون فيها بملوك الذهب . واصبحت بلادهم تعرف ببلاد الذهب حتى ان كلا من الادريسي في « نزهة المشتاق » وابن الوردي في كتابه (تاريخ ابن الوردي) قد ذكر (انه كانت للملك غانا قطعة كبيره من الذهب كالصخرة العظيمة بها ثقب هو مربط فرس الملك) .

لقد كانت غانا اغنى امبراطوريات وممالك السودان الغربي بلا منازع . وكان موقع عاصمتها كومبي صالح (التي يبدو انها اصبحت العاصمة بعد مدينة غانا) على حدود الصحراء الجنوبية مفيدا في جعلها مركز اتصال تجاري وثقافي بين شمال افريقيا ووسطها . كما ان تحكمها في طرق القوافل المؤدية الى مناجم الذهب في المنطقة الواقعة جنوب غرب غانا افادها كثيرا فاصبحت اكبر سوق تجاريه في بلاد السودان .

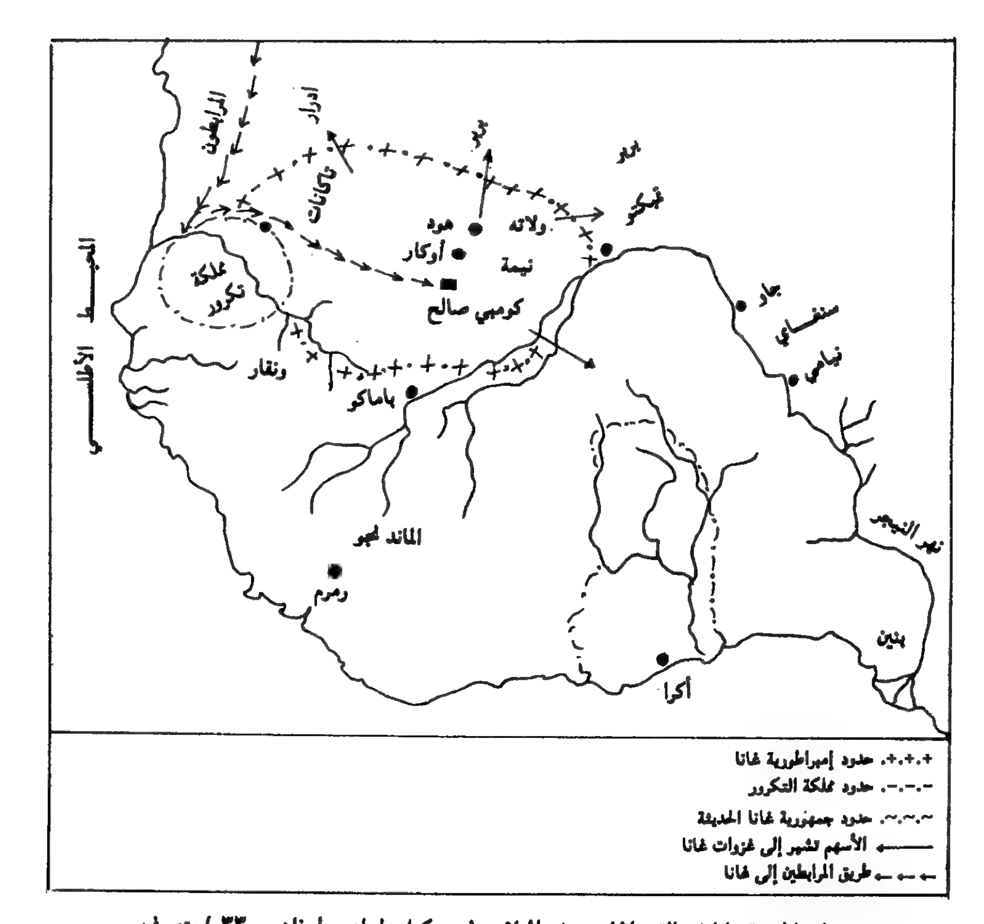
تاجرت غانا مع جميع المدن الهامة في شمال افريقيا مثل طرابلس واوجيلا وسجلماسه بل ان تلك المدن كانت ثغورا للصحراء الكبرى امدت بلاد البحر المتوسط بمنتوجات غانا من الذهب والعاج والكولا والجلود والصمغ والعسل والقطن والقمح والدقيق .

ولان غانا بحكم موقعها معبراً تجارياً هاماً استطاعت ان تطور نظاما متقدما للضرائب واقامت نظاما دقيقا للجمارك التي كانت تتقاضاها على كل من التجارة الداخلية والخارجية .

ولما كانت السلطة والثراء مفسدتان كبيرتان اذا لم يكن الوازع الديني بالمستوى الذي يكبح جماحهما فقد انشغل الحكام المتأخرون في غانا بالحياة وملذاتها . وتفشت عندهم تجارة الرقيق ودخلت العادات والممارسات الضاله ففسدوا . وضعفت الدوله . وتمردت اقاليمها على السلطة المركزية ، وشقت عصا الطاعه عليها . ثم ضرب الجفاف اطراف الامبراطوريه وزحف التصحر تدريجيا على مناطق شمال حوض نهر السنغال فاضطر الناس للهجرة والتفرق .

وفي مطلع القرن الثالث عشر الميلادي تعرضت غانا لغزو من قبائل الصوصو الوثنية القادمة من الجنوب . والذين استولوا على العاصمة كومبي صالح عام ١٢٠٣م ثم جاءت النهاية في منتصف نفس القرن على ايدي (ماري جاطه) مؤسس امبراطورية مالي . بعد معركة فاصلة مع الصوص عام ١٢٣٥م والذي استولى على العاصمة كومبي صالح في عام ١٢٤٠م .

ولان ماري جاطه كان مسلما فانه لم يتعقب المسلمين الذين خرجوا من غانا بعد سقوطها في ايدي الصوص . وانشأوا مدينة اسلاميه في ولايته لتظل شعلة الاسلام مضيئة والله سبحانه وتعالى متم نوره ولو كره الكافرون . اختفت غانا منذ ذلك التاريخ من مسرح الاحداث السياسية . واليوم تقوم على انقاض الامبراطورية الاسلامية جمهوريتا مالي وموريتانيا الحاليتين فتضم موريتانيا الحديثة معظم الجزء الشمالي الغربي من امبراطورية غانا القديمة . وفيه اهم مدنها العاصمة كومبي صالح وولاته ونيمه واودغست التي تحولت حاليا اما الى قرى صغيرة او إلى أطلال .



امبراطورية غانا في القرن الحادي عشر الميلادي (عن كتاب ابراهيم طرخان ص ٣٣) بتصرف

دولة مالي

في افريقيا كان الاسلام ومازال اسلاما مجاهدا ، يخوض معركة مستمرة مع اعداء الدعوة الحقة الذين يدركون بسرعة أنها تهدد وجودهم ومصالحهم فيشنون على الاسلام وعلى المبشرين به حربا شعواء ، ويلجأون دائماً الى الحرب الاستنزافية من الداخل ، فبعد غانا تعرضت الممالك الاسلامية في حزام السافنا من المحيط الهندي الى المحيط الاطلسي لدسائس وحروب متصلة ومازالت قائمة إلى يومنا هذا .

من هذه الممالك امبراطورية مالي الاسلامية التي كافح مؤسسوها ليبقوا شعلة الاسلام التي أوقدتها غانا في غرب افريقيا مشتعلة تنير العقول وتهدي القلوب . لكن مالي نفسها آلت الى ماآلت اليه غانا ، وقامت بعدها ممالك ودويلات متفرقة في السهول الواقعة بين الصحراء الكبرى في الشمال والغابة الاستوائية في الجنوب . وغلب حب الجاه والسلطان على النفوس ، فتفشى التكالب على السلطة والاقبال على مباهج الدنيا ومغرياتها ، ولم ينته القرن التاسع عشر الا وقد سيطرت أوروبا النصرانية المسيحية على المنطقة بأكملها ... استولت على السلطة والموارد والثروات لكن العقيدة مازالت حية تجاهد وتزداد توهجا وإنتشارا .

تعد دولة مالي من أقوى وأغنى الدول التي قامت في غرب افريقيا ، ويميزها عن غيرها الدور الكبير الذي نهضت به لتوحيد القبائل الزنجية داخل وحدات وولايات أو ممالك ، وكذلك الدور البارز الذي قامت به في نشر الاسلام والدعوة له في جميع بلاد غربي افريقيا[1] .

ويعد المستشرق دونتالدفيدنر ظهور دولة مالي (وهي ليست مالي الحالية

(١) - د/ ابراهيم على طرخان - دولة مالي الاسلامية - القاهرة - ١٩٧٣م ص ٢٥ .

وازدهارها أعظم ميزة لأعظم فترات التاريخ الافريقي تطورا وتقدما) جاء ذلك في كتابه تاريخ افريقيا جنوب الصحراء .

ولقد اسس دولة مالي قبائل الماندنجو (Mandingo) وقد سادت هذه القبائل لبضعة قرون في المنطقة الفسيحة الممتدة من نهر النيجر شرقا الى المحيط الاطلسي غربا وفي الوديان العليا لنهر السنغال ، وامتدت نحو الجنوب الى حوالي خط عرض (٩) شمالا ، والتسمية المتداولة بين قبائل الماندنجو هي المانـنكا (Manenka) وقد اختلف المؤرخون في كتابة ونطق الاسم ، فكتبوه الماندنكا (Mandinka)والماندون (Mandin) وماندنج (Mandeng) ومانـنج (Maning) وماندنجا (Mandenga) وهي متقاربة والاختلاف في رأينا لا يعود لتعدد الاسماء بقدر ما هو ناتج عن اختلاف النطق لدى من كتبوا فيه . وكلمة ماندي (Mandh) تتكون من مقطعين (ما) و (دي) وحرف الربط (ن) و (دي) تعنى في لغة السوننك عند أو في و (ما) السيد أي عند السيد أو في مركز اقامة السيد ، وعموما كلمة ماندي مصطلح لغوي اكثر منه جنسا فهو يطلق ويقصد به القبائل المتحدثة بلغة الماند .

والمالنك والبامباره والديولا والسوننك والبامباره او البانان هي اهم فروع الماندجو وهي التي نهضت في القرن السابع عشر الميلادي بعد زوال دولة مالي واعتبرت امتداداً لها ، كما اعتبرت اخر ممثل سياسي لدولة مالي التاريخية وذلك خلال هجمة الاستعمار الاوربي على افريقيا [٢] .

وتنتشر لغة الماندجو في العصر الحاضر في المناطق الجبلية باعالي نهر السنغال وتتركز القبائل المتكلمة بها في اقليم سانجاران وبلمبول ووادي جامبيا الادنى.

---

(٢) المصدر السابق ص ٢٧ .

وكلمة (مالي) او (مــل) وهي ماشتهرت به هذه الدوله في الكتب العربية والاجنبيــة هي تحـريف لكلمــة مـاندي ، كـمـا اشـتـهـرت دولة مـالي باسم بلاد التكرور والتـكرور (٣) قــد تكون احــدى المدن او المــالك او الاقــاليم التي خضعت لسيادة مـالي .

فـدولــة (مــالي) اشـتــهـرت باكـثـر من اسـم فـهي دولــة (الماندنجـو) ودولــة (مــل) ، و (مــلي) ثم هي (مملكة التـكرور) ، وتاريخ بدء هذه الدولة غــير محـدد ولكن سجلها من القرن الســابع الميلادي حتى بلغت ذروة مجدها خلال القرن الرابع عشر الميلادي ، وقد تداول على حكم هذه الدولة ما لا يقل عن ثمــاني اسـر منهـا اســرة كــوروـمـا (Kuruma) واســـرة ديارا (Diara) واسـرة مـوروكـو (Moroco) واســرة كــامـارا (Kamara) واسرة باكايوكو (Bakayoko) وهي اسر لم تتوافر معلومات عنها واسرة التـراورين (Taraore) وظهـرت في منطقـة كبرى باعـالي نهـر السنغـال ، واتخذت من مـدينة نياجاسـو عـاصـمـة لهـا . وتقع عند اعـالي نهـر باخوي احد فروع نهر السنغال .

ثم ظهرت اسرة الكونانين او الكونين (Conate) وكونت (مملكة دو) في اقليم (Douclougou) واتخدت من مدينة طابو (Tabou) عاصمة لها وظهرت بعد ذلك اسرة كيتا (Keita) وهي اهم الاسـر في تاريخ دولـة مــالي . فــهي صـاحـبـة الفـضـل في نكوين دولــة مـتـرامـيـة الاطراف ، وســلف اسـرة كـيـتـا شـخـص يدعى موسـى ديجـيـو . ويقـول الرحالة دولا فـوس (Dola Foss) انه حـكم مــالي في الفــتــرة من ١٢٠٠م حــتـى ١٢١٨م ، وانه من ســلالة بلال الحبشي مؤذن الرســول (ص) ولكن الروايات المتواترة عن اصول

(٣) د/عبده بدوي مع حركة الاسلام في افريقيا القاهرة ١٩٧٠م ص ١٥٦ .

(٤) د/ابراهيم علي طرخان مصدر سابق ص ٣٣ .

اسرة كيتا تشير الى انها من سلالة على بن ابي طالب رضي الله عنه .

وتعـرضت مـالي في عـهـد هذه الاسر لعدد من الهـجـمـات من جـانب سومانجورو امبراطور الصوص الوثنيين الذين قضوا على دولة غانا . وسيطروا عليها في النهاية الى ان جاء احد احفاد هذه الاسره . وهو مسلم يدعى ماري جـاطة . وتمكن من الانتـصـار على امـبـراطورية الصـوصـو [٥] واسـتـولى على اقاليمها ثم بعد ذلك وسع ماري جاطة من دائـرة حكمـه واعاد . امـبـراطورية غـانا بعـد أن خلصـهـا من حكم الصـوصـو للمـسلمين . واسـتـمـرت فـتـوحاته وعند وفـاته عـام ١٢٥٥م نـتـيـجـة تناوله طعامـا فـاسـدا كـانت دولة مـالي تمتـد من بـلاد الجـلف غـربا على المحـيط الاطلسي إلى أواسط النيـجـر شـرقـا . ومن فاتا جالون جنوبا الى كومبي صالح عـاصمة غانا القديمة شمالا وتقدر مساحة دولة ماري جاطة التي اطلق عليها اسـم مـالي الجنوبية مسـاحة أوروبا مجتمعه وقد اتخذ من نياني عاصمة له بعد أن كانت كانجابا .

لم يكن المرابطون هم أول من أدخل الاسـلام الى بلاد السـودان كـمـا هو متواتر في القـرن الحادي عشر الميلادي . بل ان الاسـلام وصل الى هذه البلاد في القرن الأول الهجري (القـرن السـابع الميلادي) [٦] .

وقد أشار أحمد بابا مؤرخ دولـة سنغاي الى وجود ١٢ مسجداً في غانا حوالي عـام ٦٠ هـ (٦٧٩م) كـمـا تشـيـر الدراسـات المعـروفـة الى ان امـبـراطورية اودغست الاسلامية التي كونها السـوننك احد فروع الماندنجو قامت بدور كبير في نشر الاسـلام في القرن التاسـع الميلادي .

وقد أدخل الاسلام هناك التجار المسلمون ، والدعاة الذين جاءوا من وادي

---

(٥) د/ عبدالرحمن زكي تاريخ الدول الاسلامية السودانية في غرب افريقيا ـ القاهرة ١٩٦١م ص ١٠١ .

(٦) - د/ ابراهيم طرخان مصدر سابق ص ٤٧ .

النيل ومن شبه الجزيرة العربية وبـلاد المغرب ، وكان للفتح الاسلامي في بلاد المغرب اثر كـبيـر في دفـع المسلمين شمـالا حتى الاندلس وفرنسا وجنوبا حتى بلاد السـودان . ثم جاء دور المرابطين في القرن الحادي عشر الميـلادي ليقوي الاسـلام بين الوثنيين بل شـمل ايضـا اصـلاح عـقـيـدة المسلمين الذين اعـتنقـوا الاسلام ولم يلتـزمـوا بأحكامـه ، وارسلوا العلمـاء بين قـبـائل اقليم (السـاقنا حـاليـا) لبث العـقـيـدة الصـحـيـحـة ، وبفـضلهم نشطت الاتصـالات التجـارية والثقافـية بين بـلاد السـودان وبين العالم الاسـلامي . مما اتاح الفرصـة لنشـر الافكار المتطورة . والمدنيـة الاسلامية بين الافارقـة . وانشأ المرابطون مـدينة (تنبكتو) على منحنى نهر النيجر والتي كانت مركزا اسلاميا ثقافيا وتجاريا في بـلاد السـودان . وقد بلغت دولة مـالي أوج نـهـضـتـهـا وقـوتـهـا في عـهـد منسـا مـوسى (٧١٢هـ ـ ٧٣٨ هـ) (١٣١٢هـ ((١٣٣٧م) [٨] وتوسعت دولته وأصبحت مساحتها تعادل مساحة أوروبا جميعها وقد حج واشتهر بالتقى والصلاح .

ولعل من أبرز سـمـات انتـشـار الاسـلام في بلاد السـودان أنه ابتـدأ بالطبقات العليا والاسر الحاكمة ثم انتشر بعد ذلك بين الرعـايا ، وانتشر عن طريق الدعـوة والموعظة الحـسنة وليس عن طريق السـيف كـمـا يزعم اعـداء الاسلام . وقصة اسلام احد مـلوك مـالي والتي أوردتها كـتابات غربيين نقلا عن الروايات العربية توضح لنا هذه الحقيقة [٩]. ويورد المؤرخ أبو عبدالله بن عـبدالعزيز البكري (١٠٩٤م) في كـتـابه المسالك والممالك قـصـة اسلام هذا الملك فيقول . . . (عرف ملك مالي بالمسلماني ، لأن بـلاده اجدبت عاما بعد

---

(٧) – د/ عبده بدوي مصدر سـابق ص ١٥٧ .

(٨) – د/ عبدالرحمن زكي مصدر سـابق ص ١٠٣ .

(٩) – د/ ابراهيم علي طرخان مصدر سابق ص ٥٠ .

عام فاستسقوا بقرابينهم من البقر حتى كادوا يفنونها ، وكان عندهم ضيف من المسلمين يقرأ القرآن ويعلم السنة فشكا اليه الملك ماداهمهم من ذلك .

فقال له (ايها الملك لو آمنت بالله تعالى واقررت بوحدانيته وبمحمد عليه الصلاة والسلام ، واقررت برسالته ، واعتقدت شرائع الاسلام كلها ، لرجوت لك الفرج مما أنت فيه وحل بك ، وأن تعم الرحمة أهل بلدك وأن يحسدك على ذلك من عاداك وناواك ، فلم يزل به حتى أسلم وأخلص نيته ، واقرأه من كتاب الله ماتيسر عليه وعلمه من الفرائض والسنن ما لايسع جهله ، ثم أمهله الى ليلة الجمعة فأمره فتطهر فيها طهرا سابغا والبسه المسلم ثوب قطن كان عنده ، وبرزا الى ربوة من الأرض ، فقام المسلم يصلي والملك عن يمينه يأتم به ، فصليا من الليل ماشاء الله ، والمسلم يدعو والملك يؤمن فما انفلج الصباح الا والله قد اعمهم بالسقي ، فأمر الملك بكسر الدكاكير (أي الأصنام) واخرج السحرة من بلاده ، وصح اسلامه واسلام عقبة وخاصته ، وأهل مملكته مشركون فوسموا ملكهم منذ ذلك الوقت بالمسلماني) .

وتقول رواية البكري أنها قصة اسلام أول ملوك مالي والذي اسماه المؤرخون باسم برمندانه . ولكن ابن خلدون كان اكثر دقة حين قال (ان برمندانه هذا كان أول من حج من ملوك مالي وليس أول من اسلم) ورواية البكري توضح ايضا ان الاسلام لم يكن غريبا في مالي ، عندما اسلم هذا الملك ، وتقول روايات أخرى أن مؤسس اسرة التروين التي حكمت مالي واسمه منسانو من تراورا قد اعتنق الاسلام ، واسرة الترورين سبقت اسرة الكونانيين في حكم مآلي .

وكان الماندنجو من أكثر شعوب غرب افريقيا تمسكا بالاسلام وتحمسا له . وازداد انتشاره بهم واصبح دين الدولة الرسمي ، ومن مظاهر تمسك

شعب مـالي بالاسـلام شـدة الحـرص على تعليم القرآن للصبيه ، وقد شهد ابن بطوطه خلال رحلتـه في مـالي عـام ١٣٥٢م ـ ١٣٥٣م كثيرا من هذه المظاهر ، منها أنه دخل على قـاضي مـالي يوم العيد فوجد اولاده في القيود فقال : الا تسرحهم ؟ فأجابه القاضي لا أفعل حتى يحفظوا القرآن (١٠) .

ومر ذات يوم وهو في مالي بشاب حسن الصورة وعليه ثياب فاخرة وفي رجليه قيد ثقيل ، فسأل مرافقه عما ارتكبه هذا الشاب من جرم فقال أنه قيد حتى ينتهي من حفظ القرآن ، وشهد ابن بطوطه صلاة الجمعه ومدى ازدحام المصلين ، كمـا كان علمـاء المسلمين يتمتعون بمكانة رفيعة لدى دولة مـالي ، وأورد عبدالرحمن ابن عامر السعدي في كتابه تاريخ السودان ، انه كان يوجد في مملكة جني التي كـان يحكمـهـا ملك الماندنجـو حوالي ٤٢٠٠ عـالـم . وهو مايدل دلالة واضحة على نشاط الدعوة الاسلامية . واعتنت دولة مـالي ببناء المسـاجـد حـتى صـار في كل مـدينة مـسـجـد أو أكـثـر ، وبلغ اهتـمـام بعض السلاطين حد الاكثار في بنائها حتى أن السلطان منسي موسى (١٣٠٧هـ ـ ١٣٣٢م) كان يبني مسجدا في كل مكان تدركه صلاة الجمعة فيه ، وعمرت المساجد بالمصلين ، ويقول ابن بطوطه أنه اذا كان يوم الجمعه ولم يبكر الانسان الى المسجد لم يجد أين يصلي لكثرة الزحام (١١) .

وكانت سماحة الاسلام هي السبب الرئيسي في انتشاره بين الافارقة ، فالاســـلام في ذلك الوقت انتشربين اقـوى القبـائل واعظمها شـأنا ، وكان بامكانهم مقاومته بالقوة لو انه دخل اليهم بالقوة عن طريقا لغزو كما يدعي اعداء الاسلام وقد ارتفع بهم الاسلام وادى الى قيام اكبر واقوى الحضارات في

---

(١٠) - مصدر سابق ص ٥٨ .

(١١) د/ حسن عيسى عبدالظاهر ـ الدعوة الاسلامية في غرب افريقيا وقيام دولة الفولاني ص ١٠١/١٠٢ .

البلادالسودان.

ولقـد جـاء الاسـلام الى الزنوج وهم سـادة في اوطانهم يتـمـتـعـون بكامل الحرية والاسـتـقلال والسـيادة والقـوة ، ولم يسـتـخدم معـهم دعـاة الاسـلام القوة والقسر قط ولكنهم قبلوه واعتقنوه عن رضا واقتناع .[١٢]

ويقـول المـؤرخ الليـبـري القـس بليـدن (Blydn) فـي كـتـابـه (Christiani, Islam & the Negro Race) اذا دخل المعلم المسلم قرية وثنية بكتبه واوراقه ومسبحته سرعان مايلتف حوله الناس . وسرعان مايبدأ في حل مشـاكلهم ، واذا عـرض الاسـلام على الوثني كـان لـه أن يختـار بين القـبـول أو الرفض . ولم يكن مع المسلمين نقـود للرشوة او وعـود جوفاء فـقد دعـوا لدينهم في هدوء) .

وقد كـان الدعاة المسلمون يمتزجون بالزنوج بالمصاهرة والاختلاط . ويذوبون بالمجـتـمع الافـريقي دون قـهـر او ضـغط لذلك تقبل الافـارقـه الاسـلام وقـامـوا بدورهم بنشـره بين مـواطنيـهم . ويقـول د/ابراهيم علي طرخـان في كـتـابـه (دولة مـالي الاسلامـيـة) : إن سر انتـشـار الاسـلام ايضـاً انه لم يؤد الى تدمـيـر النظم المحلية القـائمة ، مما ساعـد على قـوة البنـاء الاسلامي الذي قام في افريقيه لانه اسـتـند الى البنـاء الوطني ولم يدع الى هدمـه ، بـل ان المواطنين انفـسـهـم هم الذين اختاروا الصورة الجديدة للحياة) .

ويعلق احد الدعاة الى النصرانية على سرعة انتشار الاسلام في افريقيـا بقوله :ان السر في نجاح الدعاة المسلمين في مهمتهم في افريقيا السـوداء هو انهم احـتـرمـوا العـادات والتـقـاليـد المحليـة ، ولم يحـتـقـروها وهذا مـاينبـغي ان تحذوا البعثات التنصيريه المحليه حذوه .[١٢]

---

(١٢) المرجع السـابق .

ومن عوامل سرعة انتصار الاسلام ايضاً ان البلاد الاصلية التي جاء منها الاسلام وهي الحجاز ومصر وبلاد المغرب لم تدع اي نوع من انواع السيادة او الحماية . فالاسلام في افريقيا السوداء تراث الوطنيين . وهم ساده على انفسهم وعلى بلادهم على عكس مافعلت البعثات التنصيرية . ويقول القس الليبيري بليدين (لقد جاءت المسيحية الى الافريقي باعتباره عبداً . وعلى الاقل بوصفه خاضعا محكوما فتعلم الزنجي وبنوه من بعده بجانب تعاليم المسيحية انه جنس منحط عديم الاهلية والكفاءة) . ويقول في موضع آخر في كتابه (المسيحية والاسلام والجنس الزنجي) لقد دهم المستعمر الاوربي الوطنيين الافارقة واجبرهم على اعتناق المسيحية بمختلف الوسائل والاغراء واستولى على بلادهم بالعسف والقهر والتفرقة . وانزلهم منزلة دون منازل (الانسانية) .

ولم يشعر الافريقي المسلم ان الاسلام يقطعه عن ماضيه وعن مجتمعه ، بينما الاستعمار الاوربي جعل المسيحي الافريقي حائراً فلا هو قريب من مجتمعه ولا هو مقبول عند المستعمر الاوربي لكي ينتسب الى الحضارة الاوربية ، فحرمه المستعمر الثقافة المعقولة والحقوق الانسانية الطبيعية المتاحة للمسيحي الابيض . وذلك عكس الاسلام الذي اعترف منذ فجر ظهوره في افريقيا بالمساواة التامة . وكفل للمسلمين جميع حقوقهم دون نظر الى لون أو جنس . وقد حققت دولة مالي الاسلامية طفره حضاريه كبرى في منطقة غرب افريقيا وشهدت انظمة مستقره للحكم والقضاء والدبلوماسية (الاسفار) ونظما ماليه واقتصادية وحربية قوية ومستقره . ويقول العمرو القلقشندي (بهذه المملكة الوزراء والقضاء والكتاب والدواوين . والسلطان لا يكتب شيئا في الغالب بل يكل كل الامر الى صاحب وظيفة من

هـؤلاء) [١٣] .

وعرفت حكومة مالي التخصص في الإدارة وكانت تتكون من ١٤ أقليما . وكانت الوحدة الإدارية في تنظيم هذه الدولـة المترامية الاطـراف هي (الدجو Dugu) اي القرية ومجموعة القرى وضواحيها تعرف باسم الكافو (Kafo) اي الاقليم او المقـاطعـة ومـجـمـوعـة الاقـاليم تـكون مـا يعـرف باسـم الديامـانا (Dinmana) اي الولاية او المملكة ومـالي كانت تعد احدى الولايات .

وكان نظام القضاء في مالي نظاما دقيقا وكان محل إهتمام السلطان وقد وجد القضاة من الافارقة وغيرهم . وكان القاضي الاعلى مستشارا للسلطان ، وكانت بعض القضايا تستأنف للنظر امام السلطان نفسه .

كما عرفت مـالي الجيش العـامـل ونظمـتـه ودربته احسن تنظيم وتدريب وكـان يتكون من الفـرسـان والرجـاله ويقـسـم الى فـرق وعلى كل فـرقـه ضـابط . والاسلحة كانت السيوف والحراب والقسي والنشاب ويقال ان عدد جيش مـالي بلغ ألف جندي وهو رقم كـبـيـر جـدا اذا قـورن بعـدد سكان الدوله في ذلك الوقـت .

اما الحيـاة الاقـتـصـادية فكانت تقوم على التـجـارة والزراعـة واسـتـثـمـار الثروات الطبيعية وفي مقدمتها استخراج الذهب والنحاس والملح .

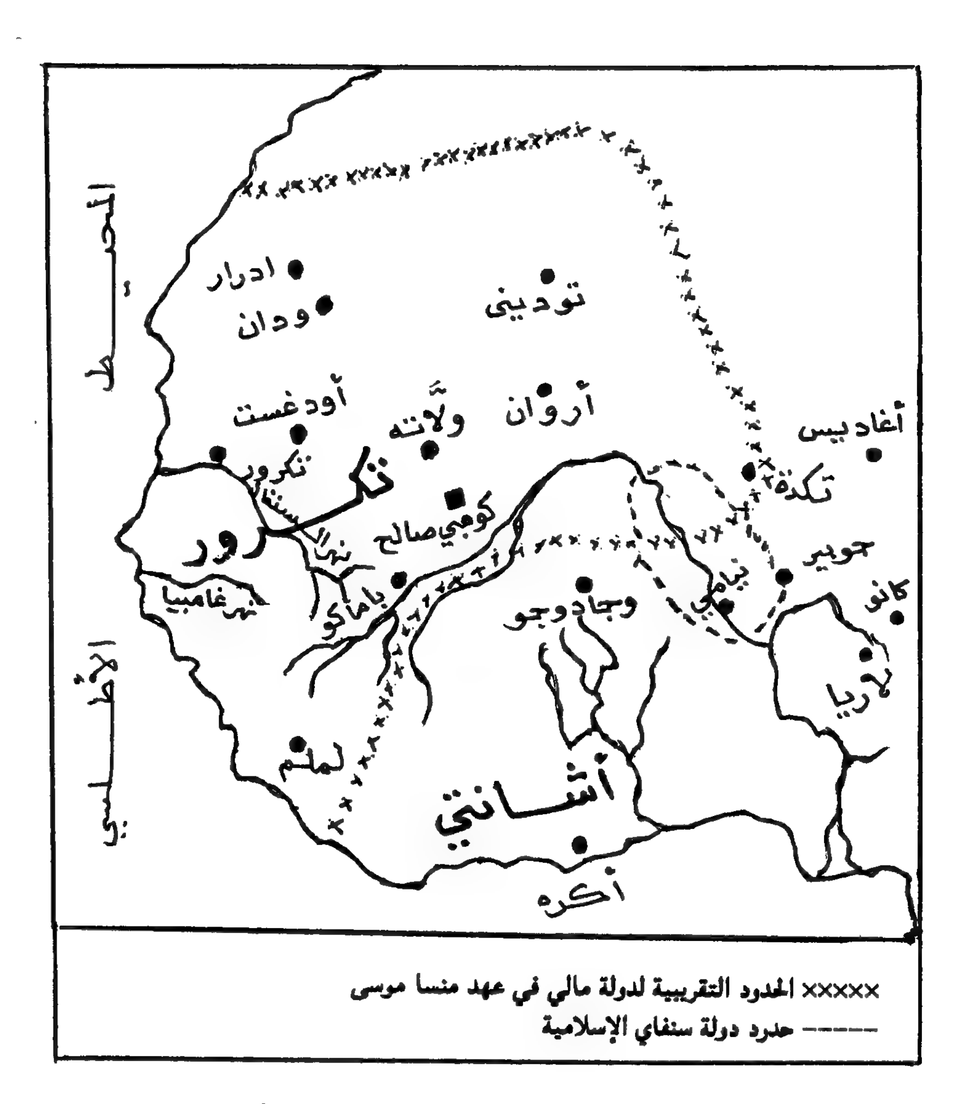
وقـد عـلق بعض كـتـاب الغـرب على نجاح حكومـة مـال كنموذج للحكومـات القومية في غربي افريقيا وبانه دليل واقعي على قدرة الافـريقيين على تنظيم شئونهم وادارة حكوماتهم ذوات المسئوليات الضخمـة .

البعد عن الاسـلام وانهيار مـالي :

بدأت عـوامل الضـعف تدب في دولـة مـالي بسـبب بعـد حكامـهـا وخاصـة في عهـد مـاري جاطـة عن تعاليم الاسـلام وافتتن الحكام بكثرة المـال

---

(١٣) د/ ابراهيم طوخان دولة مالي الاسلامية مصدر سابق ص ١٢٥ ـ ١٢٩ .



عن كتاب دولة مالي للدكتور ابراهيم طرخان (ص ٧٨) بتصرف

والجاه والبحث عن الملذات واشباع الشهوات .

هذا بالإضافة إلى فساد الحكام واسرافهم وتفشي والانحلال الاخلاقي ، وروي ابن بطوطه انه كان يرى الغلمان والجواري تقدم الاكل للسلطان وللامراء وهم عرايا تماما . بالإضافة الى نقطة ضعف اخرى وهي ان الحكم كان وراثيا . وذكر ذلك الملك منسي موسى لابن امير حاجب في مصر (نحن اهل بيت يتوارث الملك وان اغلب حالهم في ذلك ان يورث ابن الاخت) (١٤).

ونتيجة لهذا الحكم الاستبدادي صارت ثروة البلد الرئيسية ملكا للحاكم . ويقول ابن امير حاجب (وحدثني السلطان ان الذهب له متحصلة كالقطعيه الا ما يأخذه اهل تلك البلاد منه على سبيل السرقه) .

وجاء اول معول في هدم دولة مالي عندما انفصلت سنغاي عام ١٣٥٥م وهي الدولة التي ورثت فيما بعد ملك دولة مالي في غرب افريقيا .

---

(١٤) د / حسن عيسى عبدالظاهر ـ مصدر سابق ص ١٠٧ .

(٣) دولة سنغاى

دولة سنغاي (وتكتب ايضا سنغي وصنغي) من الدول الافريقية التي ازدهرت بالاسلام . وقد بدأت تاريخيا في القرون الميلادية الاولى الا انها بلغت اوج حضارتها وتقدمها بعد دخول الاسلام اليها في القرن الهجري الاول (السابع الميلادي) . واستمرت حتى عهد قريب اذ كان لها وجود فعلي ومؤثر في منطقة غربي افريقيا حتى عام ١٥٩١م اي قرب نهاية القرن السادس عشر الميلادي . وكان لوجودها تأثير واضح في تأخير وصول الاستعمار الاوربي الى المناطق الداخلية في القارة الافريقية . وقد عاصرت دولة سنغاي دولتي غانا ومالي . وخضعت في بعض الفترات لحكم دولة مالي . وكان ذلك مابين عامي ١٢٥٥ ـ ١٢٧٠م ثم استعادت استقلالها . ولكنها بعد فترة قصيرة خضعت مره اخرى لحكم دولة مالي في الفترة مابين ١٢٨٥ ـ ١٣٠٠ هـ ولكن توسعت دولة سنغاي في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي وبلغت اوج مجدها عقب انتهاء دولتي غانا ومالي .

ويرى غالبية الباحثين ان اسم دولة سنغاي يرجع الى قبيلة صنهاجة العربية التي هاجرت في بداية القرون الميلادية الاولى الى افريقيا . وقد دخل الاسلام الى دولة سنغاي مثلما دخل الى الدول الافريقية الاخرى مع التجار المسلمين . وقد ساعد على انتشار الاسلام في هذه الدوله وقوعها على طريق (تادقلة) [1] الذي كان بمثابة طريق تجاري دولي يربط بين شمال القارة وجنوبها . وهذا الطريق لم يقف تأثيره عند حد التبادل التجاري وإنما تحول الى ما يمكن تسميته بطريق ثقافي يتدفق منه الدعاة المسلمون الى افريقيا متخذين

---

(١) د/ عبدالرحمن زكي ـ تاريخ الدولة الاسلامية السودانية في غرب افريقيا القاهرة ١٩٦١ م ص ١٣٣ ـ د/ عبدالرحمن عبد الله الشيخ دول الاسلام وحضارته في غرب افريقيا ـ دار اللواء للتوزيع والنشر ـ الرياض ـ ١٩٨٣م / ١٤٠٣ هـ ص ٦٩ .

من سنغاي محطة للذهاب والإياب .

وكان الدعاة المسلمون ينطلقون من المناطق المجاوره لنهر النيجر - وهو رابع اكبر انهار افريقيا) بعد نهر النيل ونهر الكنغو ونهر السنغال) . وكان المواطنون الافارقة يستبشرون بمقدمهم ويرحبون بهم فقد سمعوا عن هذا الدين الجديد الذي لا يتدفق قرآنا واحاديث من افواههم فقط وإنما يتدفق كذلك منطقا مطهرا وسلوكا قويما في كل ما يأخذون به من سبل الحياة . وقد اقبل الافارقة ملوكا وامراء ومواطنيين على اعتناق الاسلام وتحمسوا له فقد وجدوا في الاسلام ما يكرم انسانيتهم ومايطهر روحهم وما يحملهم على التماسك والترابط وممارسة الحياة في سلام وامان [٢] .

وبلغت دولة سنغاي اوج تقدمها في عهد الحاكم سن علي (١٤٦٤-١٤٩٢م) وهو ينتمي الى اسرة تسمى (زا) وحكمت الدولة بعد حكم اسرة (لمظه) والتي ترجع جذورها الى اصول مغربية [٣] .

على الصعيد الاقتصادي حققت سنغاي ازدهارا كبيرا بسبب مايمكن ان نسميه تنوع القاعده الإقتصاديه . حيث اعتمدت الدولة على اربعة مصادر هي التعدين (وكان يتركز على استخراج الذهب والملح) ، ثم الزراعة (حيث ساعد اتساع رقعة الدولة على تنوع المحاصيل) ثم التجارة وقد ازدهرت لسيطرة الدولة على طرق التجارة الرئيسية بين الشمال والجنوب .... ثم الصناعة حيث عرفت الدولة صناعة المنسوجات التيلية والقطنية وصناعة دبغ الجلود وهذا يؤكد كذب المزاعم الاوربية القائلة بان افريقيا حين دخلها الاوروبيون كان يسكنها مجموعات قبلية متناثرة من العراة الحفاة

(٢) د / عبده بدوي - مع حركة الاسلام في افريقيا مصدر سابق ص ١٦٢ .

(٣) المصدر السابق ص ١٦٣ .

المتوحشين [٤] .

وعلى الصعيد السياسي استفاد اهل سنغاي من انظمة الدول الاسلامية المجاورة (وخاصة غانا ومالي)

وطوروها بما يتفق واحتياجاتهم . وتمكن حكام سنغاي من القضاء على النظام القبلي الذي كان سائدا في ذلك الوقت . وادارة الدولة على اسس مركزية في . الامور الهامة والتشريع ولا مركزية في التنفيذ . وتم تقسيم الدولة في عهد أسكايا محمد علي الى إربعة أقاليم هي : دندي ، بالا ، كومينا ، نبك ، وكان لكل أقليم حاكم يعين من يعاونونه في إدارة شئون الأقاليم .

وإما الجيش في دولة سنغاي فكان تنظيمه دقيقا ويتشكل من فرسان وفرق وطوارئ يركبون الجمال ، وفرق مشاة والفرق المتطوعة وهي تتطوع بنفسها للجهاد أثناء الأخطار التي تتعرض لها الدولة ، وكان التجنيد إجبارياً على كل قادر على حمل السلاح .

وعلى الصعيد العلمي شهدت دولة سنغاي ازدهاراً كبيراً في الجانب الثقافي والعلمي وكانت تنبكتو وجيني من المراكز الثقافية التي يشار إليها بالبنان ، وعرفت سنغاي البعثات العلمية الخارجية حيث كانت تبعث طلابها الى كل من مصر والمغرب لتحصيل العلم وكانت توليهم عند عودتهم ارفع المناصب .

---

(٤) د/عبدالرحمن عبدالله اشيخ – مصدر سابق صـ ٧٤ .

(٥) المصدر السابق صـ ٧٥ .

(٤) دولـة كانـم

شهد القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) ميلاد دولة قوية في منطقة المراعي بين نهري النيل والنيجر .

وتقع في الشمال الشرقي من بحيرة تشاد ، وتسمى دولة كانم وقد هيأ لها موقعها من بحيرة تشاد شهرة واسعة وأصبحت يطلق عليها اسم دولة مفترق الطريق العظيم لأفريقيا الإستوائية [٦] .

وكان لموقع هذه الدولة أثره في استقبال الهجرات القادمة من كل مكان من الشرق والشمال . وكانت قمة هذه الهجرات الأسرة السيفية التي تنسب الى سيف بن ذي يزن من الشمال ، فقد استطاعت هذه الأسرة أن تقف على قمة الأحداث هناك . وأن تنتهج اسلوباً جديداً على هذه المنطقة من اساليب الحكم ، يتمثل في تجميع الحكم في يد مجلس شورى مكون من (١٢) شخصاً من الأسرة الحاكمة ثم يرفع المجلس هذه القضايا يدوره الى السلطان للبت فيها[٧] .

ولقد تعمق الإسلام في نفوسهم الى حد أن ام السلطان بري الأول قد أودعته السجن لأنه اكتفى بسجن بعض اللصوص ولم يطبق عليهم حد السرقة المقرر في الإسلام [٨] .

وقد تمكن الكانميون من الخروج من اقليميتهم وإقاموا علاقات وثيقة مع الرباط وتونس والقاهرة وبغداد ، وقد استمرت هذه الدولة قوية باسلامها . ولكن الضعف بدأ يدب فيها في القرن الثالث عشر الميلادي ببعد حكامها عن الأخذ بتعاليم الإسلام . ففتنتهم السلطة وتناحروا عليها حتى اصبحت احدى مقاطعات دولة البرنو في القرن السابع عشر الميلادي .

---

(٦) عبده بدوي - مصدر سابق صـ ١٤٣.

(٧) د/عبدالرحمن زكي -مصدر سابق صـ ١٧٦.

(٨) د/عبده بدوي مصدر سابق صـ ١٤٥.

(٥) دولـة الـبـرنـو

وحول بحيرة تشاد أيضاً قامت دولة اسلاميه منذ مطلع القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) . ظل لها شأن وحضارة واستمرار تاريخي حتى مطلع القرن العشرين . تلك هي دولة البرنو التي شملت أجزاء من أربع دول أفريقية حالية . وهي مناطق من شمال شرق نيجيريا وجنوب غرب تشاد وجنوب شرق النيجر وجانب من شمال الكاميرون ، وما زال الجزء الشمالي من نيجيريا يحمل اسم (البرنو) ذي الدلالة التاريخية والحضارية التليدة .

وتعتبر الأسرة السيفية (نسبة إلى سيف بن ذي يزن) . والتي حكمت دولة كانم في شرق بحيرة تشاد التي توسعت حتى على غرب البحيرة هي المؤسس الحقيقي لدولة البرنو [٩]. والكثير من المؤرخين يؤرخون لدولتي كانم والبرنو على أنهما امبراطورية واحدة سيطرت على حكمها أسرة واحدة هي الاسرة السيفية . التي ظلت تحكم البرنو حتى مطلع القرن التاسع عشر الميلادي . فالسلطان السيفي أحمد بن علي ظل يحكم من عام ١٧٩٣م حتى عام ١٨١٠م حين تعرضت دولته لغزوات خارجية أهمها غزوات الفولانيين . وتعرض السلطان أحمد بن علي للهزيمة على أيديهم في موقعه بالقرب من قصر (اكسمو) . وهرب السلطان إلى (كترنوه) . ولكن الشيخ محمد بن الأمين الكانمي تمكن من تجهيز فرقة من الكانميين وصد الفولانيين وتمكن من إجلائهم عن الجزء الشرقي من البرنو بعد انتصاره عليهم في موقعه عند (نكرنو) . وأعادالسلطان أحمد بن علي إلى عاصمة الملك ومن ثم أصبح الكانمي عام ١٨٣٩م ملكا وخلفه ابنه الشيخ عمر الذي قضى على الأسرة السيفية وأصبح هو الحاكم فعلاً واسماً [١٠].

---

(٩) د/عبدالرحمن عبدالله الشيخ مصدر سابق صـ٨٣ .

(١٠) المصدر السابق صـ ٨٧ .

ولكن عوامل الضعف بدأت في أركان الدولة في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي إلى أن وصل إليها في عام ١٨٩٣م القائد السوداني الأصل (رابح فضل الله) . واستطاع أن يكون لنفسه امبراطورية واسعة ولقب نفسه بلقب سلطان برنو وملحقاتها . ولكن الغزاة الأوربيين لم يمهلوه طويلاً . وفي عام ١٨٩٠م حمل عليه الفرنسيون وتمكن من صدهم في عدة معارك . ولكنهم في النهاية تمكنوا من هزيمته وقتله ..وضمت برنو إلى مستعمرة فرنسية أطلق عليها اسم (إفريقيا الاستوائية الفرنسية) .

(٦) دولـة الـفـونـج

اختلف المؤرخـون حـول كلمة (الفونـج) التي أطلقت على سلطنة (سنار). وكانت عاصمتها في مدينة سنار الحالية جنوب الخرطوم ، فقد قيل أنها كلمة في لغـة (الشلك) الذين يقـيـمـون في أعـالي النيل الأزرق، وقـيـل أنهـا لغـة (النوير) على أن المعنى الذي تعبر عنه هذه الكلمة في هذه اللغات جميعاً هو معنى (الغريب) مما يدل على أن المؤسسين لها كانوا وافدين على المنطقة [١٢].

ومما يدل على اشتراك دولة الفونج في مـعـتـرك الأحداث في هذه المنطقة الرسالة التي بعث بها مؤسسهـا عـمـارة دونقس إلى السلطان العثماني سليم الأول،والذي كان يقوم بفتوحاته في هذه المنطقة . فقد جاء فيها (إنني لا أعلم ماالذي يحملك على حربي وامتلاك بلادي ،فـان كان لتأكيد الإسلام فاني وأهل مملكتي عرب مسلمون ، ندين بدين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن كان لغـرض مـادي فـاعلم أن أكثـرأهل مملكتي عـرب بادية، وقـد هاجـروا الى هذه البلاد طلباً للرزق [١٣].

وقـد اسـتـمـرت المناوشـات والحـروب بينهم وبين الحـبـشـة . وقـد جـذبهم الســودان بمراعـيـه وبعـده عن حكام الحبـشـة . ونزلوا الى الســودان الا انـهم لم يقـفـوا كظاهرة منعـزلة ، بل سـارعـوا الى الاندمـاج مع السكان الوطنيين وبالاضـافـة الى سلوكـهم الحـمـيـد أخذوا يتـحـدثون مـعـهم بحب عن الاسلام ويقـدمـون لهم نماذج عـملية عن المواطن المسلم الملتـزم في عـلاقـاته مع ربه ومع الناس من حـولهم . فـتـقـرب الناس منهم وصـاهروهم بلا حـدود. ودخلوا في الاسلام افواجاً، وامام هذا الامتزاج والوحـدة الاسلامية والتي لاتعلوها وحـدة

١١- د/عبده بدوي - مصدر سابق ص ١٤١-١٤٢.
١٢- المصدر السابق -ص١١٩.
١٣- المصدر السابق ص ١٢٠.

اخرى . قوي الاسلام في دولة الفونج التي تحملت مسؤولية ابلاغ هذا الدين لمن حولهم ، وذلك بهدف نشر الاسلام ثم تأمين انفسهم من الحبشة إن ارادت بهم شراً. ومن مملكة علوة المسيحية في شمال السودان الحالية ان ارادت ان تتحرك باسم المسيحية .

وعرفت دولة الفونج الاحلاف لمواجهة التحرشات من الممالك المسيحية فوقع زعيم الفونج (عمارة دونقس) حلفاً مع زعيم مسلم آخر هوعبدالله جماع زعيم العبدلاب . وكان من ثمرة هذا الحلف التصدي لتحرشات مملكة علوة المسيحية وهزيمتها في موقعة (اربجى) شمال الخرطوم ، ثم دخول عاصمة مملكة (المقرة) المسيحية واقامة العبدلاب بها ، وبهذه الموقعة انهار النفوذ المسيحي في جنوب وادي النيل ومنطقة النوبة ، وبحلول عام ١٥٠٥م اقامت مملكة الفونج دولة اسلامية قوية . وهي نواة دولة السودان الحديث تمتد على اقليم الجزيرة الممتدة من سنار الى سوبا في ضواحي الخرطوم الحالية [١٤].

واخذت هذه الدولة بكل اسباب الحضارة . فكان لها نظام حكم قائم على الشريعة الاسلامية وجوهره الشورى.وحظيت بازدهار صناعي وزراعي اكثر . وتجمعت القبائل حولها وكانت تحمل الاسلام الى القبائل الوثنية وتدخل في معارك معهم واستخدموا أسلوباً جديراً بالاعجاب ففي معاركهم مع القبائل الوثنية كانوا يستقدمون الاسرى ثم يطلعونهم على الاسلام ويعلمونهم مبادئه . واذا ما اطمأنوا الى ان الدين الجديد مازج نفوسهم وأضاءها من جميع النواحي ،دفعوا بهم الى المناطق التي قدموا منها ليكونوا دعاة جددالى الاسلام.

١٤- المصدر السابق ص ١٢٢.

(٧) دولة المهدية

كانت دولة المهدية التي اقامها عبدالله بن محمد احمد الملقب بالمهدي في السودان في الربع الاخير من القرن التاسع عشر (اغسطس ١٨٨١م نوفمبر ١٨٩٨م) مرحلة فاصلة في تاريخ افريقيا جنوب الصحراء بصفة خاصة وبصفة عامة . فهي تشكل نهاية مرحلة [١] بدأت منذ قرون عندما اسقطت الدولة الاسلامية في الاندلس ،وتحول وضع المسلمين من الريادة والتقدم الى التبعية والتقهقر ، وبعد ان كانوا مبشرين يدفعون تخوم الاسلام الى الامام في آسيا وافريقيا واوربا ،اصبحوا مدافعين تطارد فلولهم جيوش الصليبية .

فما تشرق شمس الا وينسحبون من أرض جديدة حتى غزتهم الجيوش الصليبية في عقر دارهم ، ولم ينته القرن التاسع عشر حتى استولت اوربا المسيحية بطريقة مباشرة او غير مباشرة على جميع ديار المسلمين ما عدا منطقة أواسط الجزيرة العربية وظلوا يحكمونها حتى منتصف القرن العشرين .

لكن الاسلام بطبيعته لا يستسلم في مثل هذه الظروف الصعبة . فقد هب حماة العقيدة الاسلامية بتسخير من الله العلي القدير ينافحون عنها . ويستميتون في سبيلها فاستطاع المهديون ضمن محاولات اخرى كثيرة مشتته في أرجاء العالم الاسلامي اقامة دولة اسلامية في السودان ، سرعان ما لفتت أنظار الصليبين فتكالبوا عليها . واعتقد الصليبيون ان القضاء على الدولة المهدية هو قضاء على فكرة قيام الدولة في بلاد المسلمين [٢] على اساس الدين . وهو المبدأ الذي اختطه النبي (ص) وهو يقيم دولة المسلمين الاولى في المدينة المنورة امتثالاً لامر الله تعالى ليحكم بما انزل الله ، وسار من بعده

(٢/١) كانت نهاية مرحلة خارج شبه الجزيرة العربية التي كانت الحركة الوهابية فيها في الربع الاول من القرن العشرين محاولة اخرى شجاعة استمات الصليبيون في محاولة اجهاضها مستغلين في ذلك محمد علي باشا وابنائه .

المسلمون على نهجه . يبتعدون عنه حيناً ويقتربون منه احيانا من التطبيق .لكن المبدأ ظل قائماً وعليه قامت جميع الدول والممالك الاسلامية حتى اواسط القرن العاشرالميلادي . تضعف وتقوى . بل ان رمزها ظل حيا في الاستانة الى ان اختفى في سنة ١٩٢٤م حين اسقطت الخلافة الاسلامية .

بغياب شمس الدولة المهدية بدأ ظهور الدولة القومية في موطن الاسلام. واصبح شعار الوطن والهوية القومية في بلاد المسلمين يسبق شعار العقيدة في الدساتير والتشريعات . ويكتفى بالقول ان دين الدولة الرسمي هو الاسلام . وصار التنصير فعلاً يمارس في وضح النهار امام مكاتب الحكام ان لم يكن انطلاقاًمنها .

ونعود الى المهدية لنقدم لها بان التنصير دخل الى وادي النيل . وتوغل جنوبا في القرن السادس الميلادي .

عندما وصلت اول بعثتين تنصيريتين ارسلهما الامبراطورالروماني جستنيان وزوجته تيودورا الى السودان . وعند دخول الاسلام الى السودان وجد هناك ثلاث ممالك مسيحية في شمال السودان هي نوباديا والمقرة وعلوة [٣] .

ففي القرن السابع الميلادي فتح المسلمون مصر وتوغل الاسلام جنوبا . فكانت حروب ومعاهدات عبدالله بن سعد ابن ابي السرح مع البجه في شرق السودان . ثم حولت كنيسة دنقلا العجوز الى مسجد [٤]، وفي عام ١٣٤٠م انتهت آخر الممالك المسيحية في الشمال ،وبقيت مملكة المقرة جنوب الخرطوم الحالية [٤]

---

(٣) الامبراطور الروماني جستنيان (٥٦٥/٧٣٥م) بعد ان استولى على مصر اعدم مائتي الف من الاقباط في مدينة الاسكندرية وهرب بعضهم الى السودان فلاحقهم جستنيان ولما كانت زوجته تيودورا تتبع مذهبا مخالفا له ارسلت سرا بعثة تنصيرية لينشروا مذهبها هناك .

(٤) الصحابي عبدالله بن سعد بن ابي السرح والي مصر (٦٤٦-٦٤٧م-٢٥هـ) وصلت قواته في رمضان ٦٦٢م الى دنقلا في شمال السودان الحالي (D.H.Makki, sudan The Chritian Design).

فاسقطها تحالف عمارة دنقس وعبدالله جماع واقاما على انقاضها عام ١٥٠٥م ثاني دولة اســلامية بعد مصر في وادي النيل ، وكانت عاصمتها سـنار على النيل الازرق . دولة الفونج استمرت مائتي عام وامتدت من هضبة الحبشة الى تخـوم دارفــور ومن دنقـلا الى اواســـط الســودان الحـديث ،وحـتى البـحـر الاحمر شرقاً .

اما الدولة المهدية فقـد قـامت على ايدي مـحـمد احـمدبن عبـدالله الذي عرف فيما بعد بالمهدي . وعرفت دولته بدولة المهدية كرس محمد احمد حياته لدراسة القرآن وعلوم الدين . ولاحظ انتشار البدع والمفاهيم الخاطئة في بيئته الاجتماعية . فبدأ يعد نفسه لمحاربتها ، فتفرغ لتنقية العقيدة من الشوائب . وقادحرباً شعواء ضد الاستعمار الانجليزي والتركي [٥] وكان يسميها الحرب ضد الكفار .

استطاع المهدي بقوة ايمانه وتوجهه واتباعه لشرع الله . وباخلاصه للدعوة ان يهزم الجيوش الانجليزية والتركيـة في كثير من المعارك . وكانت اول معارك تهزم فيها جيوش الامبراطورية البريطانية في افريقيا والمستعمرات . وقـد خلد ذلك شاعـر الامـبراطورية كبلنغ [٦] الذي اشـترك في احـدى هذه المعـارك . وكـان يتغنى بامجاد الانجليز ونشـرهم الحضارة فتغنى بشجاعـة جنود المهـدية الذين قـال انه شـاهدهم يقـتـحـمون نيـران المدافع ويتـسـابقـون الى الموت حـتـى ادخلوا الرعب في قلوب جنود ملكة بريطانيا . ولم يكن كبلنغ يدري ان الذي يدفعـهـم هو قوة العقيـدة وطلب الشهادة . في كتابة تاريخ المهدية The Mahdiya

(٥) نظام الحكم الذي اقامه محمد علي باشا في مصر ومده جنوبا فشمل السودان عرف لدى المؤرخين بالحكم التركي لكنه (كان نظاما علمانيا غربي التوجه ، وفي عهد اسماعيل باشا ألغى الحكم بالشريعة الاسلامية واستبدلت بمواد من الدستور الفرنسي . هذا ماأورده الدكتور السيد احمد فرج في كتابه (جذور علمانية - ص ٣٢ ، ٣٥) .

(٦) القصيدة بعنوان (Fuzzy Wazzy) وقد ترجمها للعربية الاستاذ ضرار صالح ضرار في اكثر من اربعين بيتا وكتبها كبلنغ بين ١٨٨٣م-١٨٨٥م.

المنشـور عـام ١٩٤٩م أورد أ.ب.ثيـوبولد مـا نصـه :(ان جـوهر دعـوة المهـدي هو الاعـتـقـاد القـوي الخالص لله والانقـيـاد له والاقـتناع بتـفـاهة الدنيـا والعـمل لسعادة الدار الآخرة التي سيحظى بها المؤمنون الحقيقيون. وان المسلم بالالتزام والتطبيق الدقيق للاسلام سلوكاً وعقـيدة وبمراقبته الله يستطيع ان يعد نفسه للحيـاة الآخرة) . ويضيف ثيـوبولد ان هذه المفاهيم تأكدت وتكررت باسـتمرار في رسائل المهدي وفي أوراده المكتوبة ويقول :(ان المهدي اعلن الجهاد وانتصر باسلحـة بدائيـة ، السـيـوف والفـؤوس والعـصي على اقـوى جـيش لاقـوى امـبـراطورية في ذلك الوقت . فـهزم جيش هكس في مـعـركـة شيكان وعـرف بالجيش الذي ابتلعته الصحراء (The Lost Army In The Desert).

استطاع المهدي في مارس عام ١٨٨٥م ان يحرر الخرطوم التي اصبحت وهي تحت حكم الاتراك المسلمين اكبر معاقل الكفر في السودان . فـقـد عبـر جنود المهـدية النيل الابيض ودخلوا قـصـر غـردون وهم يهللون الله أكـبـر تجلجل في ارجـاء القـصـر المنيف . وقـتلوا غـردون القـائد المنصر الذي اعـد نفسـه في دراساته اللاهوتيه في القدس لتوسيع دائرة النصرانية في افريقيا .

وبعد وفـاة المهدي في مارس ١٨٨٣م امدرمـان بعد مرضه بـالحمى ارسل خليفته عبدالله التعايشي الجيوش حاملة رسالة تصحيح العقيدة والدعوة جنوبا وشرقا وغربا . فانتصرت جيوش المهدية على يوحنا امبراطور الحبشة المسيحية الذي قـاد بنفسه الجيش للقضاء على المهدية . ثم ارسل التعايشي جيشا ثانيـا شمـالا لتـحـرير مصـر من حكم الانجليـز الكفـار . وكـتـب الى ملكة بريطانيـا يدعوها للدخول في الاسلام .

وقبله كتب المهدي الى توفيق باشا خديوي مصر يدعوه للتحالف معه يداً واحدة ضد الكفار ،ومن اجل اقـامـة الدين الحنيف :(لنكن جـمـيـعـا يداً واحـدة لاقامة الدين واخراج اعداء الله (الانجليز) من بلاد المسلمين . وقد حررت لك

هذا الخطاب وانا بالخرطوم شفقة عليك .. وحرصا على هديتك . فارجو الله ان يشرح صدرك لقبوله ، ويدلك على صلاحك ورشادك في الدارين . وها انا اقدم على جهتك جنود الله عن قريب ان شاء الله) [٧] . وكتب لقواده المتوجهين . الى الجبهة الشمالية لطرد الانجليز ثم مواصلة طريقهم لتحرير مصر التي كانت تحت حكم الخديويين المتحالفين مع الانجليز :(وسيروا الى الله عرجى ومكاسير .. فانكم احبابي من العقلاء والفضلاء الذين يعلمون ان قيامنا هذا هو بالله ولله ابتداء وانتهاء ولو كانت الاموال والتشاهيل مما ينفع او يضر لكان للترك . (الاتراك) في ذلك حظ وافر[٨] .

يقول ثيوبولد في كتابه (المهديه- تاريخ السودان الانجليزي المصري ١٨٨١م-١٨٩٥م) ما نصه : (ان الهدف الاساسي لدعوة المهدي لم يتغير . فعلى امتداد دعوته ظل يركز على افكاره التي دعا لها وهي الثقة بالله وفناء هذه الدنيا والاقبال على نعيم الاخرة[١٠]

ويعود فيورد في مكان اخر ما ترجمته (كانت المهدية حركة دينية وعسكرية وهي بحق يقودها اناس حملوا السلاح يقاتلون في سبيل الله ورسوله والمهدي ، شعارها لا اله الا الله وان محمدا رسول الله).

الخليفة عبدالله التعايشي سار على نهج المهدي يحكم بشرع الله تعالى وسنة رسوله (ص). يكتب للحكام في بلاد المسلمين يدعوهم الى شرع الله . فكتب الى السلطان عبدالحميد في الاستانه ما نصه :(واعلم ان ما دعوناك اليه هو الدين الحق القويم .والمنهاج الواضح المستقيم فلا تعرض عنه الى

---

(٧) د/عبدالرحمن عبدالوهاب -توشكي صـ ٣٠.

(٨) المصدر السابق صـ ٣١.

(٩) ثيوبولد - المهدية صـ ٤٣.

(١٠) مصدر سابق - صـ ١٥٣ توشكي .

نزهات الباطل ، فان الحق جدير بالاتباع والباطل حري بالتلاشي والضياع . ولو كان قصدي من هذا الامر ملك الدنيا الزائل وعزها الفاني الذي ما تحته طائل لكان في السودان وملحقاتها كفاية كما تعلم من اتساعها وتنوع ثمراتها ولكن ما اقصد كما يعلم الله الا احياء السنة المحمدية والطريقة النبوية بين اظهر عامة البرية)[١١]

سرعان ما لفتت حركة المهدية التصحيحية انظار الغرب المسيحي الذي كان اول من انتبه الى خطرها عليه . فوصفوها بانها حركة دراويش (الدرويش هو الشخص الذي يتقمص رجل الدين ويتصرف دون اكتراث وبطريقة غير مسئولة تسيء للدين) . واشاعوا ذلك بين المسلمين داخل السودان في المناطق التي لم تصلها دعوة المهدية في الايام الاولى . وخارج السودان في البلاد الاسلامية حتى يعزلوا المهدية عن اي تعاطف او تأييد اسلامي . اما في اوربا بصفة عامة وفي بريطانيا بصفة خاصة فقد وصفت بانها حركة بربرية متعطشة للدماء . وكتب كثير من الاوروبيين يروجون الاشاعات الساذجة لتأليب اوربا المسيحية ضد المهدية . ومن هؤلاء سلاطين باشا في كتابه (السيف والنار في السودان The fire And The sword In Sudan) ونجت باشا في كتابه (المهدية والسودان المصري Mahdism And The Egyption Sudan) وكرومر في كتابه (مصر الحديثة Modern Egypt) وغيرهم[١٢] .

لقد لفقوا اساطير كثيرة ونجحوا للاسف في اقناع الرأي العام داخل وخارج السودان بها في ذلك الوقت بل ما زال غالبية كتاب المسسلمين يأخذون بما جاء في كتابات الغربيين عن المهدية ولم يكلفوا انفسهم عناء الرجوع الى المصادر الاصلية عن هذه الحركة الاسلامية التصحيحية .

(١٢) H. Makki , Sudan - The Christion Design , P , 31

في الثامن من شهر سبتمبر عام ١٨٩٨م كانت معركة كرري الشهيرة في تاريخ المهدية . وفيها واجه ٥٢٠٠٠ مسلم مسلحين بالسيوف والحراب والفؤوس وعدد من البنادق القديمة التي اسروها في معارك سابقة الجيش الانجليزي - التركي المسلح باحدث الاسلحة . ودارت معركة فاصلة استشهد فيها اكثر من عشرة الاف . واصيب اكثر من ١٦٠٠٠ اخرين دخل بعدها الجيش الغازي وبين صفوفه للاسف عدد كبير من المسلمين مدينة امدرمان عاصمة المهدية . واستباحها لمدة ثلاثة ايام ثم فتح الباب على مصراعيه للعمل التنصيري . واتخذ المستعمر القرار الذي مازال بنفذ على نطاق العالم الاسلامي بان تكثف الجهود لتحويل الحركة الاسلامية في ميدان التربية والتطبيق من اسلام مجاهد مقاتل في مختلف ميادين الحياة الى ممارسات تحصر في نطاق العبادات فقط . والى حركات صوفية تهويمية ينصرف فيها الناس من العمل بالاسلام الى العمل في طاعة الزعيم الصوفي وخدمته .

لقد كان القضاء على المهدية هو بحق هزيمة حلم ما زال يراود النفوس لاقامة دولة الاسلام من جديد مكان الدولة القومية الدخيلة على مختلف مواطن الاسلام .. حلم هزم ولكنه لم يجهض .

(٨) دولة حميد المرجبي

هذه هي اقـدم دولة اقـامـهـا المسلمـون في ادغـال افـريـقـيـا فـمـثلمـا توغل الاسلام في غرب افريقيا الى ما بعد نهر النيجر الى ساحل المحيط الاطلسي ، ووصل الى اراضي الهوسا في نيجيريا الحاليه . كذلك نقله التجار والدعاة الى ما بعد نهر الزامبيزي جنوبا على شواطئ افريقيا الشرقية فقد مر بنا ان حاكم احدى السلطنات استضاف فاسكو دي جاما الذي اشتهر بانه مكتشف الطريق الى الشرق في قصر فخم . وزوده بالمعلومات اللازمة عن طريق الملاحه الذي اعتادت سفن التجار المسلمين السفر فيه منذ وقت طويل .

وقـد اهـتـدى المسـتـكشـفـون الاوربـيـون المشـهـورون في التـاريـخ الجـغـرافي لافريقيا من امثال اسبيك وجون بيرتون وصمويل بيكرولفنجستون واستانلي في شرق ووسط افريقيا . ومنجو بارك وبارت واودني وبيرتون وديجوكام في غرب افـريقـيـا بارشـادات المسلمين الذين سبقـوهم الى تلك المناطق . واقـامـوا فـيـهـا واسـسـوا المدن والمراكز التجـارية واقـامـوا المسـاجد والمدارس وادخلوا المحـاصـيل الزراعية الجديدة .كما تزاوجوا وتصاهروا مع السكان الاصليين [٢].

لقد استشـهـدنا على دخول الاسلام الى غرب افريقيا في القرن الهجري الاول وقـيـام الدول والممـالك الاسـلامـيـة في غـرب افـريقـيـا على اطراف حزام الغـابات الاسـتـوائيـة بكتـابات الرحالة والمؤرخين المسلمين الذين زارواوكتبوا عن تلك المناطق قبل خمسة قـرون [٣] من وصـول اول اوربي اليها . هذا باعتراف

---

(١) سيد عبدالمجيد بكر - الاقليات المسلمة في افريقيا - سلسلة رابطة العالم الاسلامي الشهرية - يونيه ١٩٨٥م ص ٩/١٠.

(٢) د/شوقي الجمل - تاريخ كشف افريقيا - الطبعة الثانية ١٩٨٠م .

(٣) المرجع السابق .

الاوربيين انفسهم . فقد وصل القائد المسلم عقبة بن نافع الى منطقة تبستي الواقعة حاليا بين ليبيا وتشاد في اواخر النصف الاول من القرن الهجري الاول (حوالي عام ٦٠هـ/٦٧٩م) [٤]. وهناك بعض المصادر تذكر ان حملة اسلامية وصلت الى اعالي نهر السنغال عام ٧٢٠م [٥].

اما هنا فنستشهد بكتابات اولئك المستكشفين الاوربيين الذين اثبتوا في مذكراتهم انهم كلما اكتشفوا مكانا جديدا وجدوا ان المسلمين قد سبقوهم اليه . ومنهم حصلوا على معلوماتهم الاساسية عن تلك المناطق . بل ان اول بعثة استكشافية اوربية وصلت الى شرقي افريقيا بعثة اسبيك وجون بيرتون (Speak and John Burton) في يونيو عام ١٨٥٧م كانت قد قدمت اليها على سفينة من عدن يملكها مسلمون .. وعندما وصلت البعثة زنجبار اكرمها السلطان مجيد سلطان زنجبار . ونقلها على يخته الخاص الى ميناء باما مويو على الساحل الشرقي لافريقيا [٦].

في مذكراته المنشورة في كتاب : النيل الابيض (The white Nile *) . يورد اسبيك ان العرب الذين وجدهم حول بحيرة تنجانيقا اخبروه بوجود بحيرة ضخمة (وهي البحيرة التي ينبع منها نهر النيل) تقع بعد مسيرة ثلاثة اسابيع ، مما يعني انهم قد خبروا المنطقة وتجولوا فيها . هذه البحيرة وصلها اسبيك في اغسطس عام ١٨٥٨م ونزل عند شاطئها الجنوبي عند بلدة مونزا واطلق عليها اسم فكتوريا (اسم ملكة بريطانيا بادئا بذلك تاريخا طويلا استمر حتى يومنا هذا في طمس الاسماء والتاريخ والهوية الافريقية على ايدي الاوربيين). ثم كتب يقول :(لقد صحت رواية العرب بحذافيرها فهذه البحيرة اوسع رقعة من

---

(٤) سيد عبد الحميد بكر - الاقليات المسلمة في افريقيا - سلسلة رابطة العالم الاسلامي الشهرية - دعوة الحق - يونيه ١٩٨٥م صـ ٦٧ - ٦٨ .

(٥) المصدر السابق صـ ٦٦ .

بحيرة تنجانيقا بكثير) .

ومثلما فعل اسبيك قام صوميل بيكر (S . Baker) بطمس اسم بحيرة لوتاتزيجي عندما وصلها في ١٨٦٤/٣/١٤م فاطلق عليها اسم بحيرة البرت تخليدا لاسم زوج ملكة بريطانيا الذي توفى في تلك الفترة واطلق اسم مرشيزون رئيس الجمعية الجغرافية البريطانية على الشلالات المعروفة اليوم باسمه .

كذلك فان الاسكتلندي منجوبارك المعروف بانه مكتشف نهر النيجر ، بدأ رحلته من مصب النهر في يناير ١٧٩٦م وقد وصف في كتابه المعنون (رحلات في المناطق الداخلية بافريقيا

Travels In The Interior Districts Of Africa) مدينة سيجو التي وجدها على نهر النيجر بقوله (ان منازلها مبنية من الفخار المربع وان المساجد منتشرة فيها ، وقدر عدد سكانها بثلاثين الف نسمة) [(٧)].

وفي عام ١٨٢٢م ارشد تاجر مسلم منا فزان يدعى محمد الوردي المستكشفين بيرتون واودني( ) عبر بلاد الهوسا واوصلهم الى كوكا غربي بحيرة تشاد ومنها الى مدينة كانو الحالية في نيجيريا . فقال بيرتون في مذكراته انه وجد (المسلمين يحكمونها ولها سلطان وسوق ضخمة غاية النظام ، وللسوق خمسة عشر بوابة تغلق ليلا) [(٨)].

وبيرتون (Burton) زار مدينة لاغوس على ساحل المحيط الاطلسي فوجد ان المسلمين قد سبقوه اليها بزمن طويل . ولهم فيها املاك وعقارات وعندما وصل الى مدينة سوكوتو (حاليا في شمال نيجيريا) وجد سلطانها

Moorehead , Alan : The White Nile (New York 1960)
(٦) د/شوقي الجمل - تاريخ كشف افريقيا (الطبعة الثانية ١٩٨٠م)
(٧) المصدر السابق صـ ١٠٤.
(٨) المصدر السابق صـ ١٠٦.

المسلم مشغولا بالاعداد لمعركة فلم يتمكن من توقيع الاتفاقيات التي كلفته وزارة المستعمرات البريطانية بتوقيعها معه .

وفي عام ١٨٧٤م زار استانلي (Stanley) الملك (امتيه) الذي كانت تقوم مملكته في مكان اوغندا الحالية ، وقد كتب في مذكراته انه جلس عدة اسابيع ينتظر السماح له بمقابلة الكباكا (الملك) ولم يسمح له الابعد طول انتظار . وقد اعطاه الكباكا اذنا حمله معه كوثيقة رسمية يستطيع بموجبها التجول في مملكة الكباكا .وهذا يدل على انه كانت هناك دولة قائمة بالفعل لها نظامها ولها حدودها ونظمها الداخلية مما يعني ان مفهوم الدولة كان معروفا ومطبقا .

قبل قدوم الاسلام الى افريقيا كانت المسيحية محصورة في مصر القديمة واثيوبيا وعلى نهر النيل حتى منطقة شمال السودان الحالي . حيث كانت تقوم ممالك مسيحية في دنقلا وعلوة والمقرة . ولما اكتسح الاسلام شمال افريقيا وتوغل جنوبا فشمل شرقها ووسطها وغربها حتى اطراف الغابات الاستوائية . وامتد على سواحلها الشرقية جنوبا ودخل الى المنطقة الواقعة جنوب الغابات الاستوائية لم تكن في افريقيا سوى دولة مسيحية واحدة هي امبراطورية الحبشة فوق الهضبة الاثيوبية تحاصرها الدويلات الاسلامية وحتى هذه الامبراطورية كانت ستخضع للمسلمين في اواخر القرن التاسع عشر لولا تدخل اوربا .

فقد قام الانجليز وحلفاؤهم بعد هزيمتهم على ايدي المهدية وطردهم من السودان بتحريض اباطرة الحبشة المسيحية ومدهم بالسلاح لوقف تقدم المد الاسلامي شرقا . تصدى للاحباش اثنان من كبار قواد المهدية هما حمدان

ابوعنجه [٩] الذي هزمـهـم وطارد فلولهـم الى مـاوراء مـدينة غندار الحـاليـة في الهـضـبة الحـبشـيـة ، ولما اعـادوا الكرة بقيـادة امبـراطورهم يوحنا نازلـهم الزاكي طمل وهزمهم في معركة فاصلة اصيب فيها الامبراطور وهلك [١٠] .

في عـــام ١٨٧٦م اجـتـــمـع ملوك اوربا في بروكـــسل بدعـــوة من الملك البلجـيكي ليـوبولد الثـاني (في مؤتمرهم المعروف باسم مؤتمر بروكـسل لكشف الاقـاليم في قلب افـريقـيـا ونشـر الحـضـارة فـيـهـا) وهو المؤتمر الذي بدأ به الاستعمار الاوروبي المخطط الصليبي لغزو افريقيا .

هذا المؤتمر كـون لجنة اطلق عليـها اسم الهـيـئة الدوليـة لكشف افـريقـيـا وادخـال الحضارة فـيها (International Association ForExploration And Civilizing Of Africa) وعلى الرغم من ان هذه الهـيئة كانت تضم فرنسـا وانجلترا والمانيـا والنمسـا وايطاليـا فقط الا ان المستـعـمرين اسـتـخدمـوا لفظ (الدوليـة) بقـصد التـمـويه وإكسـاب مـخططهم سمـة كاذبة وهـو ما درجت عليـه الدرل الغـربيـة الى يومنا هذا . فـيطلقـون صفـة الدوليـة على كل لجنة او مـشروع ثم يوطنوه لخدمـة مصالحهم .

الطريف في الامر انه في نفس ذلك العام (١٨٧٦م) الذي كـان ينعـقـد فيـه مؤتمر بروكسل لاستكشاف وتحضير افريقيا ، كان المستـكشف استـانلي قد وصل الى مدينـــة نيانجوي التي اقامها المسلمون في قلب افريقيا ووجـد فيها حضارة راسخـــة ومدنية متقدمة حيث شُاهد القصور والحدائق والناس يرتدون الحـــرير وينامون على اســـرة محمية بالناموسيات (الستـائرالحامية من

---

(٩) حمدان ابو عنجه والزاكي طمل من كبار قواد المهدية وهما من ابناء جنوب السودان الذي تعمل الكنائس حاليا على فصله واقامة دولة مسيحية فيه .

(١٠) ضرار صالح ضرار / تاريخ السودان الحديث صـ ١٩٢/١٩٣و P. Theabald, The Mahdia , 1951 p. 153 .

النامـوس)[١١] .

وفي هذه المنطقـة بين بحـيـرة تنجـانيـقـا والشـلالات التي عـرفت فـيـمـا بعـد بشلالات استانلي اقام المسلمون نظاما للحكم استكمل كل مقومات الدولة[١٢] وكان يرأس هذه الدولة حميد بن محمد المرجبي المعروف في التاريخ الافريقي باسم تيبو تيب (Tippu Tip) وهو الذي قال استانلي في مذكراته انه استعان به ليدله على نهر لوالابا .

حيث سبق ان قام برحلات عديدة قبل قدوم لفنجستون اول مستكشف اوربي يطأ ارض تلك المنطقة . وكان لفنجستون يريد ان يعرف ما اذا كان هذا النهر متصلا بنهر النيل ام نهر الكنغو . ومات دون ان يحقق هذا الهدف فجاء ستانلي ليكمل المهمة ويمهد للاستعمار .

حكم حميد المرجبي[١٢] . هذه الدولة من عاصمته كاسنجو حتى عام ١٨٩٠م وخلفه ابنه سيفو . وكانت كاسنجو ترتبط بطرق تجارية حية عبر اوجيجي بزنجبار في شرق افريقيا ومن خلالها مع الدول والسلطنات الاسلامية وخطوط التجارة الدولية .

وقد شهد عدد من الكتاب البلجيك وغيرهم من الكتاب الاوربيين بان هذه الدولة كانت قد بلغت شأنا عظيما من التقدم . وكانت بها قصور مؤثثة بافخر الاثاث ومساجد ومدارس يدرس فيها الطلاب الافارقة القرآن الكريم وعلوم الدين واللغة العربية والحساب .. وهذا ماجاء في كتاب تشكيل افريقيا الحديثة (The Making Of Modern Africa) المجلد الاول وقد شارك في وضعه

---

(١١) د.شوقي الجمل /تاريخ كشف افريقيا صـ ١٨٧.

(١٢) يورد الدكتور عبدالرحمن عبدالله الشيخ في كتابه (دول الاسلام وحضارته في افريقيا) الطبعة الاولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م صـ ٤١ (ان دولة حميد المرجبي قامت في اعالي نهر الكنغو عام ١٨٧٠ / ١٨٩٠م .

عـدد من المؤلفين هم عمرابانبريلي كوبر واي .ايه جافين وأر .جي وأفغبو .

اول مركـز استعماري في وسـط افريقيا اسسه استانلي باسـم مـلك بلجيكا عـام ١٨٨٠م، وكـان ذلك هـو بدايـة الاستعمار البلجيكي لهذه المنطقـة وقـد استمـر حتى ١٩٦٠م . واستانلي هـذا هوالرجـل الـذي جـاء بدعـوى كشـف افريقيا لكـن هـدفه الحقيقي كان خدمـة اهـداف الـدول التي ارسلته فـاسس عـددا من المستعمرات . ووقـع كثيـرا من الاتفاقيات التي خـدع فيها زعماء القبائـل الافريقية ممهدا بذلك الطريق امام الاستعمار الاوربي للقارة الافريقية .

وفي عام ١٨٨٤م كانت الولايات المتحدة الامريكية اول بلد يوافق رسميا على استعمار بلجيكا للكنغو .

وفي يوليو ١٨٨٥م اعلنت بلجيـكا قيام ما أسمته بدولـة الكنغـو الحـرة (كلمـة حـرة هـنا تعني انها مفتوحـة امـام التجـارة وبمنـأى عـن التنافس الاستعماري . وليـس لها صـلة بكلمـة حرية المعروفة) كـأول مستعمرة واعـلن الملك ليوبولد نفسه رئيسا لهـا . وظلت بلجيكا تستعبد ابنـاء الكنغو الذيـن قالت انـها جـاءت لتحضيرهم حتى استاء الاستعمار الاوربـي نفسه من ممارساتها الوحشية ، وثـار ضـدها كما سـنرى فيما بعـد

اضطرت المستعمرة التي اقامتـها بلجيكا باسم دولة الكنغو الحـرة عام ١٨٨٥م للاعتراف بسـلطة حميد المرجبي عـلى هـذه المنطقـة عندما عجزت عـن التخلـص منه . او اخضاعه لسلطتها فاتبعت معـه سياسة (تمسكن حتى تتمكن)، وشيـئا فشيـئا حاصـرت دولته ثم طلبـت منه ان يسمـح باقـامة قـوة بلجيكيـة صغيـرة من ضـابط وبضعـة جنـود في الجـزيرة المواجـهة لشلالات استانلي كموقـع استراتيجي مستقبلي . وتعيين ممثـل للسـلطات

البلجيكية في بلاطه حتى يكون عيناً عليه . في هذه الاثناء كان المرجبي يعمل سراً على جمع وتكديس الاسلحة إستعداداً للحرب وقد اعلنت مجموعة من القبائل الافريقية ولاءها وانضمامها تحت زعامته ضد الاستعمار البلجيكي . ومن الزعماء المحليين الذين تحالفوا معه ضد المستعمرين جونجو لوتيني ولوينجو . وأورد ذلك سدني هند في كتابه (The Fall Of The Congo Arabs) وهند هذا طبيب بريطاني كان عضوا في الجمعية الجغرافية البريطانية واشترك في الحملة العدوانية التي قادها البلجيكي دانس ضد دولة المسلمين في وسط افريقيا عام ١٨٩٢م . كانت دولة المرجبي تحظى بتأييد المواطنين وعدد كبير من زعماء القبائل . والذين لم يكونوا ينظرون الى المسلمين على أنهم أجانب أو مستعمرون . وقد مرت بنا شهادة جرينفل الوزير في أول وزارة وطنية في الكنغو بعد الاستقلال حيث كتب يقول : (لقد زور البلجيكيون كل شئ في الكنغو . فليست مدينة ستانلي ڤيل سوى مدينة تيبو تيب (حميد المرجبي) التي أقامها قبل قدوم الرحالة استانلي . لقد ترك المسلمون لنا لغة متولدة من لغتهم ودينا وحضارة وسماحة تسوي بين كل الناس . كما تركوا على أرضنا دماءهم ، والبلجيكيون يحصدونهم بالاسلحة الحديثة . ليس العرب كما قيل لنا تجار رقيق وانما هم تلك الموجه الانسانية التي اختلطت بنا وصاهرتنا) .

أول ما عمدت اليه السلطات الاستعمارية البلجيكية لاضعاف دولة المرجبي كان محاصرتها اقتصاديا . فحولت طرق التجارة من شرق القارة الى غربها لاضعاف مركز المسلمين الذين تعتبر طرق التجارة هي الشريان الذي يربطهم بشرق القارة والعالم الخارجي . وكانت واحدة من البوادر الأولى لتوجيه افريقيا غربا الى اوروبا ضمن الجهود التي مازالت مستمرة لتغريبها وقطع صلتها بالشرق .

كان لنجاح حركة المهديين الذين رفعوا لواء تصحيح العقيدة وتخليص المسلمين من ظلم وجور الحاكم غير المسلم ، والمسلم الذي لا يتمسك بتعاليم الاسلام في

تحـرير السـودان عـام ١٨٨٥م من الاسـتـعـمـار الانجليـزي وهـم عـزل الا من سـلاح العـقـيدة ، وكـتـابتـهم للملكة بريطانيـة يدعـونهـا لدخـول الاسـلام ، وارسـالهم الجـيـوش لمصـر لاعادة حكامهـا الى الالتزام بالاسـلام ، والى الحبشـة لادخـالهـا في الاسـلام أثـر عـظيم نبـه المستـعـمرين الى الدور الفـعـال الذي تلعبـه العـقـيدة الصـحـيحـة في النفوس . وحفز المسلمين في وسـط افريقيا للوقوف في وجـه أول سـلطة استـعـمارية هناك بدأت تمـد نفـوذها في الكنغـو .

انطلقت الشـرارة الأولى عـــام ١٨٩٢م عـندمـــا هجم المسلمـــون على ممثل الاستعـمـار البلجيكي في منطقة لومامي ثم هاجموا الحاميات الأخرى التي أرسلتـها السـلطات البلجيكية لتأسيس المراكز الاستعمارية الأولى .

في ذلك العام بعث ممثل المستعمرة البلجيكية في بـلاط السـلطان سيـفو (الذي خلف والده المرجبي) رسـالة الى الكابتن دانيس قـائد قـوات الاحتـلال يبلغـه فـيـها وفـقا لما أورده سـدني هند (أنه سجين في قصر الزعيم العـربي . وان سيـفو خرج من كاسنجو على رأس عشرة آلاف مقاتل مسلحين بالبنادق والسـيـوف . وأنه أعلن (أي سيـفو) اذا لم يسلم البلجـيـكيـون له جـونجـو (الذي كـان قـد نقض تحت ضـغـط وإغـراءات المستعـمرين عهده معه وانضم اليـهم حيا أو ميتـا ، ويجلوا عن المنطقة التي يعـتبرها سيفو تحت سيطرته بمقتضى الاتفاقيات السـابقة التي وقعها البلجيك مع والده ، فإنه سيعبر نهر لومامي ليقضي على قـوة البلجيكيين ويسـتولى على كل الأقليم الممتد حتى مدينة (ليوبولدڤيل) ، ومن هنا يتضح ان البلجيكي في بلاط السـلطان سيـفو كان جاسوسا عليه . ولولا أنه ابـلغ دانيس مبكـرا بتلك التحـركات ربما تغير مجـرى التاريـخ في وسـط افريقيا .

---

(١٢) بروالدكتورعبدالرحمن عبدالله الشيخ / المصدرالسابق / ص   أن تيبو ولدفي اوائل عام ١٨٤٠م وبدأ حياته العملية في التجارة وفي ١٨٦٧/٧/٢٩م قابل لفنجستون في قرية تبعد ثلاثة ايام عن بحيرة مويرو وقدم له مساعدات فعالة .

والاتفاقية التي يتحدث عنها السلطان سيفو هيَ (اتفاقية زنجبار) التي كان (المستكشف) استانلي قد وقعها مع حميد المرجبي قبل اربعة عشر عاما تقريبا باسم سلطات الاستعمار البلجيكي ونصت على أن يكون نهرلومامي هو الحد الغربي لدولة المرجبي .

في ١٨٩٢/١١/٢٦م عبرت القوات المحتلة نهر لومامي بعد أن هزمت قوات سيفو واستولت على بعض الحصون . وقدر هند الذي اشترك في هذا الاعتداء عدد الذين قتلوا بين صفوف الجيش المدافع بأكثر من ثلاثة الآف مابين قتيل وغريق .

انسحب سيفو الى عاصمته كاسنجو ليستعد لمعركة جديدة ، واستطاع أن يخوضَ عدة معارك انتصر فيها ... لكن القائد موهارا قائد منطقة نيانجوه قتل برصاصة طائشة في ١٨٨٣/١/٩م فقد كان الافارقة حديثي عهد بالأسلحة النارية وقد اشتهر عن موهارا أنه لم يهزم في أي معركة ، وكان يكرر قوله أنه يفضل أن يقتل في ميدان الحرب من أن يشاهد جيشه يهزم أمام عينيه .

وكان لوفاة موهارا انعكاس سئ على قوات سيفو فسارع البلجيكيون في اعقاب وفاته بالهجوم على مدينة نيانجوي . وكانت مدينة كبيرة على الضفة اليمنى لنهر لولابا ومركزا تجاريا هاما ، فاستولوا عليها في مارس ١٨٩٣م وعمدوا لتخريبها . واشعال النار فيها للقضاء على أي أثر للمسلمين فيها ثم بررروا ذلك بقولهم أنهم كانوا يخشون خيانة أهلها المختبيئن في المساكن ففضلوا احراقهم [١٤] .

وفي ١٨٩٣/٤/١٧م تقدمت قوات الاحتلال جنوب كاسونجو واحتلتها ، فسقطت بذلك عاصمة دولة المسلمين في وسط افريقيا ، يقول سدني هند الذي كان مع الجيش الغازي أنهم وجدوا أن أهلها كانوا ينامون على اسرة مغطاة بالحرير ،

---

١٤ – د شوقي الجمل ـ تاريخ كشف افريقيا ص ٣٢٣ .

وكل منهم مزود بكلة (ناموسـيـة) . كـمـا وجـدوا الستـائر المعلقـة على النوافـذ ، وكانت المنازل محاطة بحدائق البرتقال والموز ، وغيرها من الفـواكه .ووجد الجيش المحـتل في مـخـازن المدينة كـمـيـات كـبـيـرة من الارز والذرة والصـابون والأطعـمـه ، وغنموا اعداداً كبيره من الاغنام والماشية . واورد ايضا أنهم وجدوا أن كل منزل كان ملحـقـا به حـمـام ، وهي ظاهـرة تمثل قـمـة التـحـضـر في القـرن التـاسـع عـشـر داخل غـابات افريقيا ، وقال : (ان المدينة مقامة على حافـة غـابة ازيلت أشجارها ليزرع مكانها قصب السـكر والذرة والارز والفواكه) وهذه المحاصيل كان المسلمون هم أول من أدخلها الى افريقيا [١٥] .

لم يكن المسلمون هنا مستعمرين والدليل على ذلك أن قوات افريقية كثيرة هبت لنجدتهم والوقوف الى جانبهم ومنهم القائد رومـاليزي الذي جاء من اوجيـجي وعبر بحيرة تنجانيقا ثم وضع نفسـه تحت امرة سيفو .

بعد أن كسب الملك سـيفو أكثر من معركة ضد البلجيك اصيب في شهر ديسمبر عـام ١٨٩٣م وكـان جرحـه قـاتلا فـتـسلم الراية بعـده رومـاليـزي الذي تحـصن على الضـفـة اليمنى لنهر ليولندي ، واقام ثلاثة حصون على الطرق المؤدية الى كاسونجو . كـمـا أقـام جسـرا على النهر ليؤمن اتصـاله بمدينة كابا مبـاري حيث كان يتـحـصن زعيـم افريقي آخر يدافـع عن وجـود المسلمين يدعى نزيجي وهو الابن الأكبر لجونجو ليـوتيبي الذي خـدعه المحتلون فانضم اليهم ، كـمـا ذكـرنا سـابقا ثم قتلوه فـيـمـا بعد بتهمة التأمـر .

في هـذه الاثنـاء اسـتـطاع راشـد بن نزيجي أن يكون جـيـشـا اتجـه بـه للانضمام الى قـوات روماليزي ، وقد بلـغ الدعـم الشعبي للجيش المدافـع ذروتـه

---

١٥ - كذلك أورد الدكتور عبدالرحمن عبدالله الشيخ في كتابه دول الاسلام وحضارته في افريقيا شهادة المندوب السـامي البريطاني في شـرق افريقيا Charles Eliot (ان تيبوتيـب قام بدور حضـاري هـام في هـذه المناطق) .

فكانت الامدادات والمؤن تتدفق على القوات المحاربة من المنطقة الواقعة حول بحيرة تنجانيقا .

هذه الاستعدادات أخافت القوات الاستعمارية فاضطرت لطلب نجدات سريعة من أوروبا رأساً ، ومن غرب القارة ... وقد وفد عدد كبير من الضباط من مختلف الجنسيات الأوربية ، لدعم البلجيكيين . فحاصروا القوات المدافعة عن المدن الرئيسية . وقطعوا طرق الإتصال بينها وخطوط الإمدادات والماء اليها .

ودارت المعارك بعد ذلك واستشهد فيها عدد كبير ، ودمر الغزاة الحصون . وسقطت مدينة كابامباري فانطفأت بذلك شمس هذه الدولة التي أقامها المسلمون في قلب القارة الفريقية . وانشأوا فيها مدنا متحضرة أدهشت الاوربيين بما وصلت اليه من تقدم واشاد كتابهم بما شهدوه فيها من حضارة وعمران .

والآن لنا أن نتساءل ... هل استطاع البلجيكيون اقامة حضارة أزهى من التي وجدوها وسط افريقيا وقوضوها ليقيموا مستعمرة الكنغو مكانها ؟

لم يكن موضوع هذا البحث مخصصا لتتبع تاريخ الاستعمار في افريقيا وانما ابانه حقيقة تراكمت عليها رواسب كثيرة ، وهي ان افريقيا لم تكن مغلقة ولا معزولة عن العالم الخارجي عندما جاء اليها الاوربيون .. وان الحضارة الاسلامية كانت قائمة فيها . ومقبولة من جانب الافريقيين الذين كانوا يؤمنون بها ويدافعون عنها ولهذا فان اجابتنا على السؤال ستكون في شكل أمثلة مختصرة .

الذين درسوا تاريخ افريقيا يعرفون أن الاوربيين كانوا واعين من الوهلة الاولى الى أن هدف ليوبولد الثاني كان هدفا استعماريا . واثبت تطور الاحداث أن ما قام به البلجيك أو غيرهم من الأوربيين سواء الفرنسيين أو الانجليز أو الايطاليين وقبلهم الاسبان والبرتغاليون كان جميعه يتنافى مع أبسط المفاهيم والقيم الحضارية ... وان النظرة الأوربيه لافريقيا كانت تراها كنزا ينتظرهم . وينبغي

استغلال أبنائها وثرواتها لتحقيق التقدم والازدهار والرفاهية داخل أوروبا .

القى ليوبولد الثاني ملك بلجيكا ومستشاره بجميع الخطب الطنانه التي تتحدث عن التحضير وراء ظهورهم ، واصدر الملك الذي عين نفسه رئيسا لمستعمرة الكنغو امرا في يوليو ١٨٨٥م اعتبرت بموجبه جميع أراضي الكنغو ملكا خاصا للحكومة البلجيكية .ثم اصدر عام ١٨٩١م قانونا جعل جميع الفيلة والعاج واشجار المطاط ملكا خاصاللتاج البلجيكي ، وبموجبه اجبر جميع المواطنين على بيع مالديهم من هذين الصنفين للسلطات الاستعمارية ، وفي عام ١٨٩٦م اصدر ليوبولد قرارا آخر وضع بموجبه حوالي ١٢٠٠٠ ميل مربع من الارضي الغنية بغابات المطاط ضمن ممتلكات التاج البلجيكي .واصبح عائدها يذهب الى بلجيكا رأسا ، ولايضمن في ميزانية المستعمرة .

ثم تواصلت القوانين الصادره من الملك ليوبولد الثاني ولم يكن يرد فيها سوى انجع السبل التي تصادر وتستنزف خيرات وموارد الكنغو . ونقل ثرواتها الى بلجيكا . فمنحت الشركات الكبرى اراضي تحتكرها ويكون للملك ليوبولد شخصيا أو للحكومة البلجيكية نصيب من ارباحها ، واعطيت هذه الشركات والسلطات الادارية المستعمره صلاحيات واسعة للتحكم في رقاب المواطنين حتى تحقق اقصى مايمكن من الارباح .

فصدر أمر يقضي بأن يحصل كل مواطن على تصريح من السلطات الاستعمارية اذا أراد مغادرة قريته الى قرية أخرى ، أو لزيارة اقاربه في منطقة أخرى ، واصبح كل من توجد عنده بموجب هذه القوانين ادنى كمية من المطاط أو العاج يحكم عليه بأنه سارق رغم انها منتجات وطنه وتوقع عليه أقصى العقوبة . ويجبر المواطنون على جمع المطاط والعاج وتقديمها لملك المستعمره ، وكل من يعجز عن تقديم الحصة المقررة عليه توقع عليه أقصى عقوبة . فكان القتل رميا

بالرصـاص أو قطـع الأيـدي عقـوبة ينفذها المشـرفون على العمـال دون الرجـوع إلى أية جهة عليا . وكان الإستيلاء على الاراضي التي في حـوزة الافريقي وعلى زوجته واولاده أمر شـائع لمجـرد تقصـيره في السـخرة المرغم على ادائها [١٦] .

وقـد قـال السـيـر جلبرت باركـر عـضـو مـجلس العـموم البـريطاني عـام ١٩٠٣م أمام هـذا المجلس ، (أن الوضع في الكنغو اصبح عارا يلصق بحضارتنا ، فالكنغو اليـوم سـجن كـبـيـر وكل عـامل بجـانبـه حـارس يرقب حـركـاته ، وترتب على ذلك أن سـكان الكنغو الذين كان عـددهم ٠٠٠ر٠٠٠ر٢٠ نسـمة اخـتـفى منهم ٠٠٠ر٠٠٠ر٣ في ظل حكومـة الكنغـو) وهي الحكومـة الإسـتـعـمـارية التي رأسـهـا المـلك ليـوبولد الثاني الذي رأس مؤتمر بروكسل عام ١٨٧٦م لتحضير افريقيا .

وكـانت الصـحف البـريطانيـة تنشـر صـورا كـاركـاتورية للمـلك ليـوبولد الثـاني جالسـا على عرش من جماجم الكنغوليين محاطا بحقائب الذهـب .

فـما اقـيم في المدن البلجيـكية ومـازال قائما من أبنية ومـتـاحف وحـدائق وحظائر بل وكنائس وغـيـرها من مـشـروعـات كـان جـمـيـعـه من الكنغـو ، بقـرة بلجـيكا الحلـوب كمـا كـان يطلق عليـهـا في اوروبا . ومـايقـال في البرلمانات الاوروبيـة ، أو يكتب في الصحـافـة لم يكن يجد اذنا صـاغـيـة لدى المـلك ، أو مـسـتـشـاريه وكـان الرد المفحم يوجـه دائماً الى تلك الدول فتذكر بما تفعله الشـركات الفرنسـية والبريطانية ومـاينفذه ممثلو الحكومات الاوروبيـة الاخرى من أعـمـال مماثلة في مـسـتـعـمـراتهم الافـريقـيـة فـلا يجرو أي منهم على انتقاد الآخـر .

---

١٦ - د/ شـوقي الجمـل تاريخ كشـف افريقيا ص ٣٣٣ .



دولة المسلمين وسط أدغال أفريقيا قبل أن يشدها الاستعمار
(عن كتاب كشف أفريقيا (ص ٢١٨) بتصرف

(٩) دولة الفولاني

بعد انهيار دولة سنغاي الاسلامية سادت منطقة السودان الغربي فترة من الفوضى استمرت حوالي قرنين من الزمان ، تعرض المسلمون خلالها للتشرذم والإنقسام الى امارات صغيرة متناحرة . فكانت امارة جوبير (احدى امارات الهوسا) تتصارع على السيادة مع امارة زمرا ، وتصارعت امارات أخرى مثل كيبي ، وكاتسيبا ، وكانو ، وناوشت دولة البرنو [١] وادى الصراع وعدم الاستقرار الى عدم التركيز على النواحي الثقافية والدينية ، واختلطت العادات الوثنية بالتقاليد الاسلامية . وصار غالبية الحكام يحملون لقب مسلم شكلا دون فهم واع لاصول هذا الدين . وعندما ادرك أحد ابناء الفولاني المسلمين بما ألم بالدين على ايدي هؤلاء الحكام ، أعلن الجهاد في سبيل الله لاعادة الدين الاسلامي الى أصوله وقواعده ، وصارت امارة جوبير هي الساحة التي انطلقت منها هذه الحركة الجهادية والتي بنجاحها في عام ١٨٠٤م [٢] على يد الشيخ عثمان بن فوديو (عثمان دان فوديو) قامت دولة اسلامية كبرى اعادت للدين الاسلامي مكانته في المنطقة ، وبدأت مرحلة جديده من الدعوة الاسلامية في وسط غرب افريقيا . موجهة الى المسلمين لتصحيح اسلامهم والى غير المسلمين للدخول في الاسلام ، والى المجتمع لاقامة شرع الله [٣] ، والشيخ عثمان بن فوديو ينتمي الى شعب الفولاني وهو شعب كبير ينتشر في غرب افريقيا منذ القدم ، وقد تعددت الاراء والنظريات حول تحديد نسبهم وأصلهم ، فالفلانيون ينسبون انفسهم الى (العياض بن اسحاق) ومن ابناء العيض هذا (فلان بن العياض) واذا صح هذا النسب

---

١ - د/ عبدالله عبد الرازق ابراهيم - المسلمون والاستعمار الأوروبي لافريقيا الكويت ذو القعدة ١٤٠٩هـ - يوليو ١٩٨٩م ص ٣٩ .

٢ - المرجع السابق ص ٣٨ .

٣ - د / حسن عيسى عبد الظاهر - الدعوة الاسلامية في غرب افريقيا وقيام دولة الفولاني الرياض ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ص ١٥١ .

يكونون قد سموا باسم جدهم الأول . ويرى بعض الباحثين أن تسميتهم بـ (الفولاني أو الفلاته) تسمية عربية [٤] وقد يكون مصدرها الافلات من الحدود ، اذ هم شعب رحل ينتشر في المنطقة من حوض السنغال الى حوض النيل . ومن ناحية الجنس يرى البعض أنهم جنس مستقل له خصائصه ، مع اختلاف هذه المجموعة ايضا في تحديد هذا الجنس هل هم زنوج أم حاميون . ويذهب البعض الآخر الى أنهم شعب خليط من عدة أجناس حدث بينها امتزاج ومصاهرة أدت الى تميز الفولاني .

ولكن الروايات تكاد تجمع على أن أصل الفولاني واصهارهم التوردب تعود الى جذور شرقية عربية ، وعلماء الفولاني وكتابهم يعمقون أصول نسبهم حتى يوصلوه بالخليل ابراهيم ابي الأنبياء عليه الصلاة والسلام ، والفلانيون لم يكونوا وحدهم جماعة الشيخ عثمان بن فوديو . فالجماعة ضمت الفولاني والهوسوي والزنجي . ومنهم من كان مسلما أصلا . ومنهم من دخل الاسلام على يد الشيخ وأعوانه من الدعاة . وطريق اقامة دولة الفولاني الاسلامية لم يكن سهلا ممهدا . بل تواصل جهادهم بقيادة الشيخ عثمان قرابة ٤٠ عاما ، تعرضوا خلالها لمطاردة الحكام وتضييق في العيش مما اضطرهم الى الهجرة أكثر من مرة وإلى خوض عدد من الحروب استشهد الالآف منهم فيها .

وقد ولد الشيخ عثمان بن فوديو بقرية طقل بأرض جوبير في صفر ١١٦٨هـ (ديسمبر ١٧٥٤م) ونشأ في بيت اشتهر بالعلم والصلاح وكان ابوه محمد فوديو عثمان يلقب بالفوديو أي الفقيه . وقد أولع منذ صغره بالعلم والعبادة معا . وكان دؤوبا جلدا في طلب العلم ، شغوفا به حتى غرف من كل فروع المعرفة الاسلامية . ولم يزل مجتهدا في طلبه والرحلة اليه حتى صار شيخا يقتدي به ،

---

٤ - المرجع السابق ص ٥١ ـ ٥٤ .

وانتهت اليه الرئاسة والامامه ، وشهد بعلمه علماء زمانه [٥] .

ولما بلغ العشرين من عمره بدأ حلقات التعليم وتوافدت عليه جموع المسلمين وازداد أتباعه يوما بعد يوم [٦] الأمر الذي أقلق مضجع أمير جوبير فحاول اعتراض طريقه ، لكنه أحس بخطورة الموقف فانحنى للعاصفة وترك الشيخ وسبيله . بل وافق على قيام مجتمع اسلامي في مدينة ديجل من دون أن يتعرض للشيخ وأتباعه . لأنه أحس أن الشيخ عثمان لم يهيئ نفسه لملك أو سلطان بل كان عاكفا على العلم والتعليم .

مات حاكم امارة جوبير وجاء من بعده حاكم آخر يدعى « نافاتا » فأدرك قوة أتباع الشيخ عثمان ، وأحس بالخطر على ملكه ، فما كان منه الا أن أصدر مرسوما يتضمن مايلي :

أولاً : عدم السماح لأي شخص باعتناق الدين الاسلامي الا من ورثة من أجداده .

ثانياً : لا يسمح لأحد بلبس العمامه بعد تاريخ المرسوم ، والا تضرب امرأة بخمارها على وجهها .

ثالثاً : عدم السماح لأحد بالوعظ الا الشيخ عثمان نفسه .

واذا حللنا بنود هذا المرسوم النافاتي نجد أنه وضع للحد من نشاط الشيخ . وعدم السماح لدخول أناس جُدد في الدعوة المحمدية ، وعودة النساء الى السفور والخروج عن تقاليد الشريعة الاسلامية ، وقصر الوعظ على الشيخ نفسه ، وكل هذه الامور تعرقل مسيرة الكفاح والجهاد ، ونشر الدعوة .

---

٥ - المرجع السابق ص ١٦٢ .

٦ - مراحل قيام دولة الفولاني وجهاد الشيخ عثمان بن فوديو وأتباعه نقلا عن كتاب د / عبدالله عبد الرازق ابراهيم - المسلمون والاستعمار الاوروبي لافريقيا - الكويت ١٩٨٩م - ص ٤٢ - ص ٤٩ .

كان من الطبيعي أن يعارض فريق من أتباع الشيخ هذه الأوامر ، وخصوصا عبدالله بن فودي الأخ الأصغرللشيخ وساعده الأيمن في حركته الاصلاحية ، فقررا الوقوف بعنف ضد هذه الاجراءات مهما كلفهم ذلك من مشاق ، لكن الشيخ عثمان عارض استخدام القوة لأنه في بداية طريق طويل . ولايريد الدخول في صراع مع الطبقة الحاكمة حتى لا تتشتت جهوده وتتبدد محاولاته ، وينصرف عن هدفه الأسمى وهو اعلاء كلمة الدين ، ورفع راية الاسلام والمسلمين خفاقة بين السكان الوثنيين . وفي الوقت نفسه أدرك الشيخ ان الصدام مع الحكام مؤجل الى حين ، فقبل المرسوم ، وهو يعلم علم اليقين ان الدائرة سوف تحل على هؤلاء المشركين ، لأنه يؤمن بانتشار الدعوة الاسلامية بالطرائق السلمية حتى يحين الوقت لاعلان الجهاد المسلح ضد كل من يقف في سبيل الله والدين .

كان هذا المرسوم بداية مرحلة جديدة من جهاد المسلمين في غرب افريقيا . ويعتبره بعض المؤرخين الطلقة الأولى التي أشعلت نور الجهاد هناك . ولكن شاءت الأقدار أن يموت هذا الحاكم بعد قليل من اصدار مرسومه في عام ١٨٠٣م . وخلفه ابنه سونفا الذي كان أحد تلاميذ الشيخ عثمان . ووعد الحاكم الجديد بالغاء ماجاء في المرسوم واطاعة أوامر استاذه ، والسماح له بحرية الوعظ والإرشاد ، لكن هذا الحاكم شعر بخطر الشيخ فانقلب ، ووصلت به الحال الى التفكير في قتل شيخه واستاذه والتآمر على أتباعه وأعوانه ، وتعقدت الأمور وازدادت العلاقات سوءا بعد رفض الشيخ أن يسلم أحد رجاله ويدعى عبدالسلام لهذا الحاكم الجوبيري الذي هاجم بلدة عبدالسلام ، وقتل الناس وهم نيام في شهر الصيام ، وتمادى هذا الحاكم في إذلال المسلمين وعلى رأسهم الشيخ عثمان حيث طلب منه ترك الجماعة ، والعيش في المنفى وحيدا ، لكن الشيخ رفض ترك جماعته ، وقرر التحرك بهم الى مكان بعيد يدعى جودو . وهنا اصدر الحاكم

امــرا بالقــبض على الشــيــخ ، وطلب من حكام الامــارات قــتل المسلمين ومــصــادرة أموالهم وغزو القرى الاســلامــيــة ، ونهب مافــيـهـا ، فكان هــذا العــمل بدايــة الجهاد واعــلان قيام الامبراطورية الاســلامية .

بعد أن صــار الشــيــخ قــائداً وامــامــا لجـمـاعــة من المسلمين من الفــولاني الذين وجدوا فــيــه ارتفاعــا لشــأنهم ، وتمجيدا لآمال طالما كانوا يحلمون بها فصــاروا عــدته وســلاحه ضــد قــوى البغي والضــلال .

كانت الهجرة الى مدينة جودو بداية تأسيس امبراطورية الفــولاني التي اتخــذت من مدينة سوكــوتو عــاصــمــة لهــا ، وأخذ الشــيــخ معه الانصــار والاتبــاع الى أطــراف الصــحــراء وهناك أقــروا له بالطــاعــة والولاء ، وحلفــوا الـيــمين على طاعــتــه على الكتــاب والســنة ، وحــمل الشــيــخ لقب أمــيــر المؤمنين ذلك اللقب الذي اســتــمــر مع الخــلافة حتى نهايتــهــا في عــام ١٩٠٣م كمــا حمل لقب خليــفة وهو اللقب الذي حمــلــه أبنــاؤه وذريته من بعــده .

كانت هذه البيعة بداية الجهاد ، وإيذانا بالأخذ بنظام الخلافة الاســلامية ، ذلك لأن البيعة كانت تعني نقل الجهاد من الدور الســلبي الى الدور الايجابي الجــديد ، وإنتشرت أخبار الجهاد ضــد حكام الهــوســا ، وأصــدر الشيخ وثيقة أهــل الســودان التي صــارت اعــلانا رســمــيــا للجــهــاد ، حيث حــدد الشــيخ الاســس التي بني عليــهــا الجــهــاد ، واقــرت هذه الوثــيــقــة مــبادئ منهــا : ان الأمــر بالمعــروف والنهي عن المنكر واجب اجمــاعــا ، وان الهــجــرة من بــلاد الكفــار واجبــه اجمــاعــا ، وان الجــهــاد واجب اجماعا وان قتال البغــاة واجب اجمــاعــا .

كــان الرد العــمــلي على الوثــيــقــة ان ارســل الحــاكم الى اخــوانه الامــراء في كل من كاتســينا وكانو ، ودورا يطلب منهم يد المســاعدة لأنه (اهمــل شــرارة من النــار في امــارته حتى اتســعت رقــعــتــهــا وزادت حــدتهــا ، وصــار فــوق احتمــاله القــضــاء

على خطـورتها) .

تزعم سـلطان جوبير جبهة المعارضـة ضد الشـيخ عثـمـان ، وصـارت الحـرب وشـيكة بين المؤمنين والوثنيين ،لم يجد الشيخ بدا من اعلان الجهاد في سـبيل الله ، فلبى تلاميـذه النداء لأن ارتبـاطهم به لم يكن مجـرد حلقات درس تنتـهي ، بل كـان الارتبـاط عـمـيقـا بالحـب والتـقـدير ، فكانوا له مـؤيدين . تكبـدوا المعـاناة وتحـملوا عـبء الكفاح عندما هاجـم الشيخ امـارة جوبيـر اثر قـرار حاكـمها بتـأديب الشـيخ عثمـان ، فحـدث الإلتـحـام ، وبـدأت الحـــرب وانتقلت الدعـوة من مرحـلة السـلم إلى مـرحـلة الجـهـاد المسـلح ، وبعـد أن اغـار حـاكم جـوبيـر على قـوى المسلمين وممتلكات الموحـدين .

وفي الرابع من يونيه عـام ١٨٠٤م تقـدمت قـوات الجـهاد بزعامة عـبدالله بن فـودى الذي اخلى مواقعه في جـودو توقعا لهجـوم من سـلطان جوبير ، واتجـه الى بحـيرة تابكين كوتو ، وعلى ضفـاف هذه البحيرة أطبق المسلمون على قـوات البغي والعـدوان ودارت عليـهـا الدائرة ، فـهرب من وجد سـبيلا لذلك وسـقط في سـاحة المعركة الكثير ، وتفـرق شـمل الأعـداء في أول مواجهـة حاسـمة في الجهـاد ، لكن النصـر لم يكن نهـائيـا لأن فلول المشـركين عـادت ، بعـد أن جـمـعت قـواتهـا في سنة ١٨٠٥م وبدأت الهـجـوم من جـديد على الشـيـخ وجـمـاعـتـه ، ودارت مـعـركـة تسـونسـو التي هـزم فـيـهـا المسلمون في البـداية ، وراح منهم أكـثر من ألف شـهـيـد ولكنهم صمـدوا للهجـوم .

استـمـرت الحـرب سـجـالا بين الطرفين دون تفـوق طرف على الآخـر ، وتمكنت قـوات الجـهاد من السيطرة على امارة كيبي واتخذتها عـاصمة لها . وتوالى سـقوط امـارات الهـوسـا في ايدي المسلمين حيث سـقطت زاريا عـام ١٨٠٥م وأسـتـمـر النصـر حليـفـا للشـيـخ واتباعـه حـتى تحقق النصـر المبين ، ودخل عـاصـمـة الامـارة وتسـمى

الكالاوا في عام ١٨٠٨م ، وتم قتل السلطان يونفا مع عدد من أتباعه ، وانتهت مقاومة الوثنيين ، وصارت كلمة الذين آمنوا هي العليا ، وتوافدت القبائل زرافات ووحدانا الى معسكر الشيخ تعلن الدخول في الاسلام والانضمام الى حلف المسلمين وتوسعت دولة الفولاني ، وتكونت امارة جديدة ، واعطي الشيخ اعلاما لاتباعه لاعلان الجهاد في مختلف المناطق ، فتوسعت رقعة الدولة ، ودخل الناس تحت راية الجهاد ، وانتقل الشيخ الى مدينة سيفاوا عام ١٨٠٩م ، بينما ابنه محمد بلو في مدينة سوكوتو .

وعادت المنطقة الى حكم المسلمين ، ولأول مرة تشكلت وحدة سياسية كبرى أطلق عليها امبراطورية الفولاني .

وقامت دولة الفولاني على نظام الخلافة الاسلامية ، وصار الخليفة يشرف على كل امارات الدولة ، وتأصلت جذور الدعوة الاسلامية فنمت وترعرعت وآتت أكلها وتمسك المسلمون بالشريعة الغراء ، وساد الأمن ارجاء المنطقة التي ازدهرت بها الحضارة الاسلامية .

وفي عام ١٨١٢م ، اقتصر دور الشيخ على التأليف والوعظ والارشاد بعد أن قسم الامبراطورية الى قسمين : قسم شرقي تحت اشراف ابنه محمد بلو ، والآخر غربي تحت اشراف اخيه عبدالله بن فودي ، وكرس الشيخ الجزء الباقي من حياته في التأمل والدراسة في مدينة سيفاوا حتى وافاه الأجل المحتوم في ١٨١٧م ، بعد أن أرسى قواعد دولة اسلامية . وحكم ابناؤه من بعده مدة قرن من الزمان حتى سقوط هذه الخلافة في ايدي البريطانيين في عام ١٩٠٣م .لقد لعب ابناء الشيخ واحفاده دورا بطوليا ضد الاستعمار الاوروبي الذي تكالب على مناطق الدولة الاسلامية ابتداء من الربع الاخير للقرن التاسع عشر وخاضوا صراعا مريرا ضد الجيوش البريطانية التي جاءت للقضاء على هذه الحضارة الاسلامية الزاهرة . لكن

رغم سقوط الدولة عسكريا الا ان الاسس التي وضعوها والنظم الاسلامية التي ساروا عليها ادهشت الاوربيين وجعلتهم عاجزين عن ابدال تلك الحضارة الراسخة بنظم جاءوا بها فاضطروا للابقاء عليها مؤقتا حتى يتسنى لهم فرصة الانقضاض على الدولة الفولانية والقضاء عليها .

وقد حاولت بعض الكتابات المغرضه ان تقلل من اهمية الجهاد وبخاصة الكتاب الغربيين مثل (Webster) وبستر في كتابه سنوات الثورة في غرب افريقيا منذ عام ١٨٠٠م (West Africa , Since 1800 The Revolutionary Years In) والذي زعم فيه ان الجهاد كان صراعاً سياسيا بين الهوسا والفولاني استخدم فيه الفولاني عامل الدين في مناورة عسكرية للسيطرة على بلاد الهوسا . ومثله ميك (Meak) في كتابه القبائل الشمالية في نيجيريا (The Northern Tribes of Nigeria) والذي يرى ان جهاد الفولاني كان يخفي وراءه اطماعا سياسية في ثوب الاصلاح الديني (٧) .

ولكن هذه الافتراءات مردود عليها فقد اتفق جميع المؤرخين المنصفين على ان الحركة ارتكزت اساسا على الاسلام . ويرى العالم النيجيري عبدالله سميث في كتابه (الثورة الاسلامية في القرن التاسع عشر) (٨) ان الحركة كانت اكثر من محاولة مجموعة من الرجال المحرومين من اجل السيطرة السياسية لصالحهم . بل كانت حركة فكرية تهدف الى خلق مجتمع مثالي تسوده الشريعة الغراء . فالفولاني لم تجمعهم عصبية لقبيلة معينه ولا كونهم ابناء منطقة معينه . فاتباع الشيخ كانوا يتزايدون مع رحلاته وفي حلقاته العلميه ، لم يكن يتعهدهم بالتعليم فقط ولكن بالتربية والتوجيه السليم ، ويحاول جهد طاقته ان يقيم لهم منهجا اسلاميا فهما وتطبيقا ، ولم يكن الرابط بينهم تمذهبهم بمذهب واحد معين ، او انطلاقهم من منطلق الوطنية او القوميه ، ولم يكن الشيخ هو المعلم الوحيد في

وطنه حتى يقال ان تجمع الناس حوله كان ضروره بل كان هناك المئات غيره ، ولم يكن الشيخ ولا الدعوة التي يدعو اليها من اهل السلطان حتى يتجمعوا عليها رغبة او رهبة ، بل كان الامر بالعكس فكان الداعيه ابعد علماء مجتمعه عن هذا الميدان واشدهم بغضا له ، فقدكانت الدعوة الى الاسلام هي العروة والوثقى التي تجمعت حولها جماعة الفولاني . الدعوه الموجهة الي المسلمين لتصحيح اسلامهم والى غير المسلمين للدخول الى الاسلام والى المجتمع لاقامة شريعة الاسلام [٩] .

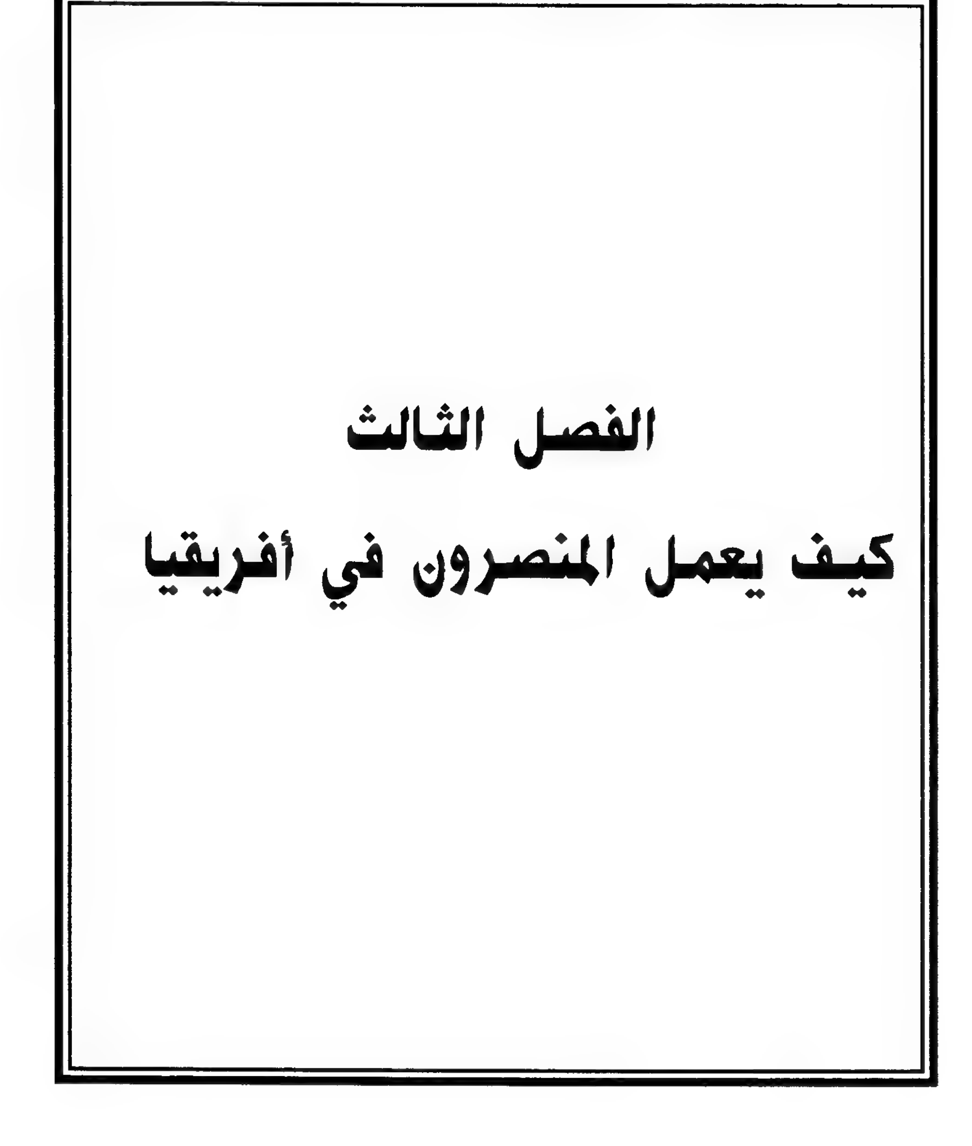
وقد تناولنا بشئ من التفصيل هذه الدولة لان اصولها ممتده حتى الان في نيجيريا والتي تدين للشيخ عثمان واتباعه بانها حاليا اكبر دوله اسلاميه في افريقيا جنوب الصحراء . ولان ابناء الفولاني تحملوا شرف الدعوة حتى بداية الغزو الصليبي الاستعماري لافريقيا في مطلع القرن العشرين وسقط منهم الآف القتلى شهداء العقيدة الاسلامية .

---

(٧) د/ عبدالله عبد الرزاق ـ مصدر سابق ص ٤٨ .

(٨) المصدر السابق ص ٤٨ .

(٩) د/ حسن عيسى عبدالظاهر ـ مرجع سابق ص ١٥٠/١٥١ .



الفصل الثالث

كيف يعمل المنصرون في أفريقيا

كيف يعمل المنصرون في افريقيا

فـيـمـا سـبق استـعـرضنا جـوانبا مـن التـاريـخ المشـرف للاسـلام في افـريقـيـا . وقدمنا نماذج لعـديد من الدول التي اقامت حضـارات تليـده التزمت الاسـلام منهجاً مـتكامـلاً للحـيـاة دينـا ودولـه امـه وحـكومـه ، فكرا وعـبـاده . وان هـذه الدول حـافظت على كـيـانهـا وعلى قـوتهـا ، في ظل تمسـكهـا بهـذا المنهج . وعـانت من الضعف بعدما بعدت عنه او حاولت تجزئته ولعل من اسـباب ابتعـاد هذه الدول عن الاخـذ بالمنهج الاسـلامي يتـمـثـل في تهـاون المسـئولون فـيـهـا وسـمـاحـهم لدخـول المنصـرين في بعـثـات منظمـة الى ديـار المسلمين الافارقـة . والتي هي مـسـتمـرة في مخططها . وكانت تطـوره طبـقا للظـروف والمتغـيرات . وفي هـذا الفصـل نتـعرض لدراسـة وردت بالتـفـصيـل في ملفـات مؤتـمـر كلورادو لتنصير المسلمين والتي بحثت في ذلك المؤتمر تحت عنوان : (الوضـع بين الاسـلام والمسـيـحـيـة في افـريقـيـا جنوب الصحـراء) [١] وتتضـمن مـقـترحـات لاخبث واحدث الاسـاليب لاخراج المسلمين من دينهم وادخالهم في المسيحية قدر المسـتطاع .

وهذه الدراسـة اعدها جيرالد سـوانك مسـاعـد المدير العام للبعـثـة التنصـيرية العـامـلة في بـلاد السـودان . والمسـئول المبـاشـر عن الكهنوتات التي تتـولى مـهـمـة التنصير وسـط المسلمين هناك وهو مـزود بخـبـرة ٣٨ عاماً في العـمـل التنصـيري في كل من السـودان ونيجيريا . ومؤلف كتاب :

(امكانيـات التنصـير الواسـعـة بين سـكان وسط نيجيريا) هذه الرسـالة افرد لهـا ملـف كلورادو ١٨ صـفـحـة مـعـززة بالخـرائط والرسـوم البـيـانيـة والجـداول الاحصـائية المقـارنه . وقد غطت ٢٨ بلـدا وفيـها عرض مفصل للكيـفية التي يعـمل بها المنصـرون في تـلك البـلاد .

---

(١) 1/ Gerald O. Swank , The Comparative Status of Christianity And Islam In Sub - Sahra Africa, (The Gospel And Islam) 1978, P . 236 - 254 .

هـذه البلدان صنفت على انهـا (بلدان افـريقـيـا جنوب الصحـراء) ويلاحـظ ان جزءً كبيـرا من الدول العـربيـة وعـددا من الدول الاسـلاميـة التي ليس فـيـهـا وجـود مسـيـحي . ضمن هذه المنطقـة المسـتـهـدفه .والدول التي وردت ضمن الدراسـة هي السـودان والصـومـال وتشـاد وجيـبـوتي ومـالي والسـنغـال واثيـوبيـا ونيـجيـريا واوغنـدا وكينيـا وغـانا وداهـومي وليـبيـريا ومـدغـشقـر ومـلاوي وسـاحل العـاج وغينيـا وجـزر القمر والكاميرون وافريقيا الوسـطى وموزمبيق والنيجر وغـينيا بيساو وفولتا العليا وسـيرالون وتوجـو وتنزانيا وغامبيـا [٢] .

في هـذه الدراسـة طـرح سـوانك خـمسـة اسئلة اسـاسـيـة وفـيـما يلي نـص الاسـئلة ومعالجته ونترجمها كما وردت .

١/ ماهـي صـورة المسـيحية في عيـون المسـلمين ؟

٢/ كيف ينظر المسيحيون للمسـلمين ؟

٣/ ماهـي العـلاقة بين الاسـلام والمسـيحية ؟

٤/ مامـدى معـرفة المسـلمين بالمسيحية ؟

٥/ ماهـو الوضـع المقـارن للتعليم وسـط كل من المسيحيين والمسلمين وما هو تأثـير المسـيحيين في السـياسـة والحكم ؟

فيما يـلي اهـم ماورد في الدراسـة :

يقـول سـوانك : (الاسـلام هنا يشـكل تأثـيـرا حـقـيـقـيـا اذ يوجـد ٧٠ مليـون مسلم من بين ٨٠ مليـون مسـلم في افـريقـيا جنـوب الصحـراء لم يتم تنصـيرهم بعد (اي تم تنصـير عـشـرة ملايين) وهـنا لابد من الاشـارة الى التأثير الفعـال والفرص الثمـينه التي اتاحـهـا انتـشـار الراديو والتـرانزسـتـور وهـجـرة المسـيـحـيين الى المدن والاوضاع الصناعية الجـديده وانتشـار الابرشيات والاديره التي اصبحت تمارس عملها بحـرية في مناطق كـثيـرة . وقـد أورد سـوانك انه في احـد اقـاليم نيـجيـريا طـرد

اثنـان من المنصـرين بين المسـلمين فـرفـعت الكنيسـة الموضـوع للجهـات الرسـمية التي تفهمت الوضـع على حد قـوله واعادتهما فاستمرا في اداء مهمتهما .

ثم يوردهناك اكثر من ٧٠ ٪ من هذه الدول تمت اسلمتهـا (كلمة تمت اسلمته أو أسلمتـهـا هي المصطلح الذي اسـتـخـدمـه سـوانك في هـذه الدراسـة ليـقـول لمستمعيه ان الاسـلام دخيل على هـؤلاء الناس وقد اخفى عنهم ان الاسـلام وجد في اجزاء واسـعة من هـذه المنطقة قبل المسيحية بعـدة قـرون) كمـا في جـزر القمـر وجيبوتي وغامبيـا ومـالي والنيجـر والسـنغال والصـومال . وفي دول اخرى تشكل العقيدة ألاسـلامية مابين ٣٥ ـ ٧٠ ٪ كما في السـودان وتشـاد واثيوبيا ونيجيريا وسـيراليون وفولتا العليا . اما المجموعة الثالثة فالاسلام يشكل فيها ٣٥ ٪ من عـدد السـكان وهذا يعني ان ١٤ من الـ ٢٨ بلـدا مـوضـع الدراسـة يتخـذ الاسـلام فيها مكانه جـوهرية . وله قابلية كبيره للتوسـع فـيها وهذه غير البلدان التي يشكل فيها وجـوده ١٠٠٪ كما في الصـومال وجـزر القمـر وجيبوتي .

يذكر سـوانك ان استبيانا من عـدة اسـئلة وجـه لتجيب عليه المنظمات المكلفة بالتنصـيـر هنا وسـط المسلمين وكـان السـؤال الاول عن عـدد المسـلمين الذين اسـتطاعت ان تعرض عليهم الاسـلام وكـانت الاجابة ان النسـبة بلغت في نيجيريا واوغنـدا ٥٠ ٪ ... ويقول : (هناك ٢١٣ قبيلة في افريقـيا جنوب الصحـراء اما انهـا ادخلت الاسـلام باكـملهـا او انهـا اسـلمت بشـكل واسع وبنسـبـة تبلغ ٧٥ ٪ واعلى من ذلك وان خط الاسـلام يمتـد عـبـر افـريقـيـا الى مـابين ١٠٠/٢٠٠ مـيـلاً تقريبا جنـوب الصحـراء الكـبرى . هـذا الخط ظل يتقدم جنـوبا باسـتمرار منذ القـرن السـادس وحتى حـوالي عام ١٩٥٠م .

ولقد تصدت المسيحية للاسـلام في افريقيا جنـوب الصحـراء واستطاعت ان توقـف تقـدمه جنوباً . والمسـيحية اليوم تكسب مزيدا من الاتباع بين ذوي الديانات

التقليدية اكثر مما يكسب الاسلام وهو يتزايد هنا بالاساليب البايولوجيه (يعني انه لا يدخله اناس جدد وانما بالانجاب ... هذه المعلومات غير صحيحة طبعاً ونعتقد ان سوانك يعلم ذلك لكنه يريد تحفيز زملائه لتكثيف نشاطهم).

ويتحدث سوانك عن القبائل المسلمة بقوله : ((هناك مجموعات قبلية كثيرة لم تؤسلم بشكل واسع لكنها تضم مسلمين كثيرين فمثلا قبيلة الماكوند في جنوب تنزانيا عدد افرادها ٥٥٠ الفا وتمتد الى داخل اراضي موزمبيق . من الماكوند ٩٠٪ يقولون انهم مسلمون وقد اتخذوا عام ١٩١٠/ ١٩٢٠م اسماء اسلامية وامتنعوا عن اكل لحم الخنزير . ويلتزمون بنسبة ٣٠٪ باداء الصيام و١٠٪ منهم يؤدون صلاة الجمعة ، لكنهم لم يتخلوا عن عاداتهم واعتقاداتهم التقليدية . ولديهم محرمات طقوسية ويمارسون السحر)) . ثم يمضي للقول .

بهذا المقياس الاخير يتضح ان ٨٠٪ من ابناء هذه القبيلة مازالوا يتبعون معتقدات فاسدة ولا يمارسون الا نسبة ضئلة من التقاليد الاسلامية . بين الماكوند قيادات قليلة متعلمة معظم المدرسين لا يستطيعون قراءة القرآن بل يرفضون تدريس الاسلام في المدارس (وتأمل ايها القارئ الكريم كيف يعمل المنصرون على جمع تفاصيل ادق المعلومات) ويضيف :

((لقد اعطت هجرة الماكوند الذين يعيشون في موزمبيق الى تنزانيا وهم احيائيون متعصبون دعما قويا للعمل التنصيري وسط هذه القبيلة فهم اشد اقبالا على السفر والترحال ولديهم استعداد اكثر لدخول المسيحية بدل الاسلام كما ساعد تطلعهم للتعليم والمعرفة على انشاء ابرشيات صغيرة وسط تجمعاتهم المهاجرة وعبرهم امكن التأثير على ماكوند تنزانيا المسلمين)) .

المثال الثاني من شمال نيجيريا حيث توجد قبيلة النوب (Nupe) وعدد افرادها ٥٨٧ الفا وهي بهذا تشكل امبراطورية اسلامية واسعة وعمل بعثات التنصير

المنظم بدأ وسطهم منذ عام ١٨٩٠م وفي عام ١٩٠١م وبعد ثلاثة محاولات تمكنت البعثة الداخلية لتنصير بلاد السودان من انشاء مركز تنصيري في وسط قبيلة النوب ثم دخلت بعثة ثالثة بعد ذلك التاريخ باربع او خمس سنوات ...

يقول سوانك : ((هؤلاء الناس مسلمون بدرجة عالية فبالرغم من العمل التنصيري المكثف بينهم خاصة في مجال التعليم الا انه لم يحرز تقدما يذكر وامكن تنصير عدد ضئيل جداً إذ أوضحت دراسة اجريت عام ١٩٧٠م انه تم تنصير ١٥٠٠ شخص فقط واليوم هناك ٥٠٪ من اعضاء هذه القبيلة لا يدرون ماهو الإنجيل ، هذان المثالان يوضحان مدى الصعوبة التي تواجهها الكنيسة في جهودها لاختراق المجتمع الاسلامي)) .

هذا قول سوانك نفسه وهو شهادة بين شهادات كثيرة وردت في الكتاب تؤكد على رسوخ الاسلام الذي كما نعلم لا يحتاج لاي شهادة من المنصرين او غيرهم . حاليا يوجد ٢٩ مليون شخص لم يتم تنصيرهم بعد ، ينتمون لـ ٣٣٦ قبيلة أخرى على خط المواجهة مع الإسلام ولابد من تنصيرهم ، لأن المسلمين يسابقوننا في الوصول الى هؤلاء الناس . والاحتمال الأكبر هو أن يصبحوا خلال الخمسة والعشرين عاما القادمة (قدمت الدراسة عام ١٩٧٨م) إما مسلمين أو مسحيين .

ويمضي سوانك في عرض هذه المعلومات الدقيقة بناء على دراسات ميدانية تم اجراؤها عن جميع القبائل والطوائف والتجمعات الطائفية . فيقول :العيساويون طائفة مسلمة في شمال نيجيريا . ظهرت عام ١٨٤٣م . وبسبب تقديسهم للمسيح اعتبروا من قبل المسلمين المتطرفين (المسلم المتطرف مصطلح يطلق على المسلم المتمسك بدينه والمدافع عنه) خارجين عن الاسلام . وبسبب اعتقاداتهم وممارساتهم اللا اسلامية نبذهم المسلمون . كما أن المسيحيين لم يقبلوهم . لكن في السنوات الثلاث الأخيرة أبدوا استجابة واضحة للمنصرين . وقبل عدة شهور مضت من

عام (١٩٧٨م) صرح زعيمهم وأتباعه الثمانمائة برغبتهم في دخول المسيحية هذا في رأينا ورغم أنهم مجرد مجموعة صغيرة الا أنه يشكل شقا آخر في جدار الاسلام .

المثال الآخر من قبيلة الفولاني . وهم مسلمون بدو في غرب افريقيا ، عددهم حوالي (٨) ملايين وينتشرون من السنغال شمالا الى داخل دولة افريقيا الوسطى . ويعيش نصفهم تقريبا في نيجيريا ، ولهم يعود بالدرجة الأولى الفضل في أسلمة نيجيريا في القرن التاسع عشر ، فطبيعتهم البدوية جعلتهم يرعون قطعانهم حول القرى والمدن الزراعية ، حيث يوجد مسلمون داخلها يتبادلون معهم الحبوب والعلف مقابل الحليب ، طبيعتهم المتحركة جعلتنا نلجأ الى اقامة كنائس متحركة حتى نتمكن من الوصول اليهم ، وحاليا اثمرت جهودنا . يوجد على الأقل ثلاثة أو أربعة من ابناء الفولاني في كل واحدة من مدارس تدريس الانجيل الثماني في نيجيريا ، ونحن على قناعة تامة بأن الفولاني على اعتاب الدخول الى المسيحية .

نموذج لوضع المسلم

الذي يتحول للمسيحية

ومن بين أفراد قبيلة الهوسا البالغ عددهم مابين ١٢ ـ ١٥ مليونا ، ينتشرون في نيجيريا والبلدان المجاورة لها . هناك أقل من ألف شخص خرجوا من الاسلام ليدخلوا في المسيحية والعدد الأكبر من هؤلاء كان في النيجر والسبب أن مقاومة المسيحية هنا ضعيفة بين المسلمين ، وقد وصلت رسالة التنصير الى عدد كبير منهم نتيجة للعمل المكثف الذي بذل خلال ٣٥ عاما الماضية عبر الراديو الترانزستور ومن خلال الأدب المتداول . وبعض البعثات . ومستشفيات العيون . والعيادات الطبية الأخرى المنتشرة في شمال النيجر وفي شمال نيجيريا .

لقد أصبح من الأشياء الراسخة في تلك المناطق أن المسيحيين يوفون بكلمتهم .

ويمكن الاعتماد عليهم . وكثير من المسلمين هناك هذه الأيام يعتبر مايقوله المسيحيون هـو الصحيح ، لكنهم يقولون أنهم لا يستطيعون ممارسة المسيحية عمليا . ويعني ذلك أن هناك ضغوطا اجتماعية كبيرة عليهم تمنعهم من أن يعيشوا كمسيحيين .

هنا انبه الى أنه في عملنا التنصيري يوجد عنصر بالغ الأهمية وهو أنه في كثير من الأحيان واثناء تقديم الانجيل للناس يقول المنصر اشياء تجعل من يستمع اليه ينفر ويرفض تقبل مايسمعه .

هناك كلمات معينه مشحونه بالعاطفه يستخدمها المنصر . تجعل الشخص المستهدف يصد عنها سواء جاءت مباشرة أو من خلال الراديو . ولهذا ينبغي على المسيحيين اكتشاف طرق وأساليب جديدة تمكنهم من الدخول الى عقل المسلم . وجعل المسلمين يستمعون الى رسالة التنصير لوقت كافٍ .

لقد اعطانا مركز بعثات التنصير المتطور ، أدوات مفيدة نستطيع بواسطتها تصنيف أي مجموعة من الناس ، وهذا يمكن تطبيقه على كل جماعة مؤسلمة حتى نتفهم الاسلوب الأمثل لاختراق كل وحدة اسلامية متجانسة .

وفي كتاب كنائيس كينيا الذي صدر عام ١٩٧٣م نموذج توصيفي رائع لنوع المعلومات التي نحن بحاجة ماسة اليها . في اداء عملنا التنصيري بين المسلمين ويمكن جمعها مستعينين بخريطة كينيا التي تبين الجماعات التي لم يتم تنصيرها بعد كمثال يتبع .

هذا النموذج يوضح كيف أمكن اختراق المجتمعات الاسلامية الصغيرة في كينيا وهو مثال لما ينبغي تطبيقه في كل بلد توجد به أغلبية اسلامية . فبمجرد تمكننا من تصنيف أوضاع الناس . وظروفهم . ودراسة تكوينهم . نستطيع أن نبدأ العمل .

نحن بحاجة لاجراء دراسة من هذا النوع بين ٢٠ مليونا في نيجيريا

يشـكلون عشـر أو احـدى عشـرة مجموعـة مختلفة . فمن بين اشـيـاء أخـرى علينا أن نعـرف أي شـريحة اجتماعية وسـطهم لديها اسـتعداد أكبر وأشـد قابلية للاسـتجابة لنـا ، في هـذا الوقت . أو مـاهي احـتـيـاجـاتهم الملحـة التي نوليـهـا اهـتـمـامنا اثـنـاء تقديمنا الانجيل لهـم ؟

نعـود الى الأمـثـلة الأسـاسـيـة التي طرحت في أول هـذا الحـديث .. مـاهي صـورة المسـيـحـيـة في عـيـون المسلمين في افـريقـيـا جنوب الصـحـراء ؟ وهل رأى المسلمـون المسيحية على الطبيعة وفي الواقع المعاش ؟

نـورد للاجابـة على هذا السـؤال واحدا من الأمثلة الرائعة فقد قال مسلمو الفـولاني أنهم رأوا مـدى التـغـيـر الذي حـدث لدى شـعب الجـورمـاتشي منـذ أن تحـول الى المسـيـحـيـة ... وأنهم مهـتـمـون لهذا السـبب بالمسـيـحية .السـؤال الثـاني كـيف يرى المسـيـحـيـون المسلمـون ؟ هو الآخـر سـؤال بنفـس الدرجـة من الأهـمـيـة ، وقـد وجهـت السـؤال التـالي للمسـيـحيين في غـانا . مـا رأيكـم في شـعب الداجـومبا في شـمـال غـانا وهل ترغـبـون في تنصـيـرهم ؟ وكـانت الإجـابة التي صـاحبـتـهـا هـزة من الكتف أنهم مـسلمـون . وكـأنـه لا توجـد امكانيـة دعـك من وجـود ضـرورة لايصـال رسـالة الانجيـل الى هـؤلاء النـاس .

مثل هذه الإجابة كررها المسـيـحيون في عدد من الدول في غـرب افـريقـيـا فـالبنسـبة لكثيـر من المنصرين هناك أن العمل على تنصـيـر المسلمين لايرقى لمجـرد الاحـتـمـال . فـهم يـرون المسلمين امـا أنهم خـارج قـدرة الانجيــل لتـحـويلهم عن عـقـيـدتهم أو انهم يرون أن ذلك غـيـر مهم انطـلاقا من قنـاعـة فسيولوجية (دينية) .

ثم مـاهي العـلاقـة بين المسـيـحي والمسـلم ؟ ومـاذا عندمـا يتولى المسلمون السـلطة . أو مـاهـي التـغـيـرات التي تحدث عندمـا يكون هناك عدد من المسيحـيين في وظائف حكومية ؟

مثلا تأثير المسيحيين في أواسط نيجيريا كان ذا أهمية استراتيجية فهناك عدد من حكام الأقاليم مسيحيون . وآخرون في وضع يمكنهم من التأثير على صناعة القرار وزعيم قبيلة الكاجورو الذي يتبعه ٢٠ ألف شخص يتولى منصب رئاسة مجلس زعماء القبائل فهو وآخرون مسيحيون ويشكلون تأثيراً عظيما على ذلك المجلس الهام .

سؤال آخر ...ماهو الوضع المقارن للتربية العربية في أوساط المسيحيين مقارنا بمجتمع المسلمين ؟ عادة يكون المسيحيون هم الذين يتقدمون بسرعة أكثر من المسلمين ، وهذا يعطيهم وضعا متقدما على النخبة الاسلامية المتعلمة الذين تلقوا فقط تعليما تقليديا في القرآن واللغة العربية . انتهى كلام سوانك .

وأمام هذا الرصد الدقيق من جانب المنصرين لانملك الا أن نتساءل عن ما لدينا من معلومات ودراسات ميدانية عن أوضاع هؤلاء المسلمين الذين يتربص بهم المنصرون من كل صوب ؟

فالخطط الصليبية التي يضعها المنصرون . ليست حبرا على ورق . ولكن سرعان ماتنتقل الى حيز التنفيذ ، وبكل دقة ، بل ويتجاوزها أحيانا المنصرون لمواجهة مايطرأ لهم اثناء عمليات التنفيذ .

ولم يتورع المنصرون عن استخدام كل الوسائل سواء كانت مشروعة (ونعني بذلك أنها مسموح بها من قبل الدولة التي يمارسون نشاطهم فيها) أو غير مشروعة لتنفيذ مخططاتهم ، بل وصل بهم الأمر الى استخدام القوة المسلحة لتغيير أنظمة الحكم التي تتراسها شخصيات مسلمة ، وتقوم بعرقلة نشاطهم ، وقد حدث ذلك في حقبة الثمانينات في اوغندا ، حيث أغد المنصرون جيشا من المتمردين الاوغنديين غالبيتهم من المسيحيين وقاموا بغزو اوغندا. انطلاقا من تنزانيا التي كان يحكمها في ذلك الوقت القس جوليوس نيريري ، وتمكنوا من

اسـقـاط حكم الرئيس عـيـدي أمين أول حاكم مسـلم لاوغـنـدا بعد أن اسـبـقـوا الغزو بحمـلـة قـاسـيـة لتشـويه صـورة عيدي أمين في الخارج ، وتصويره وحشـا من أكـلي لحوم البشـر (٣) .

ومـا ذلك الا لان عـيـدي امـين قـد بـدأ يهـتم بالدعـوة الاسـلامـيـة ونشـر اللغـة العـربيـة (لغـة القـرآن) بين ارجـاء بـلاده . وبـدأ يكشـف الابعـاد التنصـيـرية لبعض المدارس والمراكز الثـقـافـيـة البـريطانيـة المنتشرة في اوغـنـدا . واحـاط بالدور التخريبي الذي تقـوم بـه الكنائس في هـذا البلد الذي تقطنه غـالبية اسـلامـيـة ، مما يؤكد ان السـبب لم يكن سـيـاسـيـا بل اخذهم على عـيدي امـيـن ان حكومـتـه كـانت تضـم ٣٠ وزيـرا بينهم فقط ثمانيـة مسيحيين ومطالبتهم بنصـف مقاعـد الحكـومة في بلـد كان المسـلمون في ذلك الوقت يشكلون فيه غالبيـة تصل الى ٨٠ ٪ (٤) .

وحاول المنصرون تنظيم إنقـلاب عـسـكري في نيـجـيريا وقـد ثـارت ثائرتهم لانضـمام هـذا البـلـد المسـلم الى منظمـة المؤتمر الاسـلامي . وكـانت اخـر هـذه المحـاولات الفاشـلة في ٢٢ ابريل ١٩٩٠م ولعـل الله سـبحانه وتعالى اراد بانتصـارها المؤقت الذي دام ٢٤ سـاعـة فـقط كـشـف الابعـاد التنصـيـرية وراء ذلك الانقـلاب . فـفي البيـان الاول والاخـيـر الذي اذاعـه المتمردون بقيادة جنرال يدعى جيجي اوجواز اوكا (٥) زعـمـوا انهـا لـيـسـت انقـلابا وانما ثـورة ضـد سـيـطرة مـسـلمي الشـمـال على وسـط وجنوب نيـجـيـريا الذي تقطنه على حد زعـمـهم اغلبـيـة مـسـيـحـيـة ووصل بهم الامـر الى فـصل الولايات ذات الاغلبـيـة الاسـلامـيـة عن نيـجـيريا واعلن الجنرال اوكا في البـيـان الذي اذاعـه بعـد سـيـطرتهم على الاذاعـةالوطنيـة في نيـجـيـريا « انه تم فـصل ولايات الشـمـال الاقطاعية كاتسينا وكانو وبوشي عن باقي البـلاد وان سيطرة

---

٣ - مجلـة مـراة افريقيـا من اصدار منظمـة الدعـوة الاسـلامية بالفيديـو ـ الخرطـوم ١٩٩٠م .

(٤) محمود شاكر ـ العالم الاسلامي ومحاولات السيطرة عليه ص ٦٢ .

(٥) وكالة رويتر للانباء ـ برقية رقم ٢٧ بتاريخ ٢٢ ابريل ١٩٩٠م .

ولايات الشـمال الاقطاعية والارستقراطية اصبحت في الماضـي » ٠

وقد جاء في البيـان بالنص : « انها ثـورة ضـد حـالة العبـودية التي فرضـها مسلمو الشـمال الذين يتولون السـلطة في نيجيريا على سـكان الجنوب والوسـط ، فـالنظام الدكتـاتوري للجنرال بابنجيـدا جـعل سـكان الجنوب والحزام الواقع وسـط البـلاد يعيشـون في عـبـودية . (٦) . والمحاولة الانقـلابيـة ضـد باباجيـدا تدخل في اطـار الجهود التي يقوم بها المنصرون ضد نيجيريا هذا البلد المسـلم منذ الاسـتقلال عن بريطانيا ، وذلك باثـارة الفتـن والنعـرات العرقيـة بين اقـاليـمها الاربع الشمـال والجنوب والشـرق والغـرب ، ومن اشـهـر المؤامـرات الكنسـيـة ضد هـذا البلد تلك التي راح ضحيتها الشهيدان احمدو وبللو حفيد الداعية الاسـلامي عثمان دان فوديو ، وابوبكر تفاوا وعائلتاهما ، وبدأ التدبير لهذه المؤامره منذ اوائل ديسـمبر ١٩٦٥م عندمـا قـام الميـجـور (تشـوكـومـانزوغـو) النصـراني والذي كـان يعمل مـدرسا في المدرسـة الحربية في الشـمـال بمناورات ليلية على انها مناورات تدريبية يجري فيـها اطـلاق النار وتحركـات للقوات حتى اصبـحت التـحركـات واصوات الرصاص مألوفا للسلطات ، وفي فجر ١٥ يناير عام ١٩٦٦م تحرك نزوغو بمجموعة من المتآمرين نحو منزل الزعيم احمدو بللو والقـوا قنابلهم على الحـرس القليلين ثم انتزعوه هو وزوجته من فراشـه واطلقوا عليهـما الرصاص ولـم يهدأ حقدهم الى ان قطعوا الجثتين اربا ثم تركوا المنزل طعمـه للنيـران ، اما في العاصـمة لاجـوس فقـد توجهت في نفس الليلة مجموعة اخرى من المتآمرين وخطفت رئيس الجمهـورية الاتحادي ابوبكر تفـاو ووزير المـاليـة الاتحـادي فـسـتـوس اوكـوتي ايبـو المتـهم بمـولاة المسلمين ، ونقلوهـمـا مع بعض افراد عائلتيهما بعيداً عن العاصـمة ، حيث قتلوا جميعا بعد ايام من بـدء المؤامرة .

وباغتيال الشهيدين احمدو بللو وابوبكر تفاوا خلى الجـو للمنصـرين فترة من الزمن

---

(٦) وكالة الانباء الفرنسية ـ برقية رقم ٢٨ بتاريخ ٢٢ ابريل ١٩٩٠م ٠

ادخلوا خلالها نيجيريا في دوامة الحرب الاهلية ، محاولة فصل بيافرا التي لاتزال اثارها باقيــة حتى اليوم . [٧] .

وهناك نموذج اخر أكـثـر وضـوحا للتـدخـل العسـكري ضـد الدول الاسـلامـيـة في افريقيـا وهو مايجـري حاليا في جنـوب السـودان واعلان المتمردين صـراحة وبدعـم من الدول الصليـبـيـة والدوائر الكنسـيـة العـالميـة انهم (لا يسـعـون لفـصل جنوب السـودان فقط وتكوين دولـة مسـيحية هناك بل يسـعـون لتحـرير شـمال السـودان وبقية وادي النيل من الاسـتـعـمار العـربي [٨] . ومن اساليبهم ايضا اثارة القـلاقل والاضطرابات بين الدول الاسـلامـيـة في افـريقـيـا والتـوتر الذي حـدث بين الدولتين المسلمتين السـنغـال وموريتانيا عـام ١٩٨٩م نتاج عمل هـؤلاء المنصرين الذين يثيرون النعرات العنصـرية ويروجون للاختلاف بين العـرب والافـارقـة وبين السـود والبيـض ، وكـان هدفـهـم من اثـارة الاضطرابات في ذلك التـاريخ بعـينه لان السـنغـال كـانت ستـستـقبل بعد شـهـور قـادة الدول الاسـلامـيـة لحضور القـمه الخـامسـة لمنظمـة المؤتمر الاسـلامي لتكون اول دولـة افريقية تترأس القمة الاسـلامية [٩] .

ومن اسـاليبهم ايضا شـن الحروب الاعلامـيـة ضـد الجماعـات الاسـلامـية حتى تلك التي تعـمل في الاطـار السـيـاسـي الشـرعي للدول الاسـلامـيـة وحـتى تـلك التي تخـوض الانتخـابات لتصل الى الحكم عن طـريق صـناديق الاقتـراع وهو ماتدعو الدول الصليـبـيـة الي تحـقـيقـه ولكنهم يشطاطون غـيظا عندمـا تفـرز هـذه الصـناديق تفـوق الاسـلاميين كمـا حـدث في الجـــزائر واظهـروا حقـدا شـديدا عندمـا فـازت

---

(٧) محمود شـاكر ـ نيجيريا ـ مواطن الشعوب الاسلامية ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ عام ١٩٧١م ص ٩٦/٩٩ .

(٨) انظر تفاصيل أكثر في فصـل (تنصير السـودان) من هذا الكتاب ص ٦٠ .

(٩) كان من المقرر عقد هذا المؤتمر في يناير عام ١٩٩١م الا انه أجل بسبب الغزو العراقي لدولة الكويت والذي انتهى في مارس من نفس العام ، وعقدت القمة في الفترة من ٩ ـ ١٢ ديسـمبر ١٩٩١م بدلا من ٢٣ ـ ٢٥ نوفـمبر .

الجبهة الاسلامية للانقاذ في اول انتخابات محلية تجري في الجزائر بعد الاستقلال ففور ظهور النتيجة خرجت معظم الصحف الاوربية والامريكية في اليوم التالي بالخبر على صدر صفحاتها الاولى وهي عادة لا تلقي اي اهتمام لقضايا العالم النامي وخاصة الداخلية مثل الانتخابات . فخصصت صحيفة الهيرالدتريبون الامريكية موضوعها الرئيسي في صدر الصفحة الاولى لنتائج انتخابات الجزائر تحت عنوان (صدمة الجزائر) [١٠] ونشرت صورا لزعيم الجبهة عباس مدني على اربع اعمده . وتحت عنوان مفاجأة الانتخابات كتبت مجلة نيوزويك الامريكية تقول : ان الفوز غير المتوقع للاصوليين في الجزائر يبعث رسالة انذار الى الدول المجاورة ولكل العالم العربي [١١] .

وعلى نفس النهج نشرت صحيفة التايمز البريطانية تعليقا مطولا حول فوز الاسلاميين في انتخابات الجزائر تحذرفيه من خطورة المد الاسلامي في منطقة المغرب العربي مشيرة الى تصاعد المعارضه الاسلامية، واستعداء الحكام العرب ضد هذا المد الاسلامي قائلة (ان الحكام درجو على ملاحقة السياسيين المتطرفين وتركوا الحبل على القارب لائمة المساجد يتحدثون في كل شئ فكانت هذه النتيجة) [١٢] .

رحلات بابا الفاتيكان وزياراته المتكررة لافريقيا تدخل هي الاخرى في اطار تنفيذ المخطط ويركز البابا في جولاته الافريقية على زيارة الدول التي ورثت الدول الاسلامية العظيمة في التاريخ الافريقي والتي تقع على امتداد حزام المواجهة وجنوبه ففي شهر يناير عام ١٩٩٠م خرجت دولة مالي بقيادة رئيسها المسلم

---

(١٠) صحيفة انترناشيونال هيرالدتريبون عدد ١٤ يونيه ١٩٩٠م .

(١١) كلمة نيوزويك الامريكية عدد ٢٥ يونيه ١٩٩٠م .

(١٢) جريدة التايمز البريطانية تاريخ ١٦ يونيه ١٩٩٠م .

موسى تراوري [١٣] لاستقبال بابا الفاتيكان . واقامت له المهرجانات وهو الذي يقود حرب التنصير في بلادهم وفي بلاد غيرهم من المسلمين . وهذا الاستقبال وجده ايضا البابا في بلد مسلم آخر هو تشاد التي خرج رئيسها المسلم [١٤] على رأس المستقبلين ثم في السودان عام ١٩٩٢م .

يؤكد جوسكين نفارو (GOSKIN NAFARO) المتحدث باسم الفاتيكان : ان افريقيا شأنها شأن امريكا اللاتينية بمثابة خزان للكاثوليكيين في المستقبل [١٥] ويدلل على نجاح المخطط التنصيري بقوله : كل ما عليك ان تنظر الى الارقام ففي عام ١٩٠١م كان في افريقيا ١ر١ مليون كاثوليكي اما الان (عام ١٩٨٩م) فقد بلغ عدد المسيحين في افريقيا ٨٥ مليونا .

وهذا جاء نتيجة جهود متواصلة حتى انهم ترجموا الانجيل الى ٦٥٢ لغة ولهجة محلية افريقية [١٦] . ويعتمد المنصرون في حروبهم الاعلامية ببثهم التعاليم النصرانية على اجهزة الراديو (البث الاذاعي) . لانها من الوسائل التي تمتاز بسرعة الإنتشار واوردت وكالة الانباء الاسلامية الدولية في تقرير لها

تفاصيل عن اكبر مركزين للارسال لتنصير المسلمين . فالمركز الاول ومقره جزيرة سيشل يعمل بواسطة مرسلات قوتها ٢٣٠ كيلو واط من الواحده صباحا الى الثامنة مساءً ، ويبلغ مجموع ساعات الارسال ١٥٤ ساعة في الاسبوع وتذاع البرامج باللغات العربية والامهرية والفارسية والصومالية و الاوردو والسنهال

(١٣) الرئيس موسى تراوري من سلالة الترواريين مؤسسي دولة مالي التي بلغت ذروة مجدها في القرن الرابع عشر الميلادي وقد نشرت جريدة التايمز البريطانية بتاريخ ١٩٩٠/١/٢٩م صور له مع بابا الفاتيكان يشهدان مهرجانا شعبيا اقيم احتفاء بمقدم البابا .

(١٤) كان الرئيس التشادي في ذلك الوقت حسين حبري وقد تخرج من الازهر الشريف .

(١٥) د/ عبدالودود شلبي ـ حقائق ووثائق ـ مرجع سابق ص ٩٣ .

(١٦) مستشار رابطة العالم الاسلامي في اوغندا الشيخ عبده عبيد في حديث لوكالة الانباء الاسلامية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٩م .

والسـندي والبنجابي اضـافة الى اللغات الانجليزية والفرنسية والبرتغالية ٠

والمركز الثاني يتبع (اذاعة حول العالم) وهي مجموعة من مراكز الارسـال وتتركـز في سـوازيلاند ومـونت كـارلو وقـبرص ، فـفي سـوازيلاند توجـد محطـة للموجـه المتوسـطة قـوتها ٥٠ كيـلو واط ، وخمس محطات للموجة القصيرة اربع منهـا بقـوة ٢٥ كيلو واط لكل منهـا ، وواحده قـوتها ١٠٠ كيلو واط ، وتقدم ٢٥٨ سـاعة من البرامج التنصيرية اسـبوعيا ، وتذيـع باللغـات الصـومالية والسـواحلية والاوردو والهـوسا والشـيوا والانجليزية والفرنسية والالمانية والبرتغالية وعدد آخر من اللهجات الافريقيـة المحلية ، وفي قبرص محطة للموجة المتوسـطة تقوى الارسـال الذي تلتقطه من مونت كارلو وتذاع منها البرامج باللغات العربية والفارسية وبعض اللغات الاسيوية الاخرى ومدة ارسـالها ٣٠ سـاعة اسبوعيا ٠

وتوجد في مونت كـارلو محطات للموجة المتوسـطة قوتها ١٠٠٠ كيلو واط وثلاث محطات للموجة القصيـرة اثنان منها بقوة ١٠٠ كيلو واط والثالثة بقوة ١٠ كيلو واط ومحطة للموجة الطويلة قوتها ٢٠٠٠ كيلو واط ٠

وتذيع برامـجهـا باربعين لغـة منهـا العـربيـة واللهجـة البـربرية والتـركـيـة والالبـانيـة وساعات ارسـالها ١٣٠ سـاعة في الاسـبوع ٠

والى جـانب هذين المركـزين الرئيـسـيـين توجـد اذاعـات تنصـيـريه اخـرى تنطلق من بوتسوانا وجنوب افريقيا وليبريا وليسوتو واندونيسـيا ٠

وهناك برنامج تنصـيـري موجه الى الشـرق الاوسـط من امريكا يحتوي على مـواد تنصـيـرية ومـدة ارسـاله ١٢٦ سـاعـة في الاسـبـوع إضـافـة الى البـرامج الاخـرى الصـادره من الفلبين ومـدة ارسـالها ١٣٣ سـاعة في الاسـبوع ٠

انها حمـلة شعواء تشـن على كل الجبهـات ولكن المسـلمين عنها غافلـون ٠

وقد مرت بنا دراسـة جيرالد سوانك التي تقف دليلاً قاطعـاً عـلى ان الصـراع

في افريقيا ليس صراعاً سياسياً وانما صراعاً دينياً موجه ضد الإسلام .
الذي لا شك فيه هو ان المنصرين يتبعون اساليب كثيرة وملتوية لنشر عقيدتهم المنحرفة بين المسلمين ليضلونهم عن دينهم ، وبين غير المسلمين ليقطعوا امامهم طريق الهداية الى الاسلام . وبين المسلمين لا يكتفون بالوسائل المسموعة والمرئية وحدها بل يلجأون الى الطرق الخفية فيعمدون الى اختراق ثقافة المجتمع لازالة الحاجز النفسي ضد افكارهم . ومن ثم تغيير مفاهيم الناس وعاداتهم وتقاليدهم من خلال دس القصص والحكايات التنصيرية في ثنايا الموروث الشعبي للقبيلة او الطائفة أو الطبقة الاجتماعية المستهدفة . فيتناقلها الناس في اسمارهم وامثالهم دون ان ينتبهوا لما تحمله من افكار معادية .
وكمثال على ذلك القول المشهور (اعط مالقيصر لقيصر ومالله لله) او(الدين للاله والمجد للوطن) وهي تعابير تقوم عليها نظريات سياسية واجتماعية تعني الفصل بين الدين والدولة .وشائعة في كتابات الادباء والكتاب المسلمين . وفي بعض المذاهب السياسية السائدة في بلاد المسلمين . وكذلك الخرافات التي تزعم ظهور مريم العذراء واقامة مايسمى باحتفالات رأس السنة . واطفاء الشموع في المناسبات الى غير ذلك . ويهتم المنصرون ايضا بتنمية ألفة لرموزهم خاصة الصلبان بين الناس ويعملون على ترويجها بطبعها او نحتها وتصويرها على الاشياء المستخدمة في حياة الناس اليومية . كالملابس والعاب الاطفال وعلى السجاد والمفارش [١٨] والمصوغات الذهبية والمعدنية مستغلين في ذلك جهل الناس وعدم معرفتهم لاشكالها .
ولقد تنبهت سيدتان فاضلتان في مدينة الدمام في المملكة العربية السعودية [١٩] الى هذه الخدعة عام ١٩٨٨م وقامتا بطبع وتوزيع ورقه ارشادية لتنبيه المسلمين

(١٨) انظر صورة كيس الوسادة في آخر الفصل .
(١٩) السيدتان هما الدكتورة مريم خان ، والجوهرة بنت عبدالمحسن المعلمتان بكلية البنات بالدمام .

حتى يتجنبوا الوقوع في شراك المنصرين وذيلتا تلك الورقة برجاء الاعانه على توزيعها على نطاق اوسع . وهانحن ننقل اشكال تلك الصلبان [٢٠] ومعانيها مع شئ من الاضافة راجين من الله حسن الجزاء والمثوبة لهما ولنا . مذكرين بان المنصرين يستحدثون كل يوم اساليب وطرقا شيطانية جديده . فهدفهم هو القضاء على العالم الاسلامي كما قال المنصر الامريكي روبرت ماكس (لن يتوقف سعينا نحو تنصير المسلمين حتى يرتفع الصليب في مكة ويقام قداس الاحد في المدينة) ، وقال المنصر الالماني هانز (لم يحدث ان اتفقت الكنائس واتحدت الا في هذا العصر الذي اتخذ فيه الجميع خطة تنصير المسلمين إقنوما رابعا يضاف الى الاقانيم الثلاثة التي تقوم عليها عقيدتنا نحن. المسيحيين) .

ولم يكتف المنصرون باطلاق المقولات العامة فقط بل حددوا مناطقاً ودولاً بعينها لتكثيف حملاتهم التنصيرية فيها . وكمثال على ذلك قال القس جون باتريك وهو يتحدث عن تنصير افريقيا (ان سقوط السودان في ايدينا يعني سقوط نصف افريقيا كلها وطرد العرب والمسلمين منها) .

واليوم لاتكاد تخلو مدينة في السودان من كنيسة ، والعاصمة المثلثة فيها اكثر من احد عشر كنيسة ست منها في الخرطوم القديمة وثلاث في امدرمان (دون امتداداتها الجديدة) . واثنان في الخرطوم بحري جميعها تحتل افضل المواقع . وعند ملتقى طرق المواصلات . هذا بالإضافة الى عدد آخر من الكنائس التي اقيمت في السنوات الاخيرة في معظم احياء العاصمة دون ترخيص من السلطات . وقد بلغت ستا وعشرين كنيسة عام ١٩٨٩م [٦] .

وفي السودان تمتلك الكنائس شركات ومؤسسات ، وتدير اعمالا تجارية .

---

(٢٠) انظر تافصل السادس ص (   ) .

(٦) د . شلبي – مرجع سابق ص ١٦ ـ ١٧ نقلا عن كتاب التبشير المسيحي في العاصمة المثلثة لحسن مكي .

لتمويل مشاريعها التنصيرية كما كانت تستطيع إلى وقت قريب .أن تستورد ماتريد تحت غطاء الاغاثة والمساعدات دون أن تدفع أي جمارك أو ضرائب [٧] .

اذن هناك مؤامرات خطيرة تحاك في الظلام بإحكام شديد لسلخ السودان عن عقيدته الاسلامية وتحويلها من عقيدة فاعلة في مختلف أوجه الحياة ، الى ممارسات طقوسية خاملة ، وقد اكتشف المنصرون من تجاربهم الطويلة في العمل التنصيري أن أفضل مدخل لتحقيق هذا الهدف هو السيطرة على العقول ، ومتى ماتحقق لهم ذلك أصبح كل شئ سهلا ، ففي العقول تغير القيم والمفاهيم والمعتقدات وتغرس بذور التنصير ، صمويل زويمر صاحب دعوة تنصير المسلمين ، ورئيس جمعيات التنصير في الدول العربية في النصف الأول من هذا القرن قال في كلمته التي القاها أمام مؤتمر المنصرين العاملين في الدول العربية . والذي عقد في القدس عام ١٩٠٤م (ان مهمة التنصير التي ندبتكم الدول المسيحية للقيام بها ليست هي ادخال المسلمين في المسيحية ، وانما أن تخرجوا المسلم من الاسلام ليصبح مخلوقا لاصلة له بالله ، وبالتالي لاصلة له بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها وهذا ماقمتم به خلال المائة عام السابقة خير قيام .. وهو ما اهنئكم عليه وتهنئكم دول المسيحية والمسيحيين جميعا من أجله كل التهنئة ، لقد قضينا ايها الاخوان في هذه الحقبة من ثلث القرن التاسع عشر الى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الاسلامية المستقلة وفي التي تخضع للنفوذ المسيحي أو يحكمها المسيحيون ، نشرنا في تلك الربوع مراكز التنصير والكنائس والجمعيات ، انكم أعددتم بوسائلكم جميع العقول في الممالك الاسلامية لقبول السير في الطريق الذي مهدتم له كل التمهيد [٨] .

---

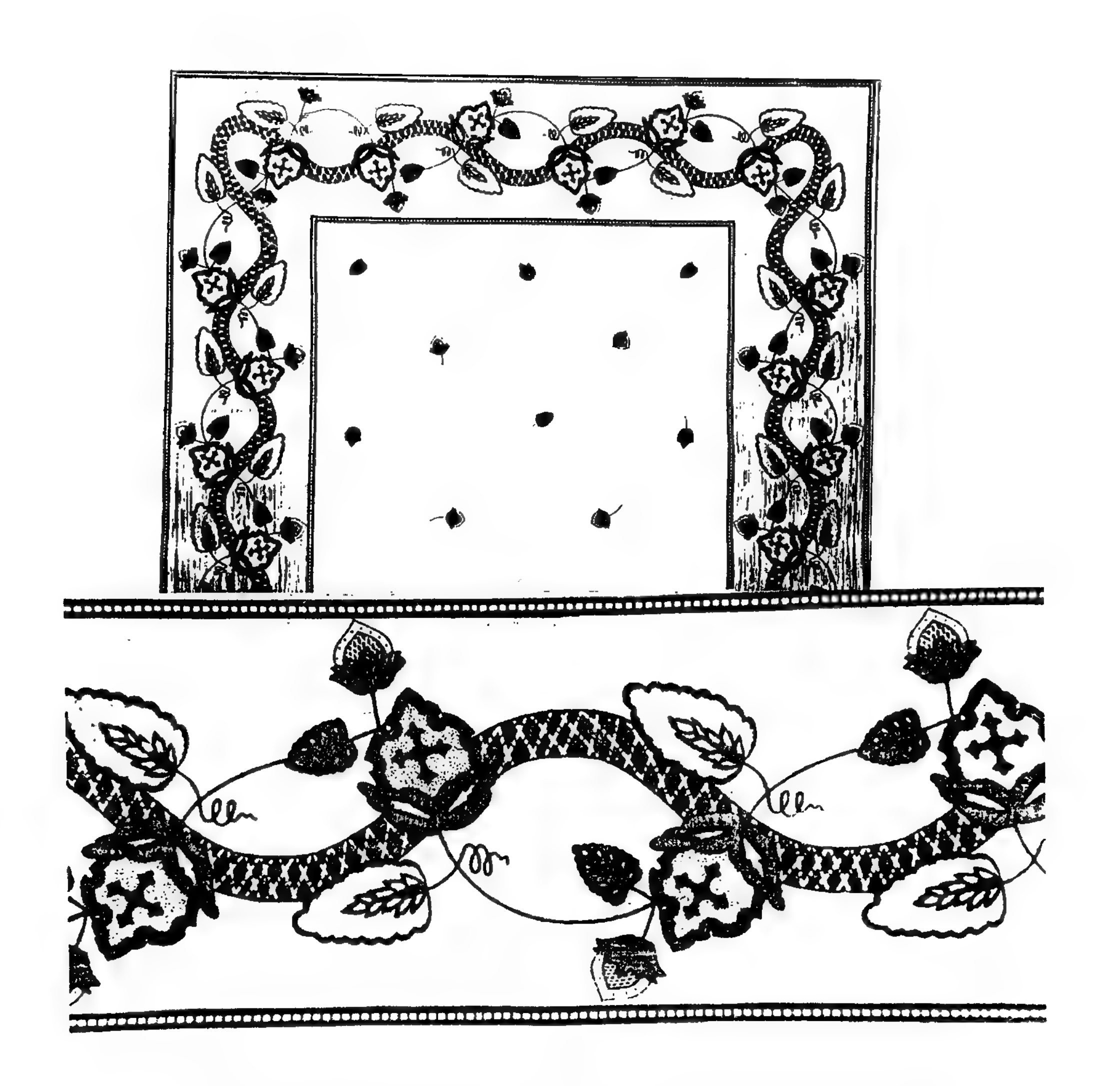
٧ - المصدر السابق .

٨ - عبد المجيد علي المحميد مقال في جريدة الوطن الكويتية / الجمعة ٣٠/١٠/١٩٨٧م العدد ٤٥٥٩ ـ ص ١٣ .

سياسة السيطرة على التعليم وبرامج التعليم في بلاد المسلمين وفي الدول العربية خاصة أوضح ماتكون في السودان . فقد بادرت الطوائف المسيحية الرئيسية (الأقباط والاورثوزكس والكاثوليك) بافتتاح المدارس من رياض الأطفال وحتى المرحلة الثانوية العليا . حتى بلغت المدارس في الخرطوم وحدها خمس عشرة مدرسة للبنين والبنات ، هذه المدارس كانت ومازالت لها مناهجها الدراسية الخاصة . وترفض الخضوع لاشراف الحكومة ، وترفض ايضا تدريس المناهج التربوية السائدة في السودان ولا تعترف بها رغم ان جميع طلابها سودانيون ويشكل ابناء المسلمين بينهم نسبة كبيرة تزيد احيانا عن ٧٥ ٪ من مجموع الطلاب .



هذه الصورة نشرتها جريده التايمز البريطانية المعروفه بتعصبها ضد الاسلام وقالت انها لقس يحمل السلاح بيد والصليب باليد الاخرى ويحارب في صفوف ثوار التيجراى في اثيوبيا ١٩٩٠/٣/٣م.



صورة لكيس الوسادة تم شراؤه في احدى البلدان الإسلامية وأسفله مقطع مكبر لنفس الصورة وعليه يظهر الصليب بوضوح انها إحدى وسائل الترويج .

الفصل الرابع
محـاولات تنصير السودان

محاولات تنصير السودان

يشكل السودان عمقا إسلاميا هاما في أفريقيا . ولذلك فقد صار الهدف الاستراتيجي للتنصير منذ عدة قرون بعد أن أجهزت المسيحية على الممالك الاسلامية : غانا ، مالي ، وسنغاي ، والدويلات الاسلامية على إمتداد حزام المواجهة في افريقيا ، والتي كانت تنتشر شرقا وجنوبا حتى مصب نهر الزمبيزي وغربا حتى المحيط الاطلسي وخليج غينيا . ففي معظم هذه الدول استطاعت الكنيسة اليوم ابعاد المسلمين عن السلطة ، وتنصيب حكام مسيحيين مكانهم عبر مؤامرات دامت قرابة الخمسة قرون ، وبذلك صار الاسلام كعقيدة ومنهج محصورا في عدد من المراكز التعليمية وفي بعض الاسر وفي صدر مجموعات مشتته من الرجال والشباب والنساء . وهؤلاء كلما جاهروا بعقيدتهم أو سعوا لتطبيقها يتعرضون للقهر والتنكيل وتنهال على رؤسهم مصطلحات التطرف والتعصب والاصوليه والارهاب [١] التي صممت للتنفير من الاسلام . واستعداء السلطة عليه لكبته وإبقائه وراء ابواب المساجد لايخرج منها ، واذا خرج لا يسمح له بتعدي نطاق فقه المعاملات .

والسودان هو اكبر بلد في افريقيا من حيث المساحة (حوالي مليون ميل مربع) . وهي تعادل مساحة دول اسكندنافيا الثلاث مضافا اليها مساحة بريطانيا والبرتغال وايطاليا واسبانيا وفرنسا مجتمعه . وهو يجاور تسع دول افريقية لا يعوق الانتقال والاتصال بينه وبينها اي عائق طبيعي [٢] . وسكانه على الحدود لهم صلات عرقية وثقافية عريقه مع مواطني هذه الدول التي تشهد حاليا حربا

---

(١) أصبحت مصطلحات كالتطرف والتعصب والارهاب صفات تلصق بكل مسلم يطالب بتطبيق الشريعة الاسلامية أو يدافع عن الاسلام والقيم الاسلامية .

(٢) هي مصر ، ليبيا ، تشاد ، افريقيا الوسطى ، زائر ، يوغندا ، كينيا ، اثيوبيا ، ارتيريا .

متصاعده ضد الاسلام والمسلمين يشرف عليها بابا الفاتيكان شخصيا ، وقد زار في الاسبوع الثالث من شهر يناير ١٩٩٠م تشاد احدى هذه الدول المجاوره ضمن جولاته المكوكية في مواطن الاسلام بغربي ووسط افريقيا .

والسودان ايضا يشكل بوتقة تلاقح وتمازج بين الثقافات والاعراق العربية الناقلة للاسلام والافريقيه المتلهفة لاعتناقه . ويعيش فيه (١٫٠٨٦٫٧٥٣) لاجئ أفريقي جاءوا من الدول المجاورة ، واليوم يضيق المنصرون بدعم من الدول والمنظمات والكنائس في الغرب وفي الدول المجاورة الخناق من كل الجبهات على السودان المسلم . حرب عسكرية واقتصادية وثقافية تستخدم فيها مختلف الوسائل بما في ذلك ابناء السودان انفسهم لتحقيق هدف قديم كان قد افصح عنه القس جون باتريك عندما قال ان : (سقوط السودان في ايدينا يعني سقوط نصف افريقيا كلها .. ويعني طرد العرب المسلمين منها) [٤] .

في السودان حاليا توجد اكثر من سبعين كنيسة [٥] وهناك تقديرات تشير الى انها تتجاوز المائة اذا ما اضيفت مراكز التنصير المندسة وسط الاحياء السكنية وبين مخيمات اللاجئين .

في هذه المدارس [٩] وعلى أيدي القسس والمدرسين المسيحيين ، الذين يتلقون تدريبا عاليا لاداء مهمتهم الخطيرة يربى عدد كبير من ابناء الطبقتين العليا والوسطى في العاصمة المثلثة وغيرها من المدن الكبرى . وابناء هاتين الطبقتين هم رائدو التغيير في كل مجتمع كما هو معروف. ولما كانت تلك المدارس مجهزة لما لها

---

(٣) حديث لمعتمد اللاجيئن في السودان ـ جريدة اليوم السعودية في ٢٧/٥/١٩٩٠م ـ العدد ٦١٩٠ ص /١٢ .

(٤) د/ شلبي ـ حقائق ووثائق ـ ص /٩٩ .

(٥) Hassan Makki, Sudan - The Christian Design , Islamic Foundation , United Kinkdom - 1989, P - 5 .

٩ – هذه المدارس تفرض عن قصد رسوما باهظة لايستطيع دفعها سوى التجار وكبار الموظفين والعسكريين .

من امكانيات واسعة بأفضل الوسائل التعليمية وبأفضل الكفاءات فان تلاميذها على الدوام يتصعدون الى الجامعات والمعاهد العليا ، ويشكلون نسبة كبيرة في الكليات العلمية ، وشبه العلمية في الاقتصاد وادارة الاعمال والاجتماع ، وعدد كبير من هؤلاء يتولى فيما بعد اهم الوظائف الحساسة في الدولة وفي القطاع العام . خاصة القطاع الاقتصادي ومؤسساته ، حيث يتم اتخاذ أخطر القرارات هذا لايحدث صدفه ولانتيجة حظ وانما ثمار تخطيط واعداد مسبق ، يقول هوارد بليس (Howard Bliss) الرئيس الأسبق للجامعة الأمريكية في بيروت (فبين الآف الطلاب وكلهم يستحقون التربية فئة صغيرة من المتحمسين الجادين قادة المستقبل في الشرق الأدنى ، هؤلاء هم الذين يدربهم مبشرونا . ليصبحوا أساتذة وأطباء وتجارا وصيادلة وأطباء أسنان ومهندسين وممرضين من الرجال والنساء الذين يتجاوبون بوعي أكثر من بقية زملائهم مع المناخ النفسي للكلية . وهم يحضرون بطريقة محددة ليصبحوا مراكز الأضواء والقيادة في كل هذه المنطقة [١٠] .

واذا كان بليس يتحدث عن المرحلة الجامعية وقادة المستقبل في الشرق الأدنى . فان سياسة التنصير في السودان كانت أبعد نظرا ، فقد بدأت اعداد قادة المستقبل الذين تريدهم من المرحلة الابتدائية ، حيث الأطفال عقول غضة وعجينة لينه يسهل تشكيلها . اقرأ ماقاله الأب ليوفلاين قوين (Liovellyn H. Gwynne) ممثل الكنيسة الانجليزية في الخرطوم في عام ١٩٠٠م والذي يعتبر رائد العمل التنصيري الحديث في السودان عندما سمح له بافتتاح أول مدرسة ابتدائية تعمل تحت اشراف ومنهج الكنيسة . (Tears Weelled Up In My Eyes , As I Realized This Good News Meant.. No Less Than The Opening Of The Sudan To Missionary Work.) وترجمة ذلك (لقد طفرت عيناي

---

١٠ - د/ شلبي ـ مصدر سابق ـ ص ٩٠ ـ ٩١ .

١١ - هذا لا يعني ان المرحلة الجامعية في السودان قد اهملت ، فقد كانت كلية غردون الجامعية تحرم على طلابها التخاطب باللغة العربية داخل الحرم الجامعي ، وعملت على احلال الزي الغربي والتقاليد الغربية مكان الزي الوطني والتقاليد الاسلامية .

بالدموع فأنا أدرك ماذا تعني هذه الاخبار السارة . انها لاتقل أهمية عن فتح السودان امام العمل التنصيري) والعبارة الأخيرة اشارة الى الحظر الذي فرضته سلطات الاحتلال في العامين اللذين تليا اخماد الثورة المهدية على ممارسة المنظمات التنصيرية عملها علنا . خوفا من تأجج المشاعر الاسلامية . خاصة وان بعض جيوب المقاومة لم تكن تصفيتها قد اكتملت بعد . فتح القس قوين أول مدرسة كنسية في السودان عام ١٩٠٢م لتعليم البنات وليس الاولاد . تحت ستار تعليم بنات الاقباط . كان هو مديرها ومدرسها . ثم اتبعها في نفس العام بمدرسة للاولاد بتمويل من الكنيسة البريطانية . واصلت بعد ذلك بعثة التنصير المسيحية . (Cms) Christian Mission Socisty وهي بعثة تنصير بريطانية لعبت دورا كبيرا في تنصير السودانيين وتلقينهم القيم والمفاهيم العلمانية المعادية للدين . بعد ان افتتحت عددا آخر من مدارس البنات في امدرمان عاصمة المهدية . وفي عطبره وود مدني .

وقد رفضت حكومة الاحتلال البريطانية والتي كانت تعمل تنفيذا لخطة محددة مع الكنيسة السماح للسودانيين بافتتاح مدارس لتعليم ابنائهم ، وقد حاول الشيخ بابكر بدري (رائد تعليم المرأة في السودان . والذي تنبه منذ وقت مبكر ببصيرته الثاقبة للمخطط الكنسي) فتح مدرسة لتعليم البنات عام ١٩٠٤م في قريته رفاعة على النيل الأزرق جنوب الخرطوم ، وعلى نفقته الخاصة ، لكن السلطات الاستعمارية رفضت ، ثم ظلت تماطل طوال سبع سنوات ولم تعطه موافقتها الا عام ١٩١١م ، وقد كان هذا الرفض معتمداً حتى تتاح الفرصة لأطول مدة ممكنة لبعثات التنصير لتبذر بذرتها وترسخ الهياكل الأساسية لنظامها التعليمي [١٢] الموجه في خدمة التنصير بين الجيل الأول من السودانيات اللاتي ينلن تعليما اكاديميا ، فهولاء وبصفتهن الرعيل الاول الذي يتلقى تعليما منهجيا ستسند بلاشك

---

12 - Hassan Makki , Sudan - The Christian Design, P42 . - ١٢

مسئولية تربية وتوجيه الاجيال القادمة من الآمهات السودانيات إليهن .

وفيما كانت البعثات التنصيرية تكثف جهودها لتهيئة الأسرة السودانية في المستقبل للخروج على المفاهيم والمثل الاسلامية الحقيقة من خلال تربية أمهات المستقبل على ايدي الكنيسة . اتجهت السلطات الحاكمة لمحاربة اللغة العربية والعادات الاسلامية السائدة . ، فأصبحت الانجليزية هي اللغة السائدة في مكاتب الدولة وفي دور العلم في شمال السودان ، وفي الجنوب أصدرت القرارات والأوامر الصارمة لمنع تداول العربية وانتشارها . كل ذلك لاقامة حزام حاجز لوقف تقدم المد الاسلامي جنوبا الى أعماق افريقيا .

وسجل المكاتبات بين السكرتيريين الاداريين (وظيفة السكرتير الاداري في ذلك الوقت تعادل وظيفة رئيس الوزراء ويستمد صلاحياته من المندوب السامي البريطاني في القاهرة الذي كان هو الحاكم الفعلي لوادي النيل حتى مطلع الخمسينات) وبين موظفيهم في مختلف اقاليم السودان . وثائق دامغة على مشروع تنصير السودان خاصة في المديريات الغربية والجنوبية . وهو المشروع الذي ينفذ حاليا على قدم وساق .

لقد جاء في الخطاب الذي وجهه مكتب السكرتير الإداري في الخرطوم بتاريخ ١٩٣٠/١/٢٤م الى مديري المديريات الجنوبية . اعالي النيل وملكال ومنقلا وبحر الغزال وواو ـ الفقرة (ب) (ان الهدف الذي ترمي اليه سياسة الحكومة . هو تشجيع التجار الاغريق والسوريين المسيحيين) بدلا عن الجلابة (أي المسلمين من أبناء شمال السودان والعرب) فتصاريح الدخول الممنوحة لهؤلاء لدخول الجنوب يجب أن تقلل باستمرار ولكن في حكمة ودون اثارة . والذين يسمح لهم من الجلاية ينبغي ان ينتقوا . بحيث لاتكون لهم اهتمامات خارج نطاق المعاملات التجارية ، ولابد من حصرهم في المدن والطرق الرئيسية [١٣] .)

---

١٣ - ١٤ - د/ مدثر عبدالرحيم - مشكلة جنوب السودان - ص ٨٧ .

وكتب السكرتير الاداري بتاريخ ١٩٣٠/٣/٢٢م لكل من مديري مديريات منقلا وبحر الغزال واعالي النيل (يجب أن يبذل كل جهد لتصبح الانجليزية وسيلة التخاطب حتى مع الذين يتكلمون العربية . على ان يستبعد النطق بالكلمات العربية تماما) وجاء في نفس الرسالة (ان محاربة استخدام اللغة العربية مسألة ضرورية لتفيذ أغراض الخطة العامة [١٤] .

تنفيذا لهذه السياسة أصدر مدير مديرية بحر الغزال بتاريخ ١٩٣٠/٣/٢٩م أوامره الى مفتشي المراكز (بأن يمنعوا استخدام الكلمات والألقاب العربية في مناطق ادارتهم . ويعملوا على منع زعماء القبائل والأهالي من اطلاق الأسماء العربية . على أنفسهم وأولادهم) .

وأن يجبروا التجار (على عدم استعمال اللغة العربية في التعامل مع الزبائن والا يتحدثوا الا الانجليزية أو اللهجة المحلية) [١٥] وكذلك منع التجار من بيع الملابس ذات الطابع الاسلامي زي أهل الشمال وحرم على زعماء القبائل شراؤها

وعملا بالتفويض الذي منحه اياه السكرتير الاداري عام ١٩٣٠م لاتخاذ جميع الاجراءات التي تمنع تسرب الاسلام واللغة العربية جنوبا ، قام مدير مديرية بحر الغزال باقامة حاجز طبيعي فاصل يكون بمثابة حزام أمني . يسهل له مراقبة ومنع حدوث أي اتصال بين المسلمين السودانيين وأبناء وطنهم من غير المسلمين حتى لاتتوطد العلاقات بينهم فيؤدي ذلك الى تأثير ثقافي ومن ثم يعطل في المستقبل تنفيذ الخطة المبيتة والتي بدأت تتكشف اليوم بوضوح .

بدأ هذا المفتش باغلاق رئاسة مركز كفياكنجي في جنوب كردفان ، ورحل جميع المواطنين المسلمين في المنطقة شمالا ، وترك رئاسة المركز تتهدم لتكون المنطقة خطا فاصلا يمتد من الشرق الى الغرب ، وحدد خط العرض ٤٥ - ٨

١٥ - د/ جعفر بخيت ـ الادارة البريطانية والحركة الوطنية في السودان ص ٢١٠ .

ليكون حدودا مغلقة لايسمح للمسلمين بعبورها جنوبا ، وقام بترحيل مدينة راجا من موقعها بسبب وجود مسجد فيها الى جهة الغرب ، واقيمت كنيسة في المدينة الجديدة ولم يسمح ببناء مسجد ، ثم كتب للسكرتير الاداري في الخرطوم بتاريخ ٢٢/٣/١٩٣٠م موضحا سبب نقله المدينة من موقعها بقوله (لأن هناك جامعا في راجا. واني أرغب في أن اراه مهجورا كما لو حولت راجا من مكانها) ، وقام باجراء تطهير في صفوف رجال الشرطة فابعدكل المسلمين الملتزمين لأنهم كما جاء في رسالته (في مراكزهم الحالية سوف يكونون قدوة لكل رجال البوليس الجدد) [١٦] .

كانت الحرب ضد الاسلام والمسلمين في افريقيا سياسة رسمية . تمارس من جانب الدول الأوربية التي ظلت تستعمر افريقيا حتى الستينات من هذا القرن . وقد اعطى السودان اهتماما خاصا وظل المنصرون مدعومين من الحكومات الغربية يهيئونه لتقبل النصرانية لأكثر من تسعين عاما . خاصة بعد تجربة المهدية التي رأوا فيها كيف يدفع الاسلام المجاهد المجتمع ليدافع عن عقيدته وكرامته ضد الذل والاهانة . وليكون في المستقبل رأس الحربة لشن الهجوم الكاسح والنهائي حسب مخططهم ضد الاسلام والثقافة الاسلامية والعربية في شمال السودان ، وبعد أن تتمكن الكنائس ومناهج التعليم المعدة بعناية من خلخلة المرتكزات واضعاف تأثيرها .

الاعداد لهذا الهجوم وقد كشف عنه سبنسر ترمنجهام في كتابه (الخطة المسيحية للتصدي للاسلام . Spencer Trimingham, The Christian Approach To Islam

وقد اورد الدكتور حسن مكي [١٧]« مؤلف كتاب التبشير المسيحي في العاصمة المثلثة »عن اسينسر الذي كان يعمل منصرا في السودان هذه المرتكزات الاساسية

---

١٦ - المصدر السابق ص ٢١٢ .

(١٧) د/ حسن مكي يعمل حاليا باحثا اول في المركز الاسلامي الافريقي في الخرطوم وله عدة مؤلفات عن الحركة الاسلامية والقرن الافريقي وهو كاتب متخصص في كشف مخططات التنصير في السودان .

لهذه الخطة فيما يلي :-

With the development of the christian church in the south , we in the sudan are faced with the iminent of a Sudan christianity and a Sudan Islam. That the church of the Sudan freed as it is from a race problen where there being a white settlment , will be afavourably pleased when it becomes the offecial religion of the south .

It's our task in the north to prepare for the day . We shall seek:-

1- To establish christian centers in all border lands of areas where Islam is in contact with paganism .

2 - To establish christian centers in the land of intranched Islam so that christianity of the south will have points of contacts when it flows northwords .

وترجمة هذا النص انه بتطور المسيحية في الجنوب فنحن مقبلون في السودان على لقاء حتمي بين مسيحية سودانية وإسلام سوداني .. فكنيسة الجنوب بتحررها من عقدة العرق ستشعر رغم وجود استيطان ابيض في الجنوب بالغبطة عندما تصبح المسيحية هي الديانة الرسمية للجنوب ... من واجبنا في الشمال ان نستعد لذلك اليوم وسنعمل لتحقيقه بما يلي :-

١- باقامة مراكز مسيحية على جميع نقاط التماس بين الاسلام والوثنية .

٢ - بالعمل على انشاء مراكز مسيحية في ديار الاسلام المحصنة في وجه المسيحية ، باختراقها في الشمال لتكون نقاط ارتكاز للمسيحية عندما تتدفق شمالا.

اثناء الاحتلال البريطاني للسودان طرحت فكرة فصل الجنوب عن الشمال . ورسم خط تقسيم اداري يمر عبر اواسط السودان من الشرق للغرب . هذا التقسيم وان بدا تقسيما اداريا يتعلق بالحدود الجغرافية هو في ظاهره اجراء سياسي الا ان فحواه وحقيقته ترمي لتقسيم عقدي ثقافي يقف سدا امام تقدم العقيدة الإسلامية جنوبا والى تحطيم وعائها ـ اللغة العربية ـ الذي تنتقل فيه وتعبر عن نفسها من خلاله .

جنوب هذا الخط تقع اغنى أراضي السودان وافضل ثرواته الطبيعية اذ يمتد

من الكرمك شـرقـا في شكل حـزام يختـرق مناطق الرصيـرص والدمـازين وحظيـرة الدندر وكوسـتي وجنوب مدينة الابيض التي بها كنيسـة كبرى في غـرب السـودان ثم اجزاء واسـعة من محافظتي جنوب كـردفان وجنوب دارفـور .
لكن سـرعـان مـا تخلت حكومـة الاحـتـلال البـريطاني عن فـصل الجنوب ، واعلنت صـراحة أنها ضـد هـذا الاتجـاه وقالت انها مع وحدة السـودان . لقد اتضح لها ان فصل الجنوب في ذلك الوقت لن يفيد كثيرا . فـرأت تأجيل الفكره على ان تواصل تغذيتها ونشـرها بين ابناء جنوب البلاد . والدليل على ذلك انها مضـت في اعداد الاطـر والكـوادر من خلال الخطاب الثقافي التربوي الذي أوكلت للكنيسة والبعثات التنصيـرية في الجنوب مـهـمة صيـاغتـه ... فبـقيت فكرة الانفصال حيـه تعبـر عن نفسـهـا من خلال الاطروحات السـيـاسـيـة احيـانا ، ومن خلال فـرض التـشـريعـات الإدارية احيـانا اخرى في شكل اقليـمي او في المطالبـة باعـادة ترسـيم الحـدود بين الشمـال والجنوب ... او الدعـوة لاحلال اللهجـات المحلية ضمن المناهج الدراسيـة في الجنوب محل اللغة العربيـة .وقد شهد عقد الثمانينات عـودة الدعوة لانفصال الجنوب من جـديد [١٨] لكن جاءت الدعوة هذه المره مدعـومه بقـوة السلاح لفرضـهـا فرضـا . ولم تقتصر على فصل الجنوب بل اتسعت متقدمة خطوه واسـعة شمـالا ، فرفع شـعار تحرير السـودان مما يسـمى بهـيـمنة الثـقـافـة الاسـلامـيـة والعربـيـة ، وسـيطرة العـرب المسلمين (وهو تعـبـيـر يقـصـد به ابنـاء شـمـال السـودان ، ويعني انهم ليـسـوا من اصحاب البلد الحقيقيين) على السـلطة .

وفي زيـارته لواشنطن في يوليـو عـام ١٩٨٩م بدعـوة من الرئيـس الامـريكي السـابق / جيمي كارتـر الذي يشـرف على العمل التنصيري في شــــرق افريقيا

(١٨) جاء في جريدة الاهالي المصرية وهي صحيفة يسارية ناطقة باسم ما يعرف بالقوى اليسارية والتقدمية في مصر بتاريخ ١٩٨٩/٩/٧م ان (جون قرن قائد التمرد في جنوب السودان ، ينوي اعلان حكومة في جنوب السودان وان الجيش الشعبي ـ حركة التمرد ـ وضع تصميما للعلم الذي سترفعه الحكومة الجنوبية .

ومنطقة القرن الافريقي ، قال جون قـرنق قائد التمرد المسلح في جنوب السـودان امـام لجنة العـلاقـات الخارجيـة في مجلس الشيوخ الامريكي ، وفي معـهد بروكنز للدراسات الاستراتيجية مانصـه (ان الحرب اسـلوب مشروع تستخدمه الاغلبية « يعنـي سكان الجنوب » [١٩] . في مـواجـهـة انفـراد الاقليـة « اي سكان الشـمـال » بالحكم [٢٠] . وتزايدت الأصـوات المناديه باقـامـة نظام حكم علمـاني في السـودان يسـتبعد الدين من التشريعات والقوانين ويقصـره على العبادات فقـط .

وانه لمن المؤسـف حـقـا ان يقف نفـر ممن ينتسـبـون الى الاسـلام الى جـانب الدعـوة لفصل جنوب السـودان عن شـمـالـه . وذلك لان فـصل الجنوب معناه اقـامـة دولة عـرقـيـة مـسـيـحـيـة لن تكون سـدا منيـعـا امـام المد الاسلامي جنوبا فـقط ، بل سيجعل مصير اكـبر دولتين مسلمـتين في افـريقـيـا السـودان (من حيث المسـاحة) ومصـر (من حيث الكثافة السكانية) بين يديها ، فمنابع نهر النيل شـريان الحيـاة في شـمـال السـودان ومـصـر سـتكون مـرهـونه مع غـيـرها من ثروات طبـيـعـيـة داخل الدولـه العرقيه المسيحية اذا قامت لا سـمح الله .

وقـديما قـال سـبنسـر (Spencer) ان مـسـيـحـيـة الجنـوب سـتـجـد نقـاط اتصـال لها عـندما تتدفـق فـي اتجـاه الشـمـال . وفي شـمـال السـودان حـاليا قـطـاع مؤثـر من الرأي العام داخل المؤسـسـات التعليمية العليا أسـاتذة الجامعات الذين تشـربوا الثـقـافـة الغـربيـة القـائمـة على المفـاهيم الكـنيـسـيـة ، وبين العـمـال والمهنيين والمثقفين وكبار موظفي الخدمة المدنيـة وغير ذلك من الجهات التي تمارس ضغوطا ما أو تؤثـر تأثيرا مباشـــرا على اتخـاذ القـرار . هــؤلاء يشـكلون حاليا احــد تـلك

---

(١٩) اخـر احصـاء سـكاني عـام ١٩٨٣م في السـودان اوضـح ان عـدد سـكان الجنـوب (٢٨٦ر٣٧١ر٥) نسـمة ويشـمل ذلـك الجنوبين وغير الجنوبين وان جميع سـكان السـودان (٥٨٢ر٥٩٢ر٢١) نسـمة وبهـذا يشـكل سـكان الجنـوب الربع تقـريبا .. والربع كما نعلم ليس اكـثرية .

(٢٠) مجلة كل العـرب (اسـبوعية) يونيـو ١٩٨٩م العـدد ٣٥٦ ـ ص / ١٤ .

المرتكزات التي تحدث عنها سبنسر ليتم الاتصال بها . وتأليبها ضمن حملة الهجوم ضد الاسلام وهو مايحدث اليوم .

على الجانب الآخر تم تجنيد قطاع واسع بين ابناء جنوب السودان . وشحنهم بالمفاهيم الخاطئة والمغلوطة عن الاسلام والمسلمين وعن الثقافة الاسلامية والعربية واستغل في ذلك النعرات العرقية والفوارق الثقافية والاقتصاديه والموروث التاريخي المحرف (٢١)

لقد تطلب اعداد هذين المحورين جهدا ووقتا وعملا شاقا ومكثفا (٢٢) ، فقد كتب مفتش مركز غرب بحر الغزال لمدير هذه المديرية وكلاهما بريطاني ايام الاحتلال بتاريخ ١٩٣٤/٤/٣م ماترجمته : (وانك لتعلم تماما مقدار الزمن الطويل والجهد والمال والصبر الذي بذل لاقناع اولئك لهجر الاسماء العربية . وعدم ارتداء الملابس التي ترتدي في الشمال . وعدم اتباع التقاليد الاسلامية . ان الصراع شاق وطويل وليس من اليسير رؤية مداه او منتهاه . ولا يمكن تحقيق النجاح الا باتخاذ اجراءات فعاله لتغيير الاقتصاد والثقافة تغييرا جذريا .) (٢٣) واليوم تعمل جهات خارجية وداخلية في السودان في اتخاذ اجراءات فعاله لتغيير الاقتصاد والثقافة . ومن ثم تغيير هوية السودان الاسلامية تغييرا جذريا . لقد طلبت الكنائس في جنوب السودان علنا من السلطات الرسمية طرد جميع مواطني

---

(٢١) بونا ملوال احد كبار المثقفين السودانيين من جنوب السودان وهو وزير سابق للثقافة والإعلام ومسيحي اورد في كتابه (People & Power In the Sudan) .. ان بعض المسئولية في ذلك يمكن تتبع اثرها في نظام التعليم المطبق في الجنوب انذاك ، في فترة الاستعمار ، فهناك دروس تعطي في بعض مدارس البعثات التنصيرية في الجنوب تصور اللغة العربية على انها لغة ادنى اذا ما قورنت بالانجليزية او الإيطالية ، وقد مر زمان كان فيه تحدث العربية في مدرسة في الجنوب يعاقب عليه بالطرد من المدرسة) .

(٢٢) كانت بعثات التنصير تتدفق على جنوب السودان من مختلف الدول الغربية وتجد التشجيع والدعم المادي والمعنوي . وبلغ الإهتمام الرسمي بتنصير جنوب السودان ان زار الرئيس الامريكي روزفلت عام ١٩١٠م البعثة التنصيرية الامريكية في الجنوب في جبل دوليب .

(٢٣) جعفر بخيت ـ مصدر سابق ـ ص ٢١٦/٢١٥ .

السـودان من ابناء الشـمـال (والذين تسـمـيـهم المسلمين والعـرب) مـن جنـوب البـلاد . ومنعـهم من امـتـلاك العـقـارات والمسـاكن والمتـاجر في الاقـاليم الجنوبيـة رغـم ان الدسـتـور السـوداني يكفل لجـمـيع السـودانيين من الشـمـال والجنـوب حق الامـتـلاك والسـكن والعـمل في اي مكان يشـاءون . وطلبت الكنائس ايضا طـرد منظمات الاغاثة الاسـلامية من جنوب السـودان رغم ان المنظمات الكنيسية لاتحصى ولا تعـد وبعضها يدخل الجنوب من كينيا ومن اثيوبيـا دون عـلم او موافقة الحكـومة السـودانية .

وفـيـما يلي نقدم للقـارئ ترجمـة لنـص رسـالة الكنائس لحـاكم الاقليـم الجنـوبي في محـاولة [٢٤] لاسـتمالته واسـتغلاله في خـدمة أهـدافها :ـ

نـص الرسـالة الوثيقـة :-

سـعادة حاكم الاقليم الجنـوبي :

بالاصـالة عن أنفسـنا . ونيـابة عن مـواطنينا المسـيـحيين . نعبـر لكم عن بالـغ سـعادتنا بوجـودكم هنا بيننا . ونرحب بكم باسـم سـيدنا ومنقذنا يسـوع المسـيح .
ان الغرض الأسـاسي الذي دعـوناك لتكون من أجـله هنا بيننا هـو أن نشـركك معنا بعض اهتـماماتنا . وذلك يخـدم مصلحة مـواطنينا في الاقليـم الاسـتوائي (هو احد اقاليم جنوب السـودان الثلاثـة المتـمـتعـة بالحكم الذاتي وهـي : الإسـتـوائيـة وبحر الغـزال واعـالي النيـل) بصفـة خاصـة وفي السـودان عامـة .

في بداية لقائنا بكم . نريد أن نوضـح لكم ان هـذه الاهتـمامـات لا ينبغي أن تؤخـذ على انها تتعلق بالمواطنين المسـيحيين وحدهم . بل تشـمل ايضا جميع من هم غـير المسلمين وغير العرب [٢٥] على السـواء . وبصفـة خاصـة هنا في اقليـم المنطقـة

---

٢٤ - أنظر صوره من الأصل الانجليزي ص ١٤٢ ـ ١٤٤ .

٢٥ - العرب والمسلمون هما المصطلحان اللذان تستخدمهما الكنيسة والاعلام الغربي في الاشارة الى سكان شمال السودان ويراد بذلك أنهم دخلاء وليسوا من أهل البلد الحقيقيين .

الإستوائية .

بداية نريد أن نؤكـد لحكومـتنا ـ يعني حكومـة الاقليم الجنـوبي ـ ولسـيـاسـيـينا ·ولغيـرهم من المواطنيين في مواقع المسـئولية أننا معهم .. لكننا ايضـا نريدهم أن ينزلوا الى مسـتوانا ليكونوا معنا . وليشعـروا أنه علينا أن نعمل سـويا من أجل مصلحة مواطنينا . ان اهتماماتنا التي ننقلها الى سيادتكم تتلخص في التالي :

١- خطة العـرب (المسلمين) التي هـي رهن التنفيذ حاليـا ·

٢ - اجـازة الدسـتور الانتقـالي ·

٣ - وجـود منظمة الدعـوة الاسـلامية ونشـاطاتها في الاقليم ·

٤ - موضـوع توزيع الأراضـي ·

٥ - موقـع الكنيسـة ·

هناك اهتمامات كثيرة لكننا نريد أن نحصـر أنفسـنا في ما ذكـرناه اعـلاه ·

اولاً : خطة العرب المسلمين التي هي رهـن التنفيـذ ·

لعلم سـيـادتكم لقـد وضـع العـرب المسلمون خطة واضـحـة ، وبرنامج عـمل لتـعـريب وأسـلمـة العالم بأكمـله . وافريقيـا ضـمن هـذا الاطـار هي هدفهم الأول . بالنسـبـة لافريقيا فان الخطة تنفذ على امتداد السـاحل الافريقي وفي الوسـط ·

ان السـودان جزء من وسط افريقيـا ... ولما كـان شـمـال السـودان قد عـرب وأسـلم بالفعـل . فـان جنوب السـودان أصبح بعده الهـدف الأول لتعريبه وأسـلمـتـه . وذلك من أجل تسـهيل اختراق عمليـة التعريب والأسـلمة لجميع افريقيا ·

ونفـيـد سـعـادتكم أنه ليس من الصـعـب ايـراد بعض الحـقـائق لتـثـبت بالادلـة ماذكرناه قبل قليل :

ان كـمـيـة كـبـيـرة من المـال وغـيـره من الموارد الأخـرى تتـدفق الى جنوب السـودان وبصـفـة خـاصـة الى المنطقـة الاسـتـوائيـة . من أجل الاغـاثـة وخدمـات الصحـة

والتعليم بالمدارس والتنمية . هناك ايضا هدايا مجانية تعطى للناس . وربما لشيوخ القبائل ايضا .وبقالات العرب الحقيرة تنتشر في كل مكان في ضواحي مدننا بهدف استقطاب الناس لكسب جانبهم حتى يتقبلوا التعريب والأسلمة .

ان العرب والمسلمين منكبون بجدية شديدة على تدريس لغتهم وثقافتهم للجنوبيين . وذلك في الوقت الذي لا يتقبلون تحدث أو تعلم أي من لغتنا ، بما في ذلك اللغة الانجليزية رغم أنها أجنبية بالنسبة لنا . ويحدث ذلك لسبب بسيط هو أنهم يعتقدون أن لغتهم وثقافتهم أفضل أو أعلى شأنا من لغاتنا وثقافتنا .

ان العرب والمسلمين يخططون ليتزوجوا أكبر عدد ممكن من بناتنا الجنوبيات المسيحيات .. ويمارسون الجنس ايضا مع أخريات بما في ذلك النساء المتزوجات . كل هذا لكي يلدوا أطفالا مسلمين مخلصين لهم . وبذلك يغيرون هويتنا الافريقية والمسيحية الأصلية .

من وجهة نظر دينية نحن واعون جدا بأن تدريس القرآن قد كشف في الجنوب وخاصة في المنطقة الاستوائية .. ومراكز صلاة المسلمين والمساجد يخطط لها وقد تم بالفعل بناء الكثير منها في كل ركن من اركان مدننا .

هناك حقائق كثيرة أخرى بالامكان ايرادها لسيادتكم لاثبات ان مخطط العرب المسلمين ينفذ حاليا .

ثانيا : نقطة أخرى ذات أهمية لدينا سيادتكم . وهي ان المجلس العسكري الانتقالي ومجلس الوزراء (المذكرة قدمت عام ١٩٨٥م عندما كان المجلس العسكري الانتقالي برئاسة المشير سوار الدهب يتولى مع مجلس الوزراء برئاسة دكتور الجزولي دفع الله ادارة البلاد) في عجلة من أمرهم حاليا لاجازة دستور السودان الانتقالي . وهو يشتمل على الشريعة الاسلامية لتكون مصدرا للتشريع في السودان .

اننا نتساءل الى أي مدي من الزمن سيستمر : (يعني الدستور الاسلامي) ومن الذي سيقوم بتغييره ؟ ومن الذي يؤكد لنا أن الشريعة الاسلامية ستلغى ؟ وانها لن تضمن في الدستور الدائم الجديد ؟ .

ان قانون الشريعة سيادتكم كان قد فرضه الرئيس المخلوع نميري عام ١٩٨٣م وذلك بعد المعارضة القوية لمثل هذا القانون من جميع المسيحيين وغير المسلمين وغيرهم من التجمعات .. كل هؤلاء اعترضوا بأن قانون الشريعة دكتاتوري وعنصري وغير عادل .

نحن نعلم ايضا ان احد مطالب جيش تحرير شعب السودان (SPLA) وحركة تحرير الشعب السوداني (SPLM) الذين يقاتلون حاليا من داخل الغابة هو الغاء الشريعة الاسلامية .

اننا في غاية الصدمة والحزن أن نرى أصوات هؤلاء الناس الذين يطالبون بالعدل وبحقوقهم الانسانية لايستمع اليها وتواجه بالقمع .

ثالثا : منظمة الدعوة الإسلامية :

ان منظمة الدعوة الاسلامية تقدم نفسها للحكومة الاقليمية لتسند لها ترميم المدارس . وبناء مدارس جديدة في

المدن . وفي المناطق الريفية نيابة عن الحكومة . انها تود ايضا أن تباشر بناء مدارسها الخاصة بها . والتي ستكون تحت ادارة اسلامية .

انها تقدم المساعدة الاغاثية (كالنقود) وتشتري المواد الغذائية من المناطق الريفية بسعر بخس . وتريد أن تشترك في توزيع الاغاثة مباشرة في المناطق المتأثرة بالمجاعة .

وبالنسبة لبنك فيصل الاسلامي الذي يعطي قروضه للعرب المسلمين فقط فهو يهدف الى جانب أغراض أخرى لشراء جميع الأغذية من المزارعين

بأسعار متدنية بهدف اعادة بيعها للناس بأسعار أعلى .

اننا ننبه سيادتكم الى ان هذه الخطط . والنشاطات التي تقوم بها منظمة الدعوة الاسلامية تحمل معها سما خطيرا لمواطنينا .

فمساعدات الإغاثة والمراكز الصحية التي تقيمها . والعمل التربوي الذي تقوم به في شكل مدارس . ورساميل تمويل المشاريع التنموية التي تقدمها منظمة الدعوة الإسلامية ماهي إلا غطاء لسياسة التعريب والأسلمة لشعبنا . ان نشاط منظمة الدعوة الإسلامية يجب أن يوقف بل نريد أن نوصي بأنه لا ينبغي أن يكون لمنظمة الدعوة الإسلامية أية مشاركة مباشرة في مشروعات الاغاثة والصحة والتعليم أو أي مشروعات أخرى .

دعوها تعطي جميع المبالغ التي وعدت باعطائها للحكومة الاقليمة . وستجد الحكومة وسيلتها في انفاقها .

اننا نقترح ايضا ان تقوم حكومتنا وسياسيونا بتنوير وارشاد جماهيرنا الاستوائية وخاصة الزعماء منهم ليراقبوا ويكشفوا ويرفضوا أي تحرك خطير أو نشاط لمنظمة الدعوة الإسلامية في مناطقهم .

رابعاً : مسألة توزيع الأراضي :

سيدي منذ أيام قليلة سمعنا من اذاعة جوبا . عن قيام وفد من سبعة عشر رجلا من شيوخ الباريا بزيارة لسعادتكم برئاسة شيخ مشايخ . وكان الغرض من الزيارة الشكوى من أنه يجري توزيع الأراضي في مدينة جوبا والمناطق المحيطة لها دون مشاورة الزعماء المحليين وأهالي المنطقة المعنية .

نعلم سيادتكم أنكم بالتأكيد لم تشاركوا في هذه المسألة . ولكن ما أخبركم به شيوخ الباريا هو أمر حقيقي . ان الأهالي في هذه المدينة ونحن بينهم مندهشون لأن نعرف وربما في وقت متأخر للغاية ان جميع الميادين المفتوحة في

تخطيط المدينة قد تم توزيعها . وذهب معظمها الى العرب والمسلمين . ومن بين هذه الميادين ميدان المولد التاريخي والبالغ الأهمية في تاريخ أهالي الباريا ومدينة جوبا . اننا نريد من سيادتكم أن توقفوا عمليات البناء في جميع هذه الميادين العامة . وأن تتركوها مفتوحة للتجمعات العامة وأغراض الاستجمام ، كما نرغب ايضا الغاء قرارات تخصيص الأراضي في جمبو على طريق جوبا - الرجاف التي تم اصدارها للعرب والمسلمين .

خامسا : موقف الكنيسة :

الكنيسة كما تعلم سيادتكم منشأة مقدسة مؤسسة على الحب وتسترشد بعقيدتها الأساسية . ولهذا السبب فانها تدعو دائما لاخوة الجنس البشري القائمة على الحب الخالص . واحترام الرجال والنساء . كما تدعو الى السلام القائم على العدل .

ان الكنيسة لا تبشر بالكراهية أو العنف ولا تقبل حتى باستخدام العنف بأي شكل كان كوسيلة لحل الخلافات أو النزاعات كما انها لاتتعاون مطلقا مع هيئة أو أية منظمة تؤمن بالعنف وتستخدمه ، بل انها تدعو الى الصفح والمصالحة بعد النزعات .

ان الكنيسة مع ذلك حريصة على حقوق الانسان والعدل وحرية البشر[٢٦] وتعارض اضطهاد البشر بأي شكل أو كبت حقوقهم . ومن أجل محاربة هذه الشرور تجاهر الكنيسة بمعارضتها لها ، في نفس الوقت الذي تركع فيه للرب . في الصلاة سرا وعلنا من أجل أن يغير الرب عقول وقلوب البشر ، وأن يمنحهم الموقف الصحيح للحب واحترام كل منهم للآخر . من أجل خلق مناخ سلام حقيقي قائم على العدل للجميع ، وعلى الكنيسة ايضا واجب تنوير البشر من أجل أن يناصروا قوة الرب من

---

٢٦ - هذا الادعاء يتعارض تماما مع نص وروح المذكرة . وكان قد اتضح لنا من شهادة الأستاذ بونا ملوال ان الكنيسة كانت تحرض ضد حرية الرأي والاعتقاد وكانت تحرم الطلاب الجنوبيين من حقهم الأساسي - التعليم - اذا تحدثوا بالعربية وسيتضح فيما يلي انها مازالت تقوم بنفس الدور وتدعو للانفصال .

أجل الدفاع عن حقوقهم الانسانية وحريتهم .

ولهذا ، لانود سيادتكم في هذا الاجتماع معكم أن يتطرق الاعتقاد الى أننا أناس يحاولون احداث فرقة بين مواطنينا ، اننا نحاول أن نجعلهم يتفهمون ويحبون ويحترمون بعضهم البعض ويعيشون في انسجام . بل على النقيض اننا نخشى أن يكون المسلمون العرب بخططهم ونشاطاتهم في جنوب السودان والمحافظة الاستوائية بوجه خاص يهدفون الى ارباكنا وتقسيمنا لكي يتسنى لهم على المدى الطويل أن نتقاتل فيما بيننا (السودانيون والجنوبيون أي الاستوائيين) لأنه سيكون بعضنا عندئذ قد أصبح مسلما معربا والآخرون مسيحيون افارقة . وفي الوقت الذي سنكون فيه في هذا النوع من النزاع بيننا سيكون المسلمون العرب سعداء لرؤيتنا ندمر أنفسنا [٢٧] .

ان الهدف من هذا الاجتماع كما ذكرنا في البداية هو أن تشاركونا بعض قلقنا ، ان هذا القلق يشير الى الوضع الراهن في الجنوب والمحافظة الاستوائية كما نراه . لقد شاركناكم هذا الأمر بحرية . واننا على ثقة بأنكم تتفهمون نوايانا الطيبة في التعاون مع حكومة الاقليم من أجل صالح اقليمنا المسيحي والافريقي .

اننا نؤيدكم وحكومتكم ليس فقط بالصلوات ولكن ايضا بالمحادثات المخلصة مثل هذه الجارية الان عندما تتاح الفرصة لذلك . اننا ندعو الرب أن يساعدكم ويرشدكم لكي تتخذوا الاجراء المناسب وفي الوقت المناسب عندما يكون ذلك ضروريا . كما نصلي ايضا من أجل أن تقودوا شعبنا لكي يعيش ويتصرف وفق الحقيقة التي تقول أنهم افارقة وسودانيون جنوبيون ومسيحيون . اننا نرغب ايضا

---

٢٧ - انه استعداء صريح للسلطات الرسمية في الجنوب ضد الوجود الاسلامي وضد ابناء شمال السودان ويلاحظ ان الكنيسة تتحدث عن الجنوب وكأنه ليس جزءا من السودان .

في أنكم فيما يتعلق ببعض الموضوعات الاجتماعية والدينية بل والسياسية الهامة ألا تترددوا في طلب نصيحتنا . واننا سنبذل كل مافي وسعنا لمساعدتكم بقدر مايسمح به دورنا .

إمضاء

رئيس الكنيسة الكاثوليكية في جوبا

إمضاء

رئيس الكنيسة الارثوذكسية جوبا

لم ينته الأمر عند هذا الحد ففي الاسبوع الأخير من شهر سبتمبر عام ١٩٨٩م تقدمت رسميا ٥٧ شخصية قيادية في جنوب السودان يتقدمهم رجال الكنيسة بمذكرة رفعوها للحكومة المركزية في الخرطوم . يطالبون فيها بانفصال الجنوب . وجاء في هذه العريضة (ان الخرطوم تعتبر السودان فيما يبدو دولة عربية وتنوي نشر الثقافة العربية والاسلام في الجنوب) وان (مسألة الانفصال هي مسألة حميمة وملحة بالنسبة (لشعب) جنوب السودان منذ أن أصبح ذلك مطلبه التاريخي [(٢٨)].

والآن هل يدرك المسلمون الحقيقة :

واذا أدركوها هل يهبوا لتدارك السودان قبل أن يغرقه طوفان الكنيسة مثل غيره من الممالك الاسلامية العظمى في غرب افريقيا والدويلات الاسلامية اللاحقة في حزام الساقنا .

---

٢٨ - برقية لوكالة رويتر الخرطوم بعنوان (جنوبيون بارزون يدعون الى انفصال السودان) ٣٠/١٠/١٩٨٩م .

Your Excellency,

On behalf of our Christian citizens and on our own behalf, we joyfully welcome you here among us and we warmly greet you in the name of our Lord and Saviour Jesus Christ.

The main purpose for which we have invited you here among us, your Excellency, is to share with you some of our concerns for the good of our people particularly in Equatoria Region and in the whole of Sudan at large.

We would like to point out just in the very beginning of our meeting with your Excellency that these concerns should not be taken as applying to the Christian citizens alone but to all non Muslems and non Arabs alike especially here in Equatoria Region.

In our sharing we want to assure our government, our politicians and other responsible citizens that we are with them; but we would also like to bring them to us, to be with us and to feel with us that we should be working together for the good of our people.

Our concerns, Your Excellency, are these:-

1. The Arab (Moslem) plan in action.
2. The passing of the transitional contitution.
3. The presence of Dowa Islamia and its activities.
4. The question of Land Distribution.
5. The position of the church.

There are many other concerns but we would like to limit ourselves to what we have just mentioned.

1. THE ARAB (MOSLEM) PLAN IN ACTION

Your Excellency, the Arabs (Moslems) have laid down a clear plan and programme of action to arabize and islamize the whole world, Africa being the first target. For Africa the plan goes through the coast and the centre.

..../2

H.S.C

● مقتطفات من رسالة رئيسي الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الارثوذكسية لحاكم اقليم الاستوائية في جنوب السودان .

Your Excellency ,

On behave of our christian citizens and on our own behave we joyfully welcome your hounorable guists and warmly greet you in the name of our Lord and Saviour jesus Christ .

The main purpose for which we have invited you here among us your Excellency is to share with you some of our concerns for the good of ourpeople particularly in Equatoria and in the whole of Sudan at large .

We woud like to point out just in the very begining of our meeting with your Excellency that these concerns shoud not be taken as applying to the christian citizens alone but to all none Muslems and none Arabs alike especialy here in Equatoria Region .

In our sharing we want to assure our government , our poltician and other responsible citizens that we are with them , but we would also like .... with us and to feel with us that we should be working togothere for the good of our people .

Our concerns , Your Excellency , are :-

1- The Arab (Moslem) plan action .

2 - The passing of the transitional constitution

3 -The presence of Dawa AL Islamia and its activities

4 - The question of land distribution .

5 - The position of the church .

There are many other concerns but we would

like to limit our selves to what we have juse menti-ned .

The Arab (Moslem) plan in action

Your Excellency , the Arab (Moslems) have laid. down acual plan and ....and programme of action to arabise and islamiz the whole world , Africa being the first threat , For Africa the plan goes throught the coast and the center .

Notice:- This is page one.

الفصل الخامس

مخطط الحركة النصرانية بمصر



مخطط الحركة النصرانية بمصر

في اطار حرب التنصير المستمرة ضد المسلمين تعقد المؤتمرات وتحاك المؤامرات ، ورغم السرية الكبيرة التي يحيط بها المنصرون مخططاتهم وكيدهم للاسلام الا أنه بتوفيق من الله سبحانه وتعالى يتم كشفها ، وفي هذا الفصل نعرض وثيقة هامة عن الحركة التنصيرية في مصر والتي تكشف مخطط الكنيسة لزيادة عدد ما اسمته (شعب الكنيسة) بالحد من انجاب المسلمين سعيا لاقتسام السلطة في مصر تمهيدا للانفراد بها واستردادها ممن اسمتهم (المسلمين الغزاة) على حد زعمها ·

في الأجتماع الذي تم في الكنيسة المرقسية بالاسكندرية برئاسة الانبا شنوده الثالث بتاريخ ١٩٧٢/٣/٢٥م [(١)]

وبعد اداء الطقوس والترتيبات طلب الانبا شنوده من عامة الحاضرين الانصراف ، فانصرفوا ومكث رجال الدين ، وبعض اثرياء واعيان المسيحيين بالاسكندرية ... وفي مستهل الاجتماع بدأ شنوده كلمته بأن بشرهم بأن كل شئ على مايرام ، وحسب الخطة الموضوعة والتخطيط المرسوم لكل جانب من جوانب العمل على حده في اظهار الهدف الموحد . وقال لهم في هذا الاجتماع نتحدث عن موضوعات تشمل عدة نشاطات كالآتي :-

أولاً : عدد شعب الكنيسة :

قال بأن مصادرهم في ادارة التعبئة * والاحصاء ابلغتهم بأن عدد المسيحيين في مصر يقارب ثمانية ملايين نسمة ، وواجب أن يعلم شعب الكنيسة كما يجب عليهم أن ينشروا ذلك ويؤكدوه بين أفراد وفئات المسلمين لأنه سيكون عندنا في المطالب التي سنطلبها من الحكومة وسنذكرها لكم اليوم ·

ثم قال أن التخطيط العام الذي تم الاتفاق عليه بالاجماع .والذي صدرت بشأنه التعليمات

---

١ - نقلا عن د / علي جريشة - حاضر العالم الاسلامي - جدة الطبعة الثانية ص ٢٥٩ - ٢٦٣ ·

* يعني هذا أن لديهم عملا منظما لسرقة المعلومات من الادارات الحكومية وتوظيفها لخدمة أهدافهم ·

الخاصـة بتنفيذها هذا التخطيط ، وضع أساس بلوغ شعب الكنيسة الى نصف عدد الشعب المصري . حيث يتساوى عدد شعب الكنيسة مع عدد المسلمين لأول مرة منذ ثلاثة عشر قرنا من الزمان أي منذ الاستعمار العربي أو الغزو الاسلامي لبلادنا على حد قوله .والمدة المحددة في التخطيط للوصول الى هذه النسبة هي من ١٢ ـ ١٥ سنة منذ الآن ولذلك فان الكنيسة تحرم تحريما باتا وقاطعا تحديد النسل ، أو تنظيمه ، ويعتبر كل من يعمل ذلك خارجا على تعليمات الكنيسة . ومضيعا لمجدها ، وذلك باستثناء الحالات التي يقرر فيها أطباء الكنيسة خطر الحمل أو الولادة على حياة المرأة وقد اتخذت الكنيسة عدة قرارات لتحقيق هذه الخطة بالنسبة لزيادة عدد المسيحيين .

١ - تحريم تحديد النسل وتنظيمه بين شعب الكنيسة .

٢ - تشجيع تحديد النسل وتنظيمه بين المسلمين . خاصة وأن أكثر من ٦٥ ٪ من الأطباء وبعض الخدمات الصحية بيد شعب الكنيسة .

٣ - تشجيع الاكثار من النسل بين شعب الكنيسة . ووضع حوافز ومساعدات معنوية ومادية للأسر الفقيرة من شعبنا .

٤ - التنبيه على العاملين بالخدمات الصحية على المستوى الحكومي وغير الحكومي بمضاعفة الخدمات الصحية بين شعبنا المسيحي . وبذل العناية والجهد الوافرين ، وذلك من شأنه تقليل نسبة الوفيات بين شعبنا . على أن تكون تصرفاتهم غير ذلك مع المسلمين .

٥ - تشجيع الزواج في السن المبكر بتخفيض تكاليفه . وذلك بتخفيض رسوم فتح الكنائس . ورسوم الاكليل بالكنائس الكائنة بالاحياء الشعبية والفقيرة .

٦ - تحرم الكنيسة تحريما باتا على أصحاب العمارات والمساكن المسيحية تأجير أي مسكن أو شقة أو محل تجاري للمسلمين . ويعتبر من يفعل ذلك من الآن مطرودا من رحمة الرب ورعايه الكنيسة . كما يجب

العمل بشتى الطرق على اخراج السكان المسلمين من العمارات والبيوت المملوكة لشعب الكنيسة . وهذه السياسة اذا استطعنا تطبيقها بقدر لامكان فان من شأنها تشجيع وتسهيل الزواج بين شباب المسيحيين . وتصعيبه وتضييقه بين شباب المسلمين . مما يكون له اثره الفعال في الوصول للهدف . حيث لا يخفى أن الغرض من هذه القرارات هو تخفيض معدل الزيادة بين المسلمين . وارتفاع هذا المعدل بين شعب لكنيسة .

ثانياً : اقتصاد شعب الكنيسة :

قال البابا شنوده أن المال يأتينا كما نطلب وأكثر مما نطلب من ثلاثة مصادر أمريكا والحبشة ، والفاتيكان .

ولكن يجب ايضا أن يكون الاعتماد في تخطيطنا الاقتصادي على مالنا الخاص . الذي نجمعه من الداخل . وعلى التعاون والزيادة من حقل الخير بين أفراد شعبنا شعب الكنيسة . كذلك يجب الاهتمام أكثر بشراء الأرض . وتنفيذ نظام القروض والمساعدات لمن يقوم بذلك لمساعدتهم على البناء ، وقد ثبت بالاحصاءات الرسمية أن أكثر من ٦٠ ٪ من تجارة مصر الداخلية بأيدي المسيحيين . ويجب العمل على زيادة هذه النسبة . وتخطيطنا الاقتصادي للمستقبل يركز على افقار المسلمين . ونزع الثروة من أيديهم ما أمكن بالقدر الذي يعمل به هذا التخطيط على ثراء شعبنا ، لذلك يلزم المداومة على تركيز شعب الكنيسة والتنبيه عليهم مشددا من وقت لآخر لمقاطعة المسلمين الاقتصادية . والنهي عن التعامل المادي معهم نهائيا الا في الحالات المستحيلة . وذلك يعني مقاطعة المحامين المسلمين . والمحاسبين والمدرسين والاطباء والصيادلة والمستشفيات الخاصة التي يملكونها . والمحلات التجارية الكبيرة . وكذلك الجمعيات الاستهلاكية ما أمكن ذلك . مادام يمكن التعامل مع اخوانهم من شعب الكنيسة لسد حاجتهم . كما يجب التنبيه والتذكير الدائم على مقاطعة صناع المسلمين وحرفيهم

تماما . والتعامل مع الصناع والحرفيين المسيحيين . ولو كلفت ذلك الفرد المسيحي الانقال والجهد والمشقة . ثم قال ان هذا الأمر مهم جدا وخطير بالنسبة للتخطيط المالي والتخطيط العام على المدى القريب والبعيد .

ثالثا : الجانب التعليمي :

قال شنودة أنه يجب بالنسبة للتعليم العام للشعب المسيحي الاستمرار في السياسة التعليمية المتبعة حاليا في الكنائس مع مضاعفة الجهد في ذلك خاصة وأن بعض المساجد بدأت تقوم بمهام تعليمية كالتي تقوم بها الكنيسة ، وذلك سيجعل مضاعفة الجهد المبذول حاليا أمرا حتميا . حتى تستمر النسبة التي نحصل عليها من مقاعد الجامعات وخاصة في الكليات العلمية .

ثم قال : اني اهنئ شعب الكنيسة وخاصة المدرسين منهم بهذه النتائج . حيث وصلت نسبة بعض الوظائف الهامة والخطيرة مثل الطب والصيدلة والهندسة وغيرها الى أكثر من ٦٠ ٪ في أيدي شعب الكنيسة الشعب المسيحي فأدعوا لهم المسيح الرب يسوع المخلص أن يمنحهم بركاته وتوفيقه . وحتى يواصلوا الجهد لزيادة هذه النسبة في المستقبل القريب .

رابعاً : التنصير : [٢]

قال انه يجب مضاعفة الجهود التبشيرية الحالية . اذ أن الخطة التبشيرية التي

وضعت قد بنيت على أساس التركيز في التبشير بين الفئات والجماعات المسلمة أكثر في المرحلة القادمة . على زحزحة أكبر عدد من المسلمين عن دينهم . والتمسك به . على ألا يكون من الضروري دخولهم في المسيحية . ويكون المقصود من التركيز على بعض الحالات والأفراد لدخولهم في المسيحية هو زعزعة الدين في نفوس المسلمين . وتشكيك الجموع الفقيرة منهم في كتابهم وفي صدق محمد ، لذلك يجب عمل جميع الوسائل

---

٢ - يستخدم المنصرون كلمة التبشير لاضفاء هالة من الخير والصلاح على مخططاتهم السوداوية وبعضنا يرددها وراءهم بطريق الخطأ . والأصح منصرون وليسوا مبشرين .. فالمسلمون هم المبشرون ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم هو الذي ارسل مبشراً ونذيرا وسراجا منيرا . ولكن ابقيناها كما وردت في نص الوثيقة .

وشتى السبل واستغلال كل امكانيات الكنيسة للتشكيك في القرآن . واثبات بطلانه وفي صدق محمد ، واذا نجحنا في تنفيذ المطلوب من هذا المخطط التبشيري في المرحلة المقبلة . فاننا نكون قد نجحنا في ازاحة هذه الفئات عن طريقنا ، وفي هذه الحالة فهي وان لم تكن معنا فلن تكون علينا . على أن يراعى في تنفيذ المخطط التبشيري بالذات أن يتم بطريقة هادئة لبقة ذكية . حتى لايكون ذلك سببا في اثارة حفيظة المسلمين ويقظتهم . والخطأ الذي حدث في المحاولات التبشيرية السابقة بنجاح المبشرين في هداية بعض المسلمين لايمانهم بالخلاص على يد الرب يسوع المخلص الخطأ الذي حدث هو تسرب أنبائها الناجحة الى المسلمين لأن ذلك من شأنه تنبيه المسلمين وصحوتهم . وهو أمر قد ثبت من تاريخهم الطويل معنا أنه ليس بالأمر الهين . وهذه اليقظة من شأنها أن تفسد علينا مخططاتنا المدروسة . وتؤخر نتائجها وثمارها وتضيع جهودنا هباء . ولذلك قد أصدرت التعليمات بهذا الخصوص وتنشر على جميع الكنائس لكي يتعرف الجميع من شعبنا على المسلمين بطبيعة ودية . لامتصاص غضبهم واقناعهم بكذب هذه الأنباء ، كما تم التنبيه على رعاة الكنيسة والأباء والقساوسة بمشاركة المسلمين احتفالاتهم الدينية . وتهنئتهم بأعيادهم . واظهار المودة والمحبة لهم . وعلى شعب الكنيسة في المصالح والوزارات والمؤسسات وكل أماكن الاحتفال اظهار هذه الروح بين المسلمين . ثم قال : بالحرف الواحد أننا يجب أن ننتهز ماهم فيه من نكسة ومحنة .

لأن ذلك في صالحنا . ولن نستطيع احراز أي مكاسب وأي تقدم نحو هدفنا اذا انتهت المشكلة مع اسرائيل سواء بالسلم أو الحرب ، ثم هاجم من اسماهم بضعاف النفوس والقلوب الذين يقدمون مصالحهم الخاصة على مجد شعب الكنيسة . وتحقيق الهدف الذي يعمل له الشعب المسيحي منذ زمن بعيد في التاريخ . وقال أنه لا يلتفت الى أعمالهم . وأصر أن يتقدم الى الحكومة رسميا بالمطالب الواردة بعد ذلك ، حيث أنه اذا لم يكسب شعب الكنيسة في مصر في هذه المرحلة أية مكاسب على المستوى الرسمي فربما لايستطيعون احراز أي تقدم بعد ذلك ، ثم قال بالحرف الواحد :

(وليعلم الجميع وخاصة ضعاف القلوب أن القوى الكبرى في العالم تقف وراءنا ولسنا وحدنا . ونريد أن نحقق الهدف . ولكن العامل الأول والخطير في الوصول الى ما نريد هو وحدة شعب الكنيسة . وتماسكه وترابطه . ولكن اذا تبددت هذه الوحدة وذلك التماسك . فلن تكون هناك قوة ما على الأرض مهما عظم شأنها في امكانها ومقدورها أن تساعدنا) ثم قال (وسوف لن أنسى موقف هؤلاء الذين يريدون أن يفتنوا وحدة شعب الكنيسة وعليهم أن يبادروا فورا بالتوبة وطلب الغفران والصفح والا يعودوا الى مخالفة ومناقشة تشريعاتنا وأوامرنا ، والرب يغفر لهم .
ويشير بذلك الى الخلاف الذي وقع بين بعض المسئولين منهم ، حيث كان رأي البعض التريث وتأجيل المطالب المزعومة الى الحكومة .

خامساً : المطالب .

ثم عدد الانبا شنودة المطالب التي أعلن أنه سيقوم بتقديمها رسميا قريبا الى الحكومة وهي :

١- أن يصبح مركز البابا الرسمي في البروتوكول السياسي للدولة بعد رئيس الجمهورية وقبل رئيس الوزراء .
٢ - أن يخصص لهم ثماني وزارات في الوزارة .
٣ - أن تحدد لهم ربع القيادات العليا في الجيش والبوليس .
٤ - أن يخصص لهم ربع المراكز القيادية المدنية . كرؤساء مجالس المؤسسات والشركات والمحافظين . ووكلاء الوزارات والمديرين العموميين ورؤساء مجالس المدن .
٥ - أن يؤخذ رأي البابا عند شغل هذه النسبة في الوزارات والمراكزالعسكرية والمدنية ويكون له حق ترشيح بعض العناصر والتعديل .
٦ - أن يسمح لهم بانشاء جامعة خاصة بهم ، وقد وضعت الكنيسة بالفعل تخطيط هذه الجامعة وهي تضم المعاهد اللاهوتية . والكليات العلمية

والنظرية . وتمول من مالهم الخاص .

٧ - أن يسمح لهم باقامة اذاعة خاصة من تمويلهم الخاص .

وأخيرا اختتم حديثه بتبشير الحاضرين . وطلب منهم نقل هذه البشرى الى شعب الكنيسة . حيث أن أملهم الأكبر في عودة البلاد الى أصحابها من أيدي الغزاة العرب على حد تعبيره - وقد بات وشيكا - وليس في ذلك وهذا قوله (أية غرابة) وضرب لهم مثلا باسبانيا النصرانية التي قال انها ظلت في أيدي المستعمرين قرابة سبعة قرون ثم قال بالنص في التاريخ المعاصر أكثر من بلد عادت الى ذمتها منذ قرون طويلة جدا .

ولعله يقصد من هذه الدول اسرائيل ، وفي ختام الكلمة والاجتماع أنهى حديثه ببعض الأدعية الدينية للمسيح (الرب) الذي يحميكم ويبارك خطواتكم على حد تعبيره .

البابا والنقابات [٣]

في يوم الأحد ١٨ أبريل ١٩٩٠م تصدر جريدة (وطني) لسان حال الأقباط (النصارى) في مصر نداء ا الانبا شنوده الثالث بابا الكنيسة القبطية المصرية ، يدعو فيه الاطباء النصارى أن يتوجهوا الى نقابة الأطباء للادلاء بأصواتهم في انتخابات التجديد النصفي لمجلسها التي جرت يوم الجمعة ١٢ أبريل ١٩٩٠م ، وقد كشف الانبا شنوده بندائه هذا ، اهتمام الكنيسة المصرية بالشئون السياسية ، وتدخلها في العمل العام ، حتى ولو كان عملا نقابيا ، والأكثر من ذلك أن الانبا شنوده أعلن ولأول مرة أن العمل العام عبادة روحية ، وتبين ذلك من نص البيان الذي جاء فيه بالنص (ومع أن هذا اليوم الجمعة العظيمة (يسميها عامة الأقباط بمصر الجمعة الحزينة) وهو يوم مخصص للرب في ذكرى الآم السيد المسيح الا أنني أحب أن تقطعوا ساعة منه من أجـل الصالح العام ، واعتبروا هذا العمل عملا روحيا تقومون به

---

٣ - د/محمد سليم العوا - مقال بجريدة الشعب المصرية بتاريخ ٢١ رمضان ١٤١٠هـ ١٧ أبريل ١٩٩٠م عدد٥٤٢ ص ٣ .

.. وواجبا وطنيا لايحق لأحد التقصير فيه ، ولكن الرب معكم يكافئكم خيرا على تعبكم ٠)

وقد أكد الانبا شنوده بندائه هذا خروجه على القاعدة المسيحية القائلة (دع ما لله لله ومالقيصر لقيصر) والتي يرددها غالبية المسلمين بعد أن خدعوا بها طويلا . وعلى أساسها يعملون للفصل بين الدين والدولة في كثير من بلاد المسلمين حاليا .

أطـراف المؤامـرة

والكنيسة المصرية لاتقوم بهذا المخطط التنصيري داخل مصر بمفردها بل تساندها في ذلك هيئات كنسية دولية ودول كبرى منها مجلس الكنائس العالمي ودولة الفاتيكان والدول الغربية والشرقية التي تتخذ المسيحية دينا لها . وتساند العملية التنصيرية وسائل اعلام هذه الدول .ففي تقرير بثته وكالة الأنباء الفرنسية (٤) من القاهرة تحت عنوان (تصاعد قلق أقباط مصر) جاء فيه (أطفال المدارس الابتدائية في الفيوم (٥)تركوا لعبة عسكر وحرامية واستبدلوها بلعبة مسلمون ونصارى . الأمر الذي يثير قلق الأقباط المصريين اثر حوادث العنف المتعددة التي تعرضوا لها خلال الشهرين الماضيين في القاهرة ٠ واسيوط والفيوم ويورد التقرير افتراءات كثيرة محاولا اظهار أقباط مصر الذين يشكلون ما بين ٨ر١٠ ٪ من السكان بأنهم مستضعفون ويتعرضون لضغوط كثيرة لاثارة حفيظة الهيئات التنصيرية لامدادهم بالمزيد ٠

وتنظر هذه الفئات التنصيرية الى الأزهر الشريف [٦] على أنها العقبة الكؤود في وجه التنصير الصليبي لا في مصر وحدها ، وانما في كل العالم الاسلامي . وينبه جون

---

٤ - وكالة الأنباء الفرنسية (أ . ف . ب) القاهرة تحت عنوان تصاعد قلق أقباط مصر بقلم ميشال تريشة بتاريخ ١٩٩٠/٤/٢٨م ٠

٥ - محافظة جنوب القاهرة بحوالي ٤٠ كيلو متر ٠

٦ - الأزهر الشريف الذي يعد أول جامعة في العالم وأنشئ عام ١٩٧٢م الموافق ١٣٩٢هـ وبناه جوهر الصقلي في عهد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله وسمى بالأزهر اشارة الى الزهراء (لقب فاطمة ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم) وقد اضطلع الأمر منذ نشأته بجانب كونه جامعة للتربية والتعليم بوظيفة أخرى هامة وهي حماية الدين الاسلامي والذود عنه ونشره وتخريج القادة من العلماء الذين يديرون شئون الدين والدنيا ٠

رالي موط المؤرخ الكنسي والمنصر الأمريكي المعروف لأهمية الأزهر ودوره في حياة المسلمين بقوله [٧] أن شهادة منه (الأزهر) بين المسلمين توازي شهادة الدكتوراه من اكسفورد أو باريس أو هارفارد في العالم الغربي . وفي عام ١٩٠٨ قال جلادستون الذي كان رئيسا لوزراء بريطانيا في ذلك التاريخ . وهو من عتاة المنصرين ، لن نغلب المسلمين مابقى فيهم المصحف والكعبة والأزهر [٨] .

ومن ثم كان التركيز على مصر في العمل التنصيري . وقد عقد المنصرون الكثير من المؤتمرات والندوات ، واجروا العديد من البحوث الميدانية والدراسات . ومن أهم هذه المؤتمرات مؤتمر القاهرة (عام ١٩٠٦م) والذي عقد في بيت الزعيم المسلم عرابي باشا في باب اللوق [٩] وبلغ عدد مندوبي ارساليات التنصير الذين حضروه ٦٢ من الرجال والنساء ، وقد ترأس المؤتمر القس صمويل زويمر ، وأهم ماخلص اليه المؤتمر الكنائس المسيحية في العالم على اختلاف مذاهبها لتتمكن من مزاحمة الأزهر بسهولة، وتتكفل هذه المدرسة الجامعة باتقان تعليم اللغة العربية [١٠] وانطلاقا من ذلك قررت الارسالية الأمريكية التنصيرية بمصر عام ١٩١٩م انشاء الكلية الأمريكية في القاهرة ، والتي أصبحت فيما بعد الجامعة الأمريكية وهي في ميدان التحرير بالقاهرة عن قصد لتكون قريبة من الصرح الاسلامي الشامخ (الجامع الأزهر) وتعد هذه الجامعة حاليا مركزا خطيرا للتنصير في قلب العالم الاسلامي [١١] .

وقد عقد احدث مؤتمر لتنصير مصر في مدينة اكسفورد بانجلترا في منتصف شهر أغسطس عام ١٩٨٦م ، وكان هدف المؤتمر (وضع استراتيجية دقيقة ومنظمة وسرية

---

٧ - د / خالد محمد نعيم ـ فتنة اكسفورد الكبرى ـ دراسة نشرت في جريدة المسلمون عدد ٢٧٥ ص ٣ بتاريخ ١٦ شوال ١٤١٠هـ ١١ مايو ١٩٩٠م .

٨ - المصدر السابق .

٩ - أ . ل . شـ اتليه ـ الغارة على العالم الاسلامي تعريب محب الدين الخطيب ومساعد اليافي الطبعة الرابعة ـ جدة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ص ٣٣ .

١٠- المرجع السابق ص ٣٨ .

١١- د / خالد محمد نعيم مصدر سابق .

لغـزو الصليب لمصر وضـرب الاسلام فيها ، وقـد عكـس ذلك د. كوانـج المنصر الأمريكـي الذي ترأس جلسـات المؤتمر أهمية العمل التنصيري في مصر بقوله ، ان مشروع التبشير بالنصرانية في مصر هو مفتاح القضاء على الاسلام تماما) .

ووضع مؤتمر اكسفورد (المؤامرة الكبرى لتنصير مصر) اشرف على . وضعها أخطر المنصرين في امريكا وانجلترا وتتلخص خيوطها في ان المسلمين المصريين على درجة من الفطنة والذكاء . وأنه لن يحدث مانتمناه الا عن طريق واحد فقط وهو التقرب اليهم ، وكسب ثقتهم دون أن يشعرهم أحد بأنه يدعو الى المسيحية ، هنا سيتحقق مانبتغيه ، لا نصرح بدعوتنا لهم ، وانما عن طريق تغيير البنية الاجتماعية ، بعاداتها وتقاليدها ونظمها الاسلامية الراسخة ، بمشاركتهم والتقرب اليهم ، وكسب ثقتهم ، بما نظهر لهم من فضائل ومزايا في نهج حياتنا وطرق معيشتنا وأننا أهل ثقة . عندئذ نبدأ مباشرة بالتبشير والتحرك العلني في المنطقة ، وفي هذا الوقت سنكون قد قتلنا الحماسة الدينية في وجدانهم . وقتلنا الروح الملهمة لديهم ، وأفقدناهم الثقة في أن دينهم الاسلامي يستطيع أن يبلي حاجاتهم المادية والعلمية والحضارية [١٢] .

والمتتبع للأوضاع في مصر عقب هذا المؤتمر يجد أن مخططهم حقق خطوات عملية . وذلك بالتعاون مع أقباط مصر . منها حذف الآيات القرانية والأحايث النبوية والأناشيد الدينية ، والقصص المستوحاة من الاسلام من الكتب والمقررات الدراسية في مصر بدعوى أنها تؤذي مشاعر غير المسلمين ، وقد تم ذلك بضغط أمريكي نتيجة تمويلهم لبعض مشروعات التعليم الأساسي في اطار برنامج هيئة المعونة الأمريكية والتي تبدو في ظاهرها مؤسسة اقتصادية . بينما هي تقوم في الأصل بأعمال كنيسية وتنصيرية . ووراء هذا الالغاء عملية مسرحية تؤكد خطورة وقوة هيئات التنصير في مصر فقد حدث أن نشرت جريدة الاهرام بتاريخ ١٩٨٩/٥/٩م في باب (بريد القراء) رسالة من القبطي سمير بنايوتي تحت عنوان (هـذا الحـرج) يقول فيها انني استفتي علماء

---

١٢ - د / خالد محمد نعيم ـ مصدر سابق .

الاسلام في مدى تمسك واضعي المناهج برغبتهم المستمرة لأن تحفظ ابنتي المسيحية آيات قرآنية وأحاديث نبوية في كتاب القراءة وبعد هذا الخطاب الموجه - بايام قليلة استجابت وزارة التربية والتعليم [١٤] في مصر الاسلامية لرغبة أحد الأقباط فقامت بحذف الآيات القرآنية والأحايث النبوية .

وخطوة أخرى تتمثل في نجاحهم في قتل الأطفال (الأجنة) المسلمين في رحم الأمهات من خلال برامج تنظيم الأسرة والتي تمولها الحكومة الأمريكية في الداخل .

وخطوة ثالثة تتمثل في افتعال مايسمى بأحداث الفتنة الطائفية . واظهار الأقباط على أنهم مستضعفون ويهاجمون باستمرار من جانب الشباب المسلم الذين نجحوا في إطلاق تسمية التطرف على كل مسلم غيور على دينه . ويستغلون بعض الحوادث الفردية من مشاجرات بين اثنين من الجيران أو في الأسواق يكون طرفها أحد الأقباط ويصورون ذلك على أنه توجه عام ومن منطلق عقائدي ، ولعل ما نشرته وكالات الأنباء الغربية وفي مقدمتها وكالة رويتر الانجليزية ووكالة الأنباء الفرنسية يوم ١٢/٥/١٩٩٠م حول حادث اعتداء أحد فلاحي قرية رأس الترعة في محافظة البحيرة [١٥] على ستة من الأقباط بدافع الثأر في حين حاولت الوكالتان اضفاء الصبغة العقائدية على هذا الحادث فقالت وكالة (أ . ف . ب) الفرنسية [١٦] تحت عنوان (فلاح مسلم يقتل ٦ من الأقباط) ان فلاحا مسلما قتل اليوم الجمعة ٦ من الأقباط الارثوذكس كانوا في سيارة على بعد ٣ كيلو متر)، ورغم أن القاتل اعترف

---

١٣ - وهي جريدة أساسها اثنان من النصارى هما سليم وبشاره تقلا عام ١٨٧٥م .

١٤ - كان على رأس الوزارة في ذلك الوقت الوزير د/ فتحي سرور رئيس مجلس الشعب المصري الحالي .

نشرت صحيفة الشعب المصرية في عددها رقم (٥٥١) بتاريخ الثلاثاء ٢٦ ذي القعدة ١٤١٠هـ الموافق ١٩ يونيه ١٩٩٠م ص ١١ تحت عنوان (تهدم سور المدرسة) مايلي (تهدم جزء من مدرسة محمد شرف بمنطقة الشرابية (أحد أحياء العاصمة القاهرة) ونقل أولادنا الى مدرسة أخرى بفترة مسائية وهذه المدرسة تقع في منطقة غير معروفة لأبنائنا كما تكثر بها حركة السيارات مما عرض عدد كبير من أولادنا لحوادث عديدة خاصة عند خروجهم رغم أن الحي قد حصل على شيك رقم ٧٠٢٧٥ بتاريخ ١/٢/١٩٩٠م من المعونة الأمريكية بمبلغ ٦٥٠٠ جنيه لترميم المدينة .

وهذا دليل قاطع على تمويل أمريكا للتعليم الأساسي لغرض غير معلن ولكنه معلوم .

١٥ - محافظة جنوب الاسكندرية بحوالي ثلاثين كيلومترا .

بارتكاب الحادث ثأرا لقتل شقيقه على يد الطبيب القبطي في نزاع على قطعة أرض فان الوكالة ترى أن عمليات الثأر أقل شيوعا في دلتا النيل ، ووكالة أنباء رويتر نشرت الخبر على نفس الطريقة السابقة جاء فيه (أن مزارعا مسلما قتل ستة مسيحيين من بينهم قس وطبيب) . بينما نشرت الخبر بقية الصحف ووكالات الأنباء العربية على أنه ثأر عادي ولم تشر الى ديانة القاتل أو الضحايا وكمثال نذكر ما أوردته وكالة الأنباء القطرية (ق . ن أ) والتي نشرت الخبر كما يلي :

لقى ٦ أشخاص مصرعهم في حادث ثأر باحدى قرى مركز أبي المطامير بمحافظة البحيرة عندما اطلق المدعو رجب محمود النار على سيارة جمال رشدي مرقص ومعه بعض أقاربه في طريقهم الى الاسكندرية حيث مقر اقامتهم [١٧] .

اثارة مثل هذه الفتنة يستهدف استعداء السلطات المصرية ضد الشباب المسلم الملتزم . وتعريضه دائماً لعمليات السجن والقمع حتى تفشل مهمة بناء بنية المجتمع على أسس اسلامية . والتي يركز عليها هؤلاء الشباب ، وقد أثبتت جهات أمنية مصرية تورط جهات ودول خارجية في أحداث هذه الفتنة وثبت ذلك لدى الجهات القضائية المصرية كما جاء في خبر نشرته وكالة الأنباء القطرية (ق . ن . أ) [١٨] تحت عنوان (ابعاد مبشرين من مصر) وجاء فيه أن النيابة في مصر قررت اخلاء سبيل وابعاد ثلاثة من الأجانب كان قد القي القبض عليهم بتهمة القيام بأعمال تبشيرية داخل مصر بهدف اثارة الفتنة الطائفية بين الأقباط والمسلمين وأن المتهمين الثلاثة هم :

رولاندي كريسيدي ـ سويسري ـ والالمانيان استوواتر ومايكل جوزيف قد ذكروا أمام النيابة أنهم يتحدثون عن عقيدة يؤمنون بها ، وقد عثر داخل الشقة التي كانوا يقيمون بها في القاهرة على بعض المنشورات والكتيبات التي تدعو الى اعتناق المسيحية واثارة القلاقل الطائفية كما ثبت تردد بعض المصريين عليهم .

والأخطر من ذلك تقارير أمنية افادت أن السفير الأمريكي في مصر يقوم بجولات

---

١٧ - وكالة الأنباء القطرية خبر من القاهرة بتاريخ ١٢/٥/١٩٩٠م لاحظ تركيز الوكالات الغربية على الديانة ومهنة المقتولين .

١٦ - وكالة الأنباء الفرنسية (أ . ف . ب) خبر من القاهرة بتاريخ ١٢/٥/١٩٩٠م .

في جنوب مصـر (الصعيد) للالتقاء ببعض زعماء الكنائس هناك دون اخطار السلطات المسئولة مخالفا بذلك القواعد والاعراف الدبلوماسية ، وقد احتجت جهات رسمية على تصرفات السفير .

السفير الأمريكي في ذلك الوقت كان يدعى فرانك ويزنر وجاء في كتاب (حقائق ووثائق) دراسة ميدانية عن الحركات التنصيرية في العالم الاسلامي للدكتور عبدالودود شلبي . (أن السفارة الأمريكية تقف وراء منظمة تنصيرية بروتستانية تعمل في صعيد مصر وتسمى جمعية صعيد مصر (Association of Upper Egypt) وقد تأكد ذلك من خطاب موجه من السفارة موقع باسم باتريشيا فيولبت (Patriciaviolepit) الى القائمين على إدارة هذه المؤسسة وتملك هذه المؤسسة فروعا في أكثر من ٦٠ مركزا وقرية في صعيد مصر [١٩]) .

---

١٨ – وكالة الأنباء القطرية خبر من القاهرة رقم ٧٩ بتاريخ ١٤/٤/١٩٩٠م .

١٩– د/ عبدالودود شلبي حقائق ووثائق .. دراسة ميدانية عن الحركات التنصيرية في العالم الاسلامي ـ جدة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م الطبعة الأولى . ص ٩٠ .



المنصرة عمانويل(EMMANUELLE) مبعوثة كنائس نوتردام امضت أكثر من (١١) عاما (١٩٧١م - ١٩٨٢م) في ضواحي القاهرة بين اسر المسلمين .
وقالت عنها وكالة الانباء المصوره سيجما انها تعتقد ان (نشر مذهبها الكاثوليكي هنا يجب ان يكون حقيقة ولكن في تكتم وتحفظ) (سجما مارس ١٩٨٢م)

الفصل السادس

مؤتمر كلورادو



(مؤتمر كلورادو)
الحرب الشاملة ضد الإسلام

في الفصـول السـابقة قـدمنا عـرضـا للمؤامرة التاريخـيـة التي ظلت تحاك ضد الاسـلام في واحـد من أعـرق مـواطنـه ـ شـمـال وغـرب ووسـط افـريقـيـا ـ من خـلال قـراءة جـديدة للوقائع والمصطلحات والاحداث .

وفي هـذا الفـصـل نعـرض كـتـابا وثائقـيـا لم نجـد شـهـادة اصدق منه تؤكـد مـا أوردناه في الفصـول السـابقة .....الكتـاب يضم وقـائع اخطر مؤتمر في التاريـخ يتم فيـه الاعـداد لاكبر حرب شـاملة ضد الاسلام .. انه مؤتمر كلورادو الذي عـقد عام ١٩٧٨م . وفـيه وضعت الاسـتراتيجيات والخطط والبرامج التي اعـتقد واضعـوها انها محكمة .. ثم تدارسـوا احدث الاسـلحة وانواعها وكيفية استخدامها للانقضاض على الاسـلام .

وفـيه ايضا تم الاعـداد لتأهيـل وتدريب الكفـاءات البشـرية اللازمـة في الكنيسـة ليقودوا الحرب في مختلف جبهـاتها العقائدية والثقافيـة والإجتمـاعيـة والاقتصـادية . ومن داخل ديـار المسلمين بعد التغلغل فيها والسيطرة عليها .

نشـر الكتـاب عـام ١٩٧٩م بعنـوان (الانجـيـل والاسـلام) [١] وان كـان افـضل عنـوان يعبر عن محتواه في رأينا هـو (الحـرب الشـاملة للقضاء على الاسـلام) وتحت العنوان كـتب ان تـلك الوثائق هي خـلاصـة مـا انجـز عـام ١٩٧٨م في مـؤتمر كلورادو .. ويضم بحوثا ودراسات ومقترحات كلها نتاج عمل ميـداني أجرى وسـط المسلمين [٢] .

ان وقائع مؤتمر كلـورادو لتنصـير المسلمين برغـم ماتشكله من خطـورة لم تترجم

---

(١) The·Gospel And Islam . A 1918 - C ompendium , Edited . BY / Don M. Mcmurry .
دون ماكـوري هو مدير معهد صمويل زويمر في باسـدينيـا أمضـى ١٨ عاما في التنصـير في باكسـتان .

(٢) بعثات الاغاثة والعمال وخدم المنـازل والسـائقون والبعثات الطبية يلعبون دورا كبيرا في هذا المجـال .

حتى الآن الى اللغة العربيـة [٣] وانما نشـرت بعض التعليقات والخواطر عنها في صحـف متـفـرقـة .. ولهـذا عندمـا حـصلنا على هذه النسـخة من الداعـيـه المخلص الاسـتـاذ الدكـتـور / زغـلول النجار وفقه الله ، أبلغناه رغبتـنا في ترجمـتـهـا للعـربية ... وقـد اوضح لنا ان هناك ترجـمـة تعـد حـاليـا في احدى الدول الاسـلامـيـة ويتـوقع ان ترى النور قـريبـاً . ونحن من جانبنا ندعـو القائمين على ترجمتها للاسراع في انجازها حتى يعرف المسـمون حقـيـقـة مـايحاك ضدهم وضد الاسـلام . امـا هنـا فـسنحـاول القـاء الضـوء على بعض مـا دار في ذلك المؤتمر ولما كـانت وقـائع المؤتمر قـد نشـرت في ٦٣٧ صفـحـة هي ذلك الكتـاب . فـان المجال لايتـسع لتـرجمـة كل ماجـاء فـيـهـا .. وسـنورد عناوين بعـض الدراسـات الرئيـسـيـة المقـدمـة مع اطـلالة تعـريفـيـة من خـلال تقـديم الكتـاب وعـرض وترجمـة للبيـان الختـامي للمؤتمـر .

في ربيع عـام ١٩٧٨م رعـت لجنـة لوزران الدائمـة لتنصـيـر العـالم lausane Committee For world Evagelization ومنظمـة الرؤيـة العالميـة WorldVision Interational المؤتمـر الذي عقـد في باسـيدونيا . وعـرف بمؤتمـر كلورادو لتنصـير المسلمين .. وقد قام مـركـز بعـثـات التنصـيـر المتـطـور في منروفـيـا بولايـة كلورادو الأمريكيـة بنشـرها عـام ١٩٧٩م في ذلك الكتـاب .

وزعت موضوعات المؤتمـر الأسـاسية على مختصين في تنصـير المسلمين يعملـون في مناطق مختلفة من العالم الاسـلامي . كتبوا فيها .. وعلى ضـوء هذه الكتـابات تم انتقاء المشـاركين . فـاخـتـيـر ١٥٠ مـشـاركا يمثلون جـهـات عـديدة تعـمل كلهـا وسـط المسـلمين لتنصـيرهم .

من العـناوين التي غطتـهـا الأوراق الأسـاسـيـة الانجـيل والثـقـافـة . توصيـل الانجيل للمـسلمين عـبـر القنوات الـثـقـافـيـة المزدوجة . المسـلم المنصر وثقـافـتـه . دور الكنـائس الديناميكية المتكافئة في المجتمع المسلم . دراسة العناصـر المكونة لبيئة المسلم بهـدف

(٣) كان ذلك في سيتمبر ١٩٨٩م ولم تنشر الترجمة حتى يونيو ١٩٩٠م وقت الإنتهاء من اعداد هذا الكتاب .

اختـراقـهـا . تحليل عناصر الرفـض والاسـتـجـابة لدى المسلمين . اسـلام العـامـة .. جوع القلب ، الوضع المقارن بين المسيحية والاسلام في الغرب . في افريقيا جنوب الصحراء . في شـمـال افـريـقـيـا . في الشـرق الأوسـط . في ايـران في شـبـه القـارة الهنديـة . في جنوب شـرق آسـيا . في الصـين والاتحـاد السـوفيتي [٤] هناك ايضا مواضيع أسـاسية أخرى نذكر منها :

الوضع الحالي لترجمات الانجيل الى لغات المسلمين ، الوضع الحالي للبث الاذاعي التنصـيـري الموجه للمـسلمين . الأسـاليب والأدوات الجديدة للمـسـاعـدة في تنصـيـر المسلمين . الغـذاء والصـحـة [٥] كعناصر في تنصـيـر المسلمين ، مـدخل المسـيحـيين الى المرأة المسلمة والأسـرة المسلمة وأخـيرا .. الوصـول الى مالا يتصور الوصول اليه .

هذا جانب من العناوين الرئيسية أما التقديم والتقريظ فقد جاء على الصفحات (٥ - ٨) .وعنه نترجـم مايلـي :

هناك مـؤتمـرات تلتـئم ، تناقش ، تصـدر قـراراتهـا . ثم تنفض . وهناك مـؤتمـرات أخـرى تغـير مجرى التاريخ . ومؤتمر أمـيـريكي شـمـال امريكا . مؤتمر كلورادو لتنصـير المسلمين الذي عقد عام ١٩٧٨م قد أصـبح واحدا بين هـذه المؤتمـرات التي تغير التاريـخ .

لقد ترك مؤتمـر جلين ايري بصمـاته واضحة على شكل وتوجه التنصير على مستوى العالم جاء المشـاركون فيـه من دول كثيـرة ، وتقاليـد كنسـيـة متعددة ، وخلفيات فكـرية متنوعـة .. وخبرات غنيـة اجتـمـعوا مـعا من أجل هـدف واحد هو ايصـال رسـالة المسيح لاتبـاع الاسـلام البـالغ عـددهم ٧٢٠ مليـونا (اليـوم يتـجـاوز عـدد المسلمين ألف مليـون مسـلم) .

لقد أوضحت أوراق المؤتمـر الأسـاسـيـة كمـا كرس المتـحـدثون ولجـان العمل وتقـرير المؤتمـر الجهـــود لوصـف احتياجات المسـلمين .. وتأكيد فشـل الكنيسة في القيام بمهمتها في

---

٤ - تحت كل واحد من هـذه العنـاوين قدمت أمام المؤتمـر دراسـة قائمـة بذاتها أعـدها متخصصـون يمارسـون العمل التنصـيري ميدانيا ويمكن الاطلاع عليها في الكتـاب المذكـور .

٥ - المقصـود هنا توجيـه عمليات الأغاثـة الغذائيـة والطبيـة لخدمة التنصـير .

السـابق (٦) وتضييع الفرصة الثمينة .

المتـاحة حـاليـا للتنصـيـر . اذ المعـروف أن العـالم الاسـلامي يمـر حـاليـا بمرحـلة تمـزق اجتمـاعي وسياسي . والقلـوب والعقـول مهيـأة بين المسلمين للتنصـير . والفرصـة متاحة للوصــول . فـعلى الكنيسـة أن تتـخلى عـن الأسـاليب غـيـر الفـعـالة .. وتبـحث عـن طـرق ملائمـة ثقـافيا لتقديم رسـالة المسـيح بأسـلوب فعـال للمسلمين .

يجب أن يصل الانجـيل الى مـئـات الالآف من المسلمين .. وعلى بعـثـات التنصـيـر والمنصـرين ان يتحسـروا ويتوبوا لافتقارهم للحساسية اللازمـة .. وعـن لامبالاتهم .. وعن عـدم رغبتهـم في كسـر قيـود التقاليد العقيمة التي تحـول دون واجبهـم .

ويؤكـد المؤتمـرون أن الكنائس الوطنيـة [٧] وسـط المسلمين مطالبـة بالخروج من عزلتهـا . واقتـحام ثقافاتها المحلية بزخم جـديد .. وعلى المواطنين المسيحيين هنا وبعثات التنصـير أن يعمـلوا معا وبروح صـادقة مكمـلة لبعضها البعـض .

حاليا يجري التخطيط لإنشـاء معهد تدريب ومركـز أبحـاث للمسـاعدة في تنسيق الجهـود وتبادل المعلومات .. لقد سمى المعهد باسـم صمـويل زويمـر [٨] .

لقـد اقـتـرح المؤتمـر تكليف المزيد من لجان العـمـل لاستكشـاف وتقـصـي القـضـايا الدينيـة ذات الصـلة بتنصـير المسلمين . والعمـل على نشـر دراسات تسـاعـد المسيحيين القائمين على اداء هذه المهمـة ميدانيا . وقد جاء في تقديم الكتـاب أنه تم بالفعل وضـع برامج ستشجع على التدريب وتطـوير الكنيسـة ودورها بين المسلمين في جميع القارات بما في ذلك شـمال أمـريكا .

---

٦ - هـذا من بـاب المحاسـبة الذاتيـة . كالمؤتمـر بنـاء على هـذا الاعـتـراف أوصـي بالتخـلي عن أسـاليب التنصـيـر القديمة واتبـاع الأسـاليب الجديدة التي أوصى بها .

٧ - الكنائس الوطنية يقصد بها هنا الكنائس المقامة أو التي تقام في بلاد المسلمين ولها مريدون من مواطني البلد .

٨ - صمويل زويمر رائد عـمليات التنصير في بلاد المسلمين . نظم ورأس مؤتمر القاهرة عام ١٩٠٦م أول مؤتمر لتنصير المسلمين ثم عقد عام ١٩٣٥م في القدس مؤتمر المنصرين العاملين في الدول العربية .

ثم خلصت المقدمة الى القول :

لقد حان الوقت من أجل القيام بعمل مكثف وجاد .. ومن أجل مزيد من الالتزام والسخاء المالي في دعم التنصير ٠

لقد حان الوقت لانقاذ العالم الاسلامي . فالحقل [٩] قد استوى للحصاد .. وراعي الحصاد ـ الرب ـ ينادي أين عمال الحصاد ؟ فينبغي على الكنيسة أن لاتتأخر أكثر مما تأخرت ٠ان التجارب أثبتت أن بعثات التنصير وسط المسلمين يجب أن لاتمارس عملها بطريقة ميكانيكية وانما تكون في شكل بعثة خدمات .

هذا المؤتمر هو خلاصة تجارب وضعت بين يدي العاملين في تنصير المسلمين لتصبح أداة عملية تساعدهم في حقل التنصير . لقد نبه المؤتمر الى الحاجة الملحة لإنشاء مركز رئيسي يكون بمثابة مركز الجهاز العصبي يتولى التدريب والبحث في مجال تنصير المسلمين .. وبالفعل بدأ تأسيس هذا المركز في معهد صمويل زويمر في جنوب كيلفورنيا ٠

اختتم المؤتمرون أعمالهم مؤكدين من جديد التزامهم بابلاغ ما أسموه رسالة المسيح الى الـ ٧٢٠ مليون مسلم الذين يشكلون عدد المسلمين في العالم ، مع إصرار جديد على تسخير جميع الموارد والعمل معا لتحقيق هذا الهدف ، واثقين من أن الكنائس الجديدة الملائمة ثقافيا يمكن انشاؤها في العالم الاسلامي من أجل المسلمين وبأيدي الذين يتم تنصيرهم ٠

٩ - اي بلاد المسلمين والمسلمين ٠

الصلبان ـ اشكالها ومعانيها

	شكل الصليب	معنـــــاه		شكل الصليب	معناه
١ـ		صـــــليب لاتينى	٢		صليب القديس انطونى
٣ـ		صلـــليب روســـى	٤		صليب اللورين
٥ـ		صليب شيخ الجليل	٦		صليب قديس اندرويو
٧ـ		صليب القديس جورج	٨		صليب الكنيسه الكاثوليكيه
٩ـ		صليب مالطـا	١٠		صليب أورشليم

١١ـ الصليب المعكوف ـ صليب يرمز الى الشر والى الحظ السعيد ..وهى تمثل شارة الحزب النازى الالمانى

١٢ـ ١٣ـ ١٤ـ ١٥ـ

١٦ـ ١٧ـ ١٨ـ ١٩ـ

٢٠ـ ٢١ـ ٢٢ـ ٢٣ـ

الصلبان من (١٢ـ ٢٣) توضع على صدر بعض الاشخاص .. مثل حكم فى مباراة أو مرسول بين الزعماء خصوصا فى الحـــرب ومسئول عن ابتكار أو وضع شعارات النباله أو رسول رسمى أو بشير أو نذير . وتتفشى بين كثيرين من شباب المسلمين كموضة .

ترجمة تقرير المؤتمر (*)

في منتصف شهر أكتوبر من عام ١٩٧٨م عقدت في مدينة جلين ايري من ولاية كلورادو الأمريكية مشاورات استمرت اسبوعا كاملا . كان هدفها استكشاف وبلورة مسئوليات مسيحيي أمريكا الشمالية ـ الولايات المتحدة الامريكية وكندا ـ تجاه العالم الاسلامي . كان هذا جزءا من عمل دؤوب متصل بدأ في المؤتمر العالمي لتنصير العالم والذي عقد في لوزان عام ١٩٧٤م .

في لوزان قطع الذين اجتمعوا هناك عهدا مقدسا مع الرب ومع أنفسهم تعاهدوا فيه على أن يصلوا ويخططوا ويعملوا معا من أجل تنصير العالم .. وضعوا نصب أعينهم شعار (دعوا الأرض تسمع صوته) وركزوا على أوليك الذين لم يتم الوصول اليهم بعد .. وكان لدى أغلب المشاركين في المؤتمر اهتماما خاصاً بالعمل وسط المسلمين تلك الكتلة الكبيرة التي لم نصلها بعد .

بعد ذلك المؤتمر عقد مؤتمران صعدا هذا الاهتمام لتنصير الذين لم يتم الوصول اليهم بعد .. فمشاورات بسادينا عام ١٩٧٧م ركزت على ذلك التنوع القائم بين الثقافات والبشر الذين يشكلون الجنس البشري .. وقد بذل المشاركون جهدا مضنياً ليربطوا بين هذه الحقيقة وبين عمل البعثات التنصيرية على مستوى العالم .

وفي مؤتمر ويلوبانك عام ١٩٧٨م اجتمع المشاركون ليناقشوا بتعمق العلاقة التبادلية بين انجيل يسوع المسيح وبين الثقافة .

على هذه الأرضية اذن بني مؤتمر أمريكا الشمالية لتنصير المسلمين حتى يتم التركيز على الجانب العملي لايصال رسالة التنصير الى المسلمين .. وعلى دراسة وتقصي دلالات الانجيل الواسعة الانتشار في ثقافاتهم الاسلامية .

لقد كانت الأيام التي أمضيناها في جلين ايري مشحونة بالعمل .. وتوالت الجلسات متتالية في اصرار لايلين .. وهذا التقرير ليس بيانا رسميا . ولاهـو باعلان . ولكنه

* هذه ترجمة موجزة لتقرير المؤتمر ص ٣٨ - ٥٧ من كتاب الانجيل والإسلام ق في نهاية الكتاب .

ميثاق قطعناه على أنفسنا . ولهذا لم يوقع عليه أي منا .. غير أننا قمنا بتوزيعه على نطاق واسع .. وطلبنا الى اخواننا المسيحيين في كل بقاع العالم أن ينكبوا على دراسته .. كما ذكرناهم أن الرب سيلتقي بشعبه فقط عندما يكرسون أنفسهم للقيام بمهمة تنصير المسلمين التي لم تكتمل بعد .

الذين دعو للاشتراك في هذا المؤتمر نخبة مختارة يمثلون تقاليد كنسية واسعة لهم تجربتهم وخبراتهم في عمل البعثات التنصيرية .. ونالوا تدريبا متخصصا .. ويتميزون بالتزام قوى نحو القيام بمهمة التنصير .. وجميعهم مهتمون بتنصير المسلمين فهم يمثلون وظائف وتخصصات متنوعة بينهم اداريو بعثات تنصير . ومنصرون ميدانيون .واساتذة في حقل التنصير ، ومتخصصون في الاسلاميات . وعلماء اجتماع . ولاهوتيون وخبراء اعلام . إضافة لهذه التخصصات دعا المؤتمرون عددا من الرجال والنساء الذين يعملون في كنائس الشرق الأوسط وافريقيا وآسيا .. وهم ايضا يمثلون وظائف وتخصصات متنوعة وقسس ولاهوتيين ومختصين في الاسلاميات . بل بينهم أشخاص من العامة ، ولكنهم يقومون بدور تنصيري نشط وسط المسلمين .

خلال الستة اشهر التي سبقت المؤتمر تم اعداد اربعين ورقة عمل اساسية .. اعدها كتاب مختارون بعناية ليحيطوا المؤتمرين علما بمدى خطورة القضايا المتعلقة بالموضوع المطروح امامهم .

تناولت عشر ورقات عمل الجوانب الفكرية كقضايا الانجيل والثقافة ، الاتصال الثقافي المزدوج الذي يوفر الانجيل للمسلمين ... توضيح مفاهيم تجسيد المسيح للمسلمين .. المسلم المنصر (بفتح النون والصاد) وصلته بثقافته .. الكنائس في المجتمع المسلم ، الصعوبات التي يواجهها المسلم الذي يتم تنصيره .. اساليب لاهوتية جديده في تنصير المسلمين ، دراسة تحليلية لرفض وقبول التنصير عند المسلمين .وتناولت ستة عشر ورقه بالوصف أمثلة مختاره للمواجهة بين المسيحيين والاسلام .. في وقتنا الحالي ، الفكر الديني الاسلامي من حيث مداه ، والجسور الموصلة اليه .. اسلام العامه ، جوع القلب ، الوضع المقارن للمسيحية والاسلام في الغرب ، وفي افريقيا جنوب الصحراء ، وفي شمال

افريقيا ، وفي كل من الشرق الاوسط وفي تركيا وفي ايران وفي شبه القارة الهندية وفي شـرق اسيا وفي كل من الصين وروسـيا .

وقـد غطت تسع ورقـات عـمل خـصص كل منهـا لموضـوع منفصل من الموضـوعـات التـاليـة : الوضع الحـالي لادبيـات المسـيحـيـة لدى المسلمين ، الوضع الراهن لتـرجـمـات الانجـيل الى لغـات المسلمين ، الوضع الحـالي للبـث الاذاعي الموجـه للمـسـلمين ، نظرة شامـلة لاداء بعثات التنصيـر وسط المسلمين ، قـائمـة منتقـاه باسـمـاء عدد من المسلمين الذين تم تنصيرهم ويعملون في ميـدان التنصـيـر .

امـا الاربع عشرة ورقـه الاخيـره فـقـد تناولت الادوات والوسـائل كـالدعـوة للتـجـديد الروحي !! تطوير أدوات جديده تساعد في تنصير المسلمين ، اساليب ومستويات واماكن وبرامج التدريب ، بناء شبكة مركز ابحاث لمنهجيات التخطيط كيفـيـة اقامة مجمعات التنصيـر في البلدان الاسـلامـيـة ، الحاجة الى اقـامـة دائرة تنصيـر مـركـزية في امـريكا الشمـالية تتولى مهمة التوجيه ، استخدام الحوار كوسيلة مطوره لخدمة التنصير ، صلات امـريكا الشـمـاليـة ببـعـثـات التنصيـر بين المسلمين في دول العـالم الثـالث .. الحاجـة الى جـريدة جـديده عن بعثات التنصير وسـط المسلمين ... الغذاء والدواء كأدوات في تنصير المسلمين ، دور الكنائس المحلية في بـلاد المسلمين في تنفيـذ الخطه (يعني هذا البـرنامج الذي وضـعـوه) لتـخليص العـالم الاسـلامي من الاسـلام . المدخل الامـثل الذي يمكن للمسيحيين ان يسـلكوه لتنصير كل من المـرأة والاسـرة في العـالم الاسلامي .

لم يدرس المؤتمرون هذه الاوراق المطروحـة امـامـهم فـقط بل طلب اليـهم ان يخـرجـوا بتوصيات مكتوبة حول الاوراق العشر الاساسية المتعلقة بقضيـة المفاهيم الهيكلية .على الجلسـة الاولى خيم جو تـلك الحقيقة المؤلمة .. اذ اثار الافتتاح السـؤال الذي يؤرق الجميع وهو لماذا لم يتم التنصير في العالم الاسـلامي بمستوى افضل ؟؟؟

تفـاعل السـؤال وغـاص الى اعـمـاق اكـثـر .. وطرحـت اسـئلة اضـافـيـة ... ذات صـله بالموضـوع منهـا لماذا لـم يشـتـرك في هـذا العـمـل سـوى ٢ ٪ فـقـط من بعـثـات بروتسـتانتي امريكا الشمالية العامله في مجال التنصير ؟؟؟

لماذا فهمهم للثقافة الاسـلامية وللاسـلام محدود ؟ لماذا هم مصرون طـوال هـذه المده على اسـتخدام اساليب غير مؤثـرة في توصيل رسـاله الانجيل للمسلمين ؟

هـذه الاسـئلة اضيفت اليـها اسـئلة اخرى مع تقدم جلسـات المؤتمـر .. لقد كنا كلما اسـتمعنا اكـثر لبعضنا البعض خـلال الجلسـات وخاصـة لحديث اولئك الذين وفقهم الرب واسـتطاعوا الوصـول الى المسلمين . ودعوتهم الى المسيحية ... شـعرنا بان علينا ان نعبر صـراحـة في هـذا التـقـرير عن احسـاسنا بالندم والتـقـصـيـر . لقـد فـشلنا نحن ابناء أمـريـكا الشـمـاليـة في نواح كـثـيرة .. وفشلنا الشـخـصي هـو انعكاس للمآسي الكبرى التي تعـانيها الكنيسـة المسـيحيـة . ان المسـيحيين في الغـرب وفي الشـرق على السـواء اضمروا وكرسـوا عـبر القـرون نـوعـا من الكراهيـة والبغض تجـاه المسلمين . وقـد عـبروا عن ذلك بشـكل واسـع باهمـالهم تكليف الـرب لهـم أن يتقـاسـمـوا تعـاليم المسـيح مع المسـلمين .

كم هـو مؤلم لنا في هـذه السـاعـة المتأخـرة من تاريخ الكنيسـة أن لاتوجد سـوى مجموعات قليلة بين المسلمين يعتقدون في يسـوع المسيح وسـط هـذا الحشـد الهائـل من البشـر الذين لايوجـد عـائق يمنع من الوصـول اليهم . انهـا غلطتنا .. نحـن المسـيحيين لم نحب المسلمين كـمـا ينبغي ، ولم نبذل سـوى جهـود ضئلة لنرى المسلمين أناسـا مثلنا تمامـا .. انهم يستـحـقـون اقـامـة وجود مـسـيـحي في وسـطهم .. هذا الوجـود لا يكـون مـؤقـتـا ولاجبانا . بل من ذلك النوع المشـبع بعقـيدة طمـوحة . ويعتمد عليهـا .. وهذا يتطلب منا بذل أكـثـر مما نحن راغبـون في اعطائه .. ثم ان بعـثـاتنا التنصـيـرية من شـمـال أمريـكا مازالت تمارس عملها بطريقة ليست مؤثرة ثقافيا . وغيـر مخططة مما يجعلها قـاصـرة عن الوجـود المسيحي المطلـوب وسـط المجتمع المسـلم .

أحـد الجـوانب التي ينبغي أن نوليـهـا اهتـمـامنـا . هي تنمـيـة ادراك جـديد لطبـيـعـة العقـيدة الاسـلامـيـة .. فالمسلمين على قناعـة بأن حكم الله ماض على كل دقـائق الحيـاة في مجتمعاتهم ،نحن نصـارى شـ-مال أمريـكا اكتشـفنا أننا ننشـر دعـوة تنصـير مبتـورة . وعلى الطريقة الغربيـة . كمـا أنها ليسـت منصفة لما جـاء به الوحـي الانجيلي .. ولهـذا

فان دعوتنا تسفه عندما نعرضها في العالم الاسلامي . ونحن كانجيليين ظللنا نرفض أن تشمل مهمتنا تطوير علاقات أفضل بين المسيحيين والمسلمين . اتجهنا منذ اللحظات الأولى للمؤتمر الى بحث كافة جوانب العالم الاسلامي من حيث امتداده وحجمه .تنوع شعوبه وأوجه عقيدتهم الدينية المتعددة وممارستها .. وفي نفس الوقت بدأنا نضع موضع التنفيذ العملية التخطيطية التي رأى المؤتمرون أنها أساسية لأضفاء المعنى الروحي للمؤتمر على عملنا وقد تضمن أحد الشعارات التي رفعت (كثفوا جهودكم وخططو من أجل تحول هائل يشمل ملايين المسلمين نحو المسيح) لقد شعر الجميع أن علينا أن نقف وقفة محاسبة حاسمة مع الماضي .. وذكرنا في هذا الاطار بمؤتمر القاهرة الذي عقده ذلك المنصر الأمريكي العظيم .. رجل الدولة صمويل زويمر عام ١٩٠٦م فقد تنادي اليه ٦٠ ممثلا من ثلاثين كنيسة وبعثة تنصيرية ووضع حجر الأساس لمرحلة جديدة في عمل البعثات التنصيرية بين المسلمين وقد اتبع زويمر هذا بمؤتمر مماثل عقده في للكو عام ١٩١١م .

وبالرغم من أن تغيرات كبيرة حدثت في العالم الاسلامي بعد ذلك التاريخ لصالحنا شعرنا أن دفعة جديدة الى الأمام تنتظر منا القيام بها ، ان الكنيسة في أمريكا الشمالية لاتلم سوى بمعرفة شحيحة ومحدودة عن الاسلام والمسلمين .. وأداؤها التنصيري في العالم الاسلامي في أفضل حالاته عمل هامشي . اضافة الى ذلك تهيمن عليه رؤية منهجية تحتاج الى اعادة نظر فاحصة .

والحاجة الآن ماسة الى ابتكار مداخل جديدة ضمن برامج تدريب بعثات التنصير المرسلة من أمريكا الشمالية ، وهناك حاجة ايضا الى اسلوب جديد في التعامل المتبادل بين العاملين في بعثات التنصير الغربية واخوانهم واخواتهم من العاملين في العالم الاسلامي . والحق يقال أنه لهذا السبب بالذات تمت دعوة كثيرين من الذين تم تنصيرهم من المسلمين ومن زعماء الكنائس الوطنية في الشرق الأوسط وافريقيا وآسيا ليشارك في جميع ورش العمل وفي كل جلسات النقاش والتخطيط .

أما المشاركون في المؤتمر من أمريكا الشمالية فقد طلب اليهم أن يرهفوا السمع الى

اولئك القادمين من مواقع العمل .كما أبلغوا أن لايقدموا على أي تخطيط بمبادرة منهم .

هؤلاء الرجال والنساء الانجيليون الذين هم مفاتيحنا للعالم الاسلامي . والقادمون من الشرق الأوسط وآسيا وافريقيا . منهمكون بشكل عميق ومثمر في حقل تنصير المسلمين ، وفي المؤتمر طلب منهم زملاؤهم الغربيون القيام بمهمة محددة . فقد قالوا لهم ساعدونا في أن نعرف كيف نعمل معا .. أصبروا على الذين يتعلمون ببطء بيننا .. وفوق كل هذا ساعدونا في أن نرى عالم الرب عبر عيونكم التي هي شديدة التفرد والاختلاف عن عيوننا .

المنصرون الغربيون من النساء والرجال خاطبوا المؤتمرين بكلمات موجزة . وهم ايضا من الذين يقومون بعمل تنصيري مثمر بين المسلمين .. والملاحظة التي انتبه اليها الجميع كانت هي حرصهم على العمل من خلال المسيرة على التخلص من الأساليب العتيقة البالية التي دربوا عليها .. واعادة النظر فيما ينبغي أن يفعلوه على أسس جديدة .

لقد تكشف لنا مدى حماقة تفكير الأمريكيين الشماليين العاملين في التنصير .. والذين كانوا يعتقدون أنهم يستطيعون النهوض بالمهمة بمفردهم .. وهذا نبهنا الى الامكانيات المذهلة التي كانت غائبة عنا للوصول لرؤي جديدة بشأن بعثات تنصير المسلمين .. هذه الامكانيات يتيحها خلق فرص تعاون مزدوج بين المسيحيين الشرقيين والغربيين .. فدلالات ذلك بعيدة المدى .

لقد وجد أحد المنصرين في لبنان مثلا أنه بحاجة لتلقي ارشادات من استاذ عربي عن الكيفية التي يستطيع بها تفادي الطريقة الاعتذارية العقيمة التي كانت سائدة في الماضي . واستبدالها بطريقته التنصيريةالجديدة من خلال القرآن والانجيل على السواء .

في باكستان تمكنت مبعوثة نصرانية بعد أن كافحت بنجاح لعدة سنين من حقن يسوعها (الغربي) في الثقافة الاسلامية هناك . وكان ذلك بمساعدة أصدقاء مسلمين مكنوها من الدخول الى تلك الثقافة بطريقة سلسة ومع الزمن اكتشفت يسوعا شرقيا قادرا أكثر مما كانت تتوقع على تلبية متطلباتهم . وهكذا تحول فريق

من امرأتين بعد تـرو ومثابـرة من طريقة تقليدية عقيمة لتتبعها خطـوة بخطوة تطبيق تلك الفرضـيـة القـائلة بأن (النســاء هــن المفـتـاح) لبث رسـالة التنصـيـر بين المسلمين . وهو الشئ الذي لم يكن متوقعا في الماضـي .

لقد تمخض جهـدها عن نتـيـجة هامـة هي زراعـة بـذرة الانجيل عـمـيـقـا وبشـكـل واسـع . وسـط مجتمع ريفـي لم يسـبق تنصـيره في باكسـتان .

أمـا في الهـنـد فـإن التـشـاور بين أحـد زعـمـاء الكنيـسـة ، وبين منصـر عـالي التدريب أصبح ضــرورة ملحـة حتى يجعله يغير طريقته التي يتبعها والمتمثلة في التأثير عن طريق الصـداقة ليستبدلها بالتنصير عن طريق الصـداقة .

عقيدتنا تتعرض اليوم لمواجهة حـادة ، فكل الشهادات تؤكد أن قلـوب المسلمين هذه الأيام عــامـرة بالايمان ، فــســواء في ايران أو تونس ، وفي اسـرائيل أو مــصــر ، وفي ســوريا وبنغلاديش وأندونيسيا في نشـاط متصـاعد .

ان التـنـصـيـر الفـعـال بين المسلمين لا يمكن أن يتم الا من خـلال الاحـتـرام المتـواضـع للثقافات الاسلامـية . ومن خلال العمل على اتقان توظيف تلك المفاتيح المتاحة للمسلمين المتنصـرين وعـبـر اعـتـمـاد أسـلوب للاتصـال المزدوج ، والتـعـاون المتبـادل اليـقـظ بين المسيحيين أبناء البلدان الاسلامية والمنصرين الغربيين .

لقد مـضت تلك الأيام التي كـان المنصرون الغربيـون يعـتـقـدون فـيـهـا أنهم يسـتـطيعون القيام بمفردهم بالمهمة .. ففي « جلين ايري » عقدنا العزم كما لم يكن في أي وقت مضى على أن نسـتفيد أقصى ما يمكن من الفرص المتوفرة لنا . وأن ننمـي شعوراً بحـب أداء المسـئوليـة بين كل ابناء العـقـيـدة خاصـة بين جـمـيـع المسـيـحـيين والكنائـــس في العـالم الاسلامي .

ان الشــعـور الذي تملكنا هو ان مـؤتمر لـوزان ١٩٧٤م حـملنا مــســئـوليـة التـفـكيـر بطريقـة استراتيجية لايجاد الطريقة الناجحة لتنصير العالم الاسـلامي .

في المؤتمر خـصص الجزء الأكـبـر من ثلاثة أيام للبحث في تـطوير طريقـة يتم اتبـاعـهـا في التـخطيط الاسـتـراتيـجي . ثم تطبـيق تلك الطريقة على سلسلة من الحالات المحدودة .

وبالنسبة للعملية التخطيطية التي اعتمدناها وأوصينا أن تأخذ بها الكنيسة على نطاق واسع راينا أن تحظى الجوانب الأساسية التالية بالاهتمام .

- تحديد فلسفة وسياسات وأغراض البعثة التنصيرية والافتراضات المحتملة مسبقا .
- أن يعد وصف دقيق لحالة المكان الذي سيمارس فيه العمل الميداني . أي دراسة أوليك الناس الذين سنعمل وسطهم ، كمعرفة المتطلبات الأساسية لهؤلاء الناس الذين نريد تنصيرهم .
- تحديد دور البعثة التنصيرية من حيث امكانياتها ، وأوجه القصور المتعلقة بها .
- أن نضع أمام أعيننا أهدافا واضحة . أي خطط عمل تقوم البعثة التنصيرية بتنفيذها وفق جدول وأولويات .
- أن نوضح بالتفصيل العقبات التي قد تعترضنا باستقراء كل الاحتمالات التي تمنع تنفيذ الأهداف كأن نعرف المشاكل التي يمكن أن نتوقع حدوثها ونستعد لها مسبقا .
- تحديد الوسائل والطرق التي ينبغي اتباعها من أجل الوصول الى أولئك الناس .
- تقييم الموارد المتوفرة حاليا لدينا (العنصر البشري والتسهيلات المتاحة .....الخ) .

ورصد الموارد الاضافية التي سنحتاج اليها لاكمال المهمة .. ماذا لدينا والى ماذا سنحتاج ؟ واضعين كل ذلك في الاعتبار فان تقييما سيتم من وقت لآخر للعمل والانضباط اضافة الى تعديل وتحديث الخطط كلما استدعى الأمر وغني عن القول ان مباشرتنا عن كثب لهذا العمل اقنعتنا بأنه ليس هناك مدخل نمطي معين يمكن اتباعه لتنصير المسلمين .

فكل حالة لابد من معالجتها على انها حالة قائمة بذاتها . . والشئ الوحيد الذي ينبغي أن نتجنب الوقوع فيه هو العمل الفردي والازدواجية التي لاضرورة لها . وهذا ما استنكره مؤتمر لوزان عام ١٩٧٤م .

لم تكن كل البعثات التنصيرية الى بلاد المسلمين تتمتع بالحكمة والتقى والنبل وحب الآخرين . فقد عمل البعض على تشويه وتحريف القرآن الكريم ومنزلة محمد الدينية والسخرية منها . وأدى ذلك الى وضع البعثات التنصيرية في العالم الاسلامي

في موقف دفاعي ضعيف طيلة سنين الهيمنة السياسية الغربية الطويلة . بل لهذا السبب كانت تلك البعثات غير مكترثة ولم تحاول تخفيف سوء الفهم وعدم الثقة اللتين عمقتهما التوترات والمنافسات القديمة . واعطيت البعثات التنصيرية وسط المسلمين انطباعا بأنها تفتقر للاهتمام بتردي القيم المسيحية في العالم المسيحي في نفس الوقت الذي تشجع فيه علنا الاتجاهات العلمانية في العالم الاسلامي بالطبع نحن لم نغفل عن تلك الحقيقة المؤلمة المتمثلة في (قانون الردة) ومايشكله من عوائق ومخاطر لأولئك الذين يقبلون على المسيحية (أي يرتدون عن الاسلام) في ديار المسلمين ، وحتى هذه الفترة المتأخرة من تاريخ العلاقات بين المسلمين والمسيحيين . لم تخل التقارير الواردة من وقت لآخر من ايراد حالات للعزل القاسي والكراهية المجتمعية وممارسة العنف ضد الأشخاص والمباني ومعاناة المقهورين الذين يتحولون للمسيحية . وفي احدى ورش العمل طرح السؤال التالي : كيف يستطيع الذين نصروا من المسلمين الصمود أمام احتمالات الاضطهاد الخطيرة التي سيتعرضون لها . والتي قد تصل الى حد طردهم من وطنهم وحرمانهم من وسائل كسب عيشهم ؟ لقد طرحت كل انواع الاقتراحات في الرد على هذا السؤال لكن ساد الصمت عندما جاءت الإجابة من أحد الذين تم تنصيرهم من المسلمين . فقد ذكرنا بنصيحة بولس الرسول القائل (لا ينبغي أن يتزحزح أحدكم عن عقيدته بسبب هذا الألم والإبتلاء . . فأنتم أنفسكم تعرفون أن ذلك هو قدرنا وقسمتنا ، فالي مملكة الرب ندخل عبر بوابات المحن والإبتلاء) .

إنتهى المؤتمر ولم ينته بحث أجندة القضايا المطروحة ، فمع تقدم أيام المؤتمر وجدت مجموعات النقاش وورش العمل أنها أشد احساسا بوطأة المستقبل ورغبة في مواجهته ، وفيما هم يتمثلون ذلك برزت قضايا كثيرة الى السطح كلها بحاجة إلى الاستقصاء ، وأطلت اسئلة قديمة بحاجة الى اجابات جديدة ، الى الأعمال الكثيرة والمتنوعة التي لابد من النهوض بها اذا كانت الكنيسة راغبة فعلا في تنصير العالم الاسلامي . ولحسن الحظ انتبه المؤتمرون الى هذه الاشكالية . ورتبوا جلسات المؤتمر بطريقة تشجع

عملية الانتقال الى قضايا عمليـة .

لقد خصص المؤتمـر أكثر من يوم كامل لكشف وتحديد دقـائق تـلك الأجنـدة التي لم تنته ولمعالجة الأمـر قسـم المؤتمرون وفقا لتخصصاتهم . بحيث تجتمع كل مجموعة منفصلة . وتضم مسـتـشارين من وراء البحـار يلتـقون مع المشـتـركين من أمـريكا الشـمـاليـة . سـواء كانوا لاهوتيين أو منصرين أو علمـاء اجتماع أو خبراء اتصال أو اسـاتذة متـخـصـصين في عمل بعثات التنصير أو اخصائيين في الاسلاميات أو مدراء بعثات تنصـير .

كل مجموعة عمل طلب اليها أن توجه السـؤال التـالي لنفسـهـا :

ماهـي المسـاهمة المحـددة التي يمكن وينبغي أن نقـدمها للاسـراع بتنصـير المسلمين ؟

ثم تحاول الإجابة عليه ، لقد حددت أكثر من ثلاثين مهمة أسـاسية وفرعيـة وصنفت على انها بحاجة لاهتمـام عـاجــل .

ان هذا التقـرير الموجه (التـقرير من عـشرين صفحة) لا يمكنه أن يوضح بالتـفـصيل العمل الـكبير الذي أنجزته لجان العمـل السـت . مع التـأكـيد على أن الحاجة مـاسـة في الأيام القـادمـة لحلقة تتسع باسـتـمرار من المسيحـيين الحريصين على العمـل ، اذا كـانت الكنيسـة سـتـواصـل دورها لإكـمـال مهـمـة تنصـير العـالم الإسـلامي ، نـورد فيـمـا يـلي تلخيصـا للنقـاط الأسـاسـية :ـ

- <u>حقـوق الإنســان</u> : هناك حاجة ملحة لإنشـاء مكتب مسـيحي اسـلامي عـالمي لحقوق الإنسـان [٩] تكون مهـمـتـه تلقي الشـكاوي والتـحـقيق فـيـهـا وتقديم توصـيـاته ونصائحه للجهات المعنيـه .
- <u>مـركـز للمـوارد والأبحاث :</u> انطلاقا من الحاجة لتنمية اتصالات حيوية ودائمة بين كل العـاملين في حـقـل تنصـيـر المسلمين ، سنعـمل على إقـامـة مـركـز مـوارد وأبحـاث مـركـزي في الولايات المتحـدة الأمـريكيـة . تتبعـه كلما اسـتـدعت الحـاجة

٩ - مثل هذه المكاتب وورش العمل ومؤتمرات الحوار بين الأديان جميعها مداخل نخطط لها سلفا للتأثير على المفكرين المسلمين والسلطات الرسمية في بلاد الاسلام.

اقامة مراكز اقليمية في كل المناطق الرئيسية في العالم الاسلامي .

هذا المركز سيقوم بتنظيمه وإدارته مختص في شئون التنصير ، ذو خبرة عالية ، يعاونه باحثون من مختلف حقول التقاليد الكنسية ويكونون متدربين في حقول دراسات والإسلاميات . كما يتولى المركز تجنيد مستشارين يقومون بزيارة وخدمة الكنائس المقامة في العالم الإسلامي . بالإضافة الى جمع المعلومات الأساسية ذات الأهمية القصوى عن الموقع المستهدف والشخصية الاسلامية ، وعدد الجماعات والطرق الاسلامية ، واعداد رسم بياني نفسي يبين القوة النسبية لمختلف سجايا الشخصية الاسلامية وصفاتها . وسمات المسلمين حسب توزيعهم الجغرافي وسيزود أرشيف المركز بمختلف وسائل الإتصال .

ولما كنا ندرك مدى الحاجة الى كمية هائلة من المعلومات عن المسلمين الذين لم يتم تنصيرهم بعد . فنرى أن يشكل هذا المركز مجمعا للأبحاث لينسق تجميع البيانات الضرورية . سيتولى توثيق الاتصال مع جميع وكالات الأبحاث على مستوى العالم . لينمي علاقات عمل مع البعثات التنصيرية العاملة وسط المسلمين .

لما كان معروفا أن أكبر قوة لم يستفد منها في التنصير بين المسلمين هي طائفة المسيحيين المنتشرة عبر بلاد المسلمين ، فسنعمل على تركيز اهتمامنا على كل الكنائس القائمة حاليا . بتدريب وتحفيز جميع القسس العاملين فيها ، والأفراد العاديين ليكونوا أكثر انتباها وادراكا لدور الاسلام .

وسنعطي اهتماما خاصا لاستخدام الأفكار والمفاهيم القرآنية ذات الصلة خلال المراحل الأولى في عملية التنصير .

نقترح هنا مع الوضع في الإعتبار أهمية الاستمرار في توصيل رسالة المسيح ، عبر أساليب الاتصال المستخدمة حاليا في المجتمعات الاسلامية ، أن يتولى مركز الأبحاث تحفيز الأعمال البحثية المكثفة داخل عينات استراتيجية منتقاه في العالم الاسلامي ، بهدف تطوير أساليب ومواد مناسبة الى جانب ارشادات التدريب .

أما في حالة العمل وسط غير المتعلمين . فبالامكان تمكين الشعراء والمنشدين والمغنين

منهم من ترديد ونقل القصص الواردة في الأنجيل . بطريقة تساهم في التمهيد لتعليم الناس القراءة [١٠]

وفي حالة النساء والأطفال فلابد من الاتجاه لدراسة الأدوار التي يقومون بها على مختلف المستويات داخل المجتمعات المسلمة .

وينبغي الانتباه هنا الى مراعاة واحترام قواعد العفه ، والفصل بين الجنسين في المناطق التي يسود فيها هذا التقليد . والاستفادة من هذا الوضع بالعمل على اعداد نشاطات ذات معنى تجذب النساء اللاتي تمت تربيتهن على البقاء داخل البيوت .

ايضا يمكن العمل من خلال أولئك النساء المعروفات في مجتمعهن كشخصيات اجتماعية بارزة أو كقيادات دينية . مع تقديم بدائل مسيحية أكثر بريقا وجذبا تحل محل تلك المؤثرات الشيطانية [١١] التي تسيطر على النساء وتقيدهن في المجتمعات الاسلامية .

زرع الكنائس : ان الذين يعملون في مجال تنصير المسلمين يستطيعون أن يقوموا بأكثر من بذر البذور . ونعتقد أنهم سيتولون ايضا زراعة الكنائس في العالم الاسلامي . وتغيير السلوك السائد . ان هذه الكنائس المشتغلة بتنصير المسلمين ستتولى معالجة مايتعرضون له من مضايقات من قبل مجتمعهم بسبب دخولهم النصرانية .

وعلى كل حال سنعمل على تطوير كنائس من نوع خاص للمسلمين المنصَّرين في الأماكن التي توجد فيها مقاومة أو رفض لاشتراك المسيحيين غير المحليين في عملية التنصير [١٢] .

هذه المجمعات (الكنائس الخاصة) ستشجع على تطوير أشكال ملائمة ثقافيا لممارسة الطقوس ، وستمكن المنصرين الجدد من اداء طقوسهم ، وتجنبهم اللجوء الى القيام بممارسات طقوسية توقيفية . واضعين في الاعتبار الوجود المتزايد للمسلمين في شمال

---

١٠ - اي استخدامهم كقنوات توصيل جماهيرية لتهيئة العقول للخروج على الاسلام والاستجابة للمنصرين .

١١ - التأثيرات الشيطانية هنا يقصد بها القيم والتقاليد الاسلامية .

١٢ - اقترح المؤتمر اسلوبا جديدا أطلق عليه الكنائس المنزلية House Church في المدن ومجتمع الخيام Communit - Tents في البادية لممارسة التنصير واداء شعائر النصرانية من خلالها في بلاد المسلمين التي تمنع بناء الكنائس على أراضيها .

أمريـكا وكندا والولايات المتحدة ، اقترحنا أن يقوم مركز البحوث باجراء دراسة متعمقة لاماكن انتشارهم ، واجراء دراسـة موسـعة وشامـلة لما تم القيـام به من عمـل تنصـيري بينهم علمـا بأن كل هـذا سيـؤخذ في الإعـتـبـار اثنـاء تخطيط الاسـتـراتيـجيـة اللازمـة لتنصـيرهم .

اننا لنصـلي من أجل قيـام كنائس للمنصـرين في المجتمعات الاسـلامية بـل اهتمامنـا يمتد لأن تكـون الكنائـس الأمـريكيـة على درجة عـاليـة من الوعـي لتـتـولى بنفـسـهـا هـذه المسـئولية وبطريقة مثمـرة وذات مغـزى .

انتهى بيان مؤتمر كلورادو . وليـس لدينـا تعليق سـوى أن نطلب من القـارئ اعـادة قـراءته . ثم التـأمـل فـيمـا يجـري حـوله ليـرى كـيـف أن هـذا البـيـان وضـع بحـذافيـره موضـع التنفيـذ .

CONFERENCE REPORT

نص تقرير مؤتمر كلوراد وعام ١٩٧٨م لتنصير المسلمين

Arthur F. Glasser

INTRODUCTION: THE BACKGROUND

During mid-October 1978 a week-long consultation was convened at Glen Eyrie, Colorado, to explore the responsibilities of North American Christians toward the Muslim World. This was part of a continuum that began with the International Congress on World Evangelization at Lausanne 1974. At that time many were deeply stirred by what God was doing in their midst, but were moved to penitence by their flawed and limited commitment to the missionary task. At Lausanne they entered into a solemn covenant with God and with each other to pray, to plan and to work together for the evangelization of the world. Their concern was: "Let the Earth Hear His Voice" and their focus was on "unreached people." Of particular interest to many of the participants was the large bloc of unreached Muslims.

Two subsequent conferences heightened this concert to reach the unreached. The Pasadena Consultation 1977 celebrated the diversity of peoples and cultures making up the human race. Its participants made particular effort to relate this reality to the worldwide missionary task. They were in deep agreement that Scripture supports the Christian witness that seeks to preserve cultural diversity for this will "honor God, respect man, enrich life and promote evangelization" (Par. 4).

Later, The Willowbank Consultation 1978 was convened to explore

in depth the interrelation of the Gospel of Jesus Christ and culture. Upon this sequence the North American Conference on Muslim Evangelization was built to focus on reaching these unreached Muslim peoples and to explore the wide range of implications of the Gospel in their Islamic cultures.

The days at Glen Eyrie were very full, and session followed session in relentless sequence. When a pattern began to emerge that seemed to indicate the overruling Providence of God in our midst, we began to prepare this report. It is neither an official statement nor a declaration, much less a covenant: so none of us has signed it. But we sent it out as reflecting the mood of the participants and indicating the highlights of what took place in our midst. We commend it to our fellow Christians throughout the world for study, and as a reminder that the Lord will truly meet with his people when they concern themselves with the unfinished task of evangelizing the Muslim world.

I. PRE-CONFERENCE PREPARATION: THE FERMENT

Those invited to participate were drawn from a wide range of church traditions, missionary experience, specialized training and evangelical commitment. All were concerned with Muslim evangelization. They represented a variety of roles and disciplines: mission executives, field missionaries, mission professors, Islamicists, anthropologists, theologians and media experts. In addition the conveners invited a sizeable number of men and women from churches in the Middle East, Asia and Africa. They too represented different roles and disciplines: pastors, theologians, Islamicists and active laymen.

During the six months prior to the conference, forty foundation papers were prepared by selected authors -- men and women -- to alert the participants to the complexity of issues related to the task before them. Ten papers were conceptual, in that they explored its major underlying postulates.

"The Gospel and Culture," Paul G. Hiebert

"The Cross-Cultural Communication of the Gospel to Muslims," Donald N. Larson

"The Incarnational Witness to the Muslim Heart," Bashir Abdol Massih

"The Muslim Convert and His Culture," Harvie M. Conn

"Dynamic Equivalence Churches in Muslim Society," Charles H. Kraft

خاتمـــة

من العـرض الذي تقـدم في فـصـول هـذا الكتـاب نخلـص إلى اربـع نتـائـج إسـاسـيـة وهـي :ـ

(١) أن الحكام في الدول الإسـلامـيـة مـازالوا يقـدمـون الدعـم والمسـاعـدة ـ عن جهـل او ضـعف ـ للمنصـرين ومـؤسـسـات التنصـيـر .

(٢) الحـرب القـادمـة ـ وقـد بدأت ـ ستـكون بين الاسـلام ومـؤسـسـات التنصـيـر بعد ان انهـارت الشـيـوعيـة .

(٣) المسـلمون في أفريقيـا لا يملكـون قـرارهـم .

(٤) الاسـلام في أفـريقيـا ينتشـر بالدفع الذاتـي ولا بد مـن الجهـد البشـري .

فـمن الملاحظات الغـريبـة التي لفـتت انتبـاهنا ونحـن نقـلب صـفـحـات تاريـخ الاسـلام في افـريقـيـا ، ذلك الدور الغـريـب الذي قـام بـه حكام امـارات شـرق افـريقـيـا المسلمـون في منتصف القـرن الثـامن عـشـر .لقد فتحوا تـلك المنطقة على مصـراعيـها للمنصـرين الذين تدفقـوا في تلك الفترة على افريقيا كمستكشفين ورحـالة ووكـلاء شـركات تجـاريـة .

ومثلمـا سـاعـد اولئك الحكام وبعض رعاياهم التـجـار البرتغـاليين الاوائل في الوصـول الى جنوب وشـرق اسـيـا عـبر رأس الرجـاء الصـالح سـاعـدوا هولاء المنصرين للدخول الى قلب القارة الافريقية الذي عمـر بالاسـلام اول ديـانه سـماوية تصـل اليهم .

وكمـا فعل المسيحيون الاوائل الذين جاءت طلائعهم تحت غطاء استكشاف الطـرق الملاحيه ، ثم طـردوا المسلمين من مـيدان التجاره البحـرية العالمية ، نظم احفادهم الذين تسـللوا الى داخـل افـريقـيـا حـروب التـصـفـيـة والابـاده والدسـائس للقـضـاء على الوجـود الاسـلامي وتشـويه صـورته ، وزرعوا بذرة المسيحية الاستعمارية على انقاضه .

الدكتور لودفيج كرايفا جاء الى شـرق افريقيا عـلى رأس بعـــثه تنصيرية ارسلتها جمعية

البيـوت التنصيـرية الالمانيـة . كرايفا هذا كـان اول منصـر يصـل الى المنطقـة بعـد أن خمد نشاط البرتغاليين التنصيري الذي تعقبوا فيه المسلمين وطردوهم من ميدان التجارة البحـرية العالميـة . وقضوا على قوة المسلمين الاقتصـادية .

وصل كـرايفـا الى زنجبـار في ١٨٤٤/١/٧م واسـتـقبله قنصـلا بريطانيـا والولايات المتحده الامـريكيـة وقـدمـه الاخيـر لسلطان زنجبـار المسـلم وكـان يدعى السيـد سـعيـد ، واخبـره ان مـهـمـة كـرايفـا هي تنصـيـر القـبائل الـوثنيـة في المنطقـة ، فـرحب بـه السـلطان بل اعطاه خطاب توصيـة موجهـا لجميـع رعاياه في العمـق الافريقـي وعلى السـاحل ليسـهلوا مهمته التنصـيرية ، وقد وصـف كرايفا بنفسـه الـواقعـه بقـوله (.. لا يمكن لاي منصـر ان يتوقع توصيـة احسـن من هـذه .. أو حتى مماثـلة لها .جروفر مؤلف كتاب زراعـة المسيحية في افريقيـا(Planting Christianity In Africa) أورد نـص هـذا الخطاب التـوصيـة ، وقـد جـاء فـيـه (.. هـذا خطـاب مكتـوب للتـوصيـة على الدكـتـور كـرايفـا الالماني فـهو رجـل طيب وقصـده ان يرشـد الناس لعبـادة الله - فـقابلوه بالـترحاب ولتقدم له كل خدمة يكون في حاجـة اليها في اي مكـان يحـل فيـه .) .

بناء على هـذا الخطاب الموجـه من رأس الدولـة قـويـل كـرايفـا بالتـرحـاب من الاهـالي والحكـام المسلمين في ممبسـا وغـيـرها من الامـارات والمدن الاسـلامـيـة في شـرق ووسـط افـريقـيـا ، فـقـد اطلقت يده في المنطقـة حتى مـغادرته لهـا عـام ١٨٥٠م . ولـهذا اسـتـقبل عندما عـاد الى بـلاده اسـتقبال الابطـال الفاتحـين .

مع بدايـة عـقد التـسعينات الحالي نفض الغـرب المسـيحي يديه بعد ان اهـال التراب على جيـفـة الشـيـوعـيـة النتنه ، وانهـيـار الشـيـوعـيـة كـان الدليل العـمـلي على فـسـادها وخطـرها ، وقـد كـان المسلمون من الذين لم تغـوهم الافـكار الهـدامـه الغـازيه على قناعـة بان الشـيـوعـيـة سـتـصـيـر الى مـا آلت اليـه ، لكن والحق يقـال ان الغـرب الراسمـالي لعب دورا اسـاسيا في الاسـراع بهـا الى حتفـها ، وقـد اسـتخدم في حربه ضـدهـا اسـلحة مـتنوعـة ومـتطوره .. عـسـكرية وثـقـافـيـة وسـيـاسـيـة وإعـلامـيـة ، وجند لهـا اجـهـزة هـدم وتدمـيـر متخصـصة عملت داخـل وخـارج الاتحـاد السـوفيتي موطـن الشـيـوعية .

كان الصـراع بين الراسمالية المسيحية والشيوعية صراعا عقديا من اجل السيطرة على العالم ، لان العقيدة في رأينا وليس الصراع الطبقي كما تدعى الشيوعية ، ولا الاقتصاد كما يزعم الغرب الرأسمالي ، هي التي توجه نشاط البشر ، حتى في المناطق والحضارات التي لم تصلها الديانات السماوية .

الشيوعية كما نعلم نشطت بعد الحرب العالمية الأولى وصادف ذلك انهيار دولة الخلافة الاسلامية وضعف وتفكك المسلمين ، وبلغت ذروتها بعد الحرب العاملية الثانية . فتوافق ذلك مع الفترة التي عرفت بحقبة التحرر من الاستعمار .

ولما كان المستعمر هو الغرب المسيحي لم تجد الشعوب الساعية للتجرر والخارجة من تحت وطأة المستعمر ملجأ تلوذ به فوقعت في مصيدة الشيوعية . ولو كان المسلمون اقوياء في ذلك الوقت لغيروا مسار التاريخ ولقدموا خدمة جليلة للاسلام والبشرية .

الغرب المسيحي الذي تمكن من اسقاط الامبراطورية العثمانية حاملة لواء الخلافة الاسلامية في ذلك الوقت وبعد وقوع معظم - أن لم يكن جميع بلاد المسلمين تحت قبضته ، اعتقد ان الشيوعية كقوة توسعية اصبحت العدو الوحيد الذي يهدد طموحاته ويعوق سيطرته على العالم فكثف جهده في محاربتها .

بعد اسقاط الخلافة وانهيار الشيوعية ظن الغرب المسيحي انه انتصر وخلت له الساحة ، لكنه التفت فوجد قوة اخرى كانت كامنه بدأت تطل برأسها ، وجد الاسلام الذي توهم ان صنائع الغرب من ابناء المسلمين الذين رباهم دعاة علمانية في كنفه قد نجحوا في محاصرته داخل المساجد وفي اداء الشعائر والمعاملات الاجتماعية عاد ينبعث من جديد . صحوة اسلامية دافقة ، يستلهمه المسلمون منهج حياة ويعملون لفرضه دستور حكم . ينشطون في تبليغه للعالم فتهفو اليه النفوس والقلوب المتعطشة لهدى الله تعتنقه وتبشر به .

لذلك هرع الغرب المسيحي وحول جميع اسلحته التي كانت مستخدمة ضد الشيوعية لتكثيف الدمار والحرب ضد الاسلام بالتصدي للمد الاسلامي في مختلف انحاء العالم ومهاجمة الاسلام في موطنه ، فهو يدرك تماما ومن تجارب سابقة ماذا تعني

الصحوة الاسلامية .

فحرب الغرب المسيحي ودسائس الكنيسة ومحاولاتها اختراق العالم الاسلامي ، واحتواء انتشار العقيده والحضاره الاسلامية ليست جديده ولم يخمد لها اوار حتى في غمرة معاركهم ضد الشيوعية ، والاسلام عقيدة ومنهج حياة ممثل في مؤسساته الثقافية والإجتماعية والإقتصادية والسياسية وفي قيمه الاخلاقية ورؤيته للعالم ، وماالديه من مفهوم متكامل لتنظيم علاقات وحياة البشر يمثل التحدي الحقيقي امام المسيحية الغربية التوسعية بل هو الذي يجهض حلمهم التاريخي للسيطرة على العالم ، والحرب التي يشنونها على الاسلام والمسلمين حالياً تشمل الى جانب مظهرها المادي الخارجي هجمة شرسة للتشكيك في عقيدة المسلم ومؤسساته وقيمه الاسلامية .لتفريغها من مضامينها . وفي نفس الوقت تجهيل ابناء المسلمين بماضيهم ، حتى لا تكون لديهم مرجعية تاريخية يستقون منها ، وحقنهم بثقافة بديلة تعيد تربيتهم وصياغة توجهاتهم .

الاموال التي كانت ترصد والمؤسسات التي كانت ناشطة في اثارة الفتنه والاضطرابات ضد الشيوعية صارت توظف حاليا في عمل تخريبي جديد في بلاد الاسلام ، وضد الصحوة الاسلامية وفي حقل التنصير خاصة في افريقيا .

ليس بخاف على احد ان المسلمين في افريقيا اليوم كما هم في كثير غيرها من قارات العالم لا يملكون قرارهم الاقتصادي ولايملكون قرارهم السياسي - مأكلهم وملبسهم وعلاجهم سلاح في يد الغرب المسيحي وفي يد مؤسساته التي تقدم نفسها في ثوب خبراء تنمية ومنظمات اغاثة . سلاح يستخدم ضد كل بلد تخول له نفسه طرد او الحد من نشاط المنظمات التنصيرية التي اصبحت تتدخل ابتداء من الشئون السياسية وحتى الشئون المنزلية الصرفه .

بلغ الامر بالحكام المسلمين في الدول الافريقية الى الاحجام عن اقامة شرع الله حتى لا يتهمهم الغرب المسيحي بالتطرف والرجعية بعد ان اصبح المسلم الذي يدعو أو يعمل للحكم بما شرع الله يتهم حتى في البلاد الاسلامية شمال حزام المواجهة بممارسة

الارهاب والتطرف والتخريب .

في افريقيا كما في غيرها من قارات العالم ينتشر الاسلام حاليا بالدفع الذاتي . ذلك ان الجهود التي يبذلها المسلمون لنشر كلمة التوحيد في افريقيا ، وتصحيح عقيدة الغالبية العظمى المسلمة بالفطرة تعتبر اذا ماقورنت بالنشاط المحموم الذي تقوم به الكنيسة ضئيلة جدا فحتى الان يتولى هذا العمل افراد ومنظمات غير حكومية تعد على اصابع اليد الواحده وتتهيب الحكومات الاشتراك فيه حتى لا تتهم بالتطرف .

والاموال الاسلامية المستثمرة في هذا الميدان متواضعة اذا ماقورنت بالميزانيات الضخمة التي ترصدها الكنيسة والدول الغربية لتنصير افريقيا .

وفي الوقت الذي نجد ان (الانجيل) يترجم الى ٦٥٢ لغة ولهجة لم تترجم معاني القرآن حتى بداية عام ١٩٩١م الا لسبع لغات افريقية فقط ولا توجد سوى اذاعة اسلامية واحده في افريقيا متخصصة في الدعوه .

لو اراد الله تعالى نشر هذا الاسلام بالدفع الذاتي لقال له كن فيكون (إنما أمره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون) سورة يس اية ٨٢ - لكن الله جلت قدرته ولحكمة يعلمها اراد ان ينهض الانسان بعبء هذه المهمة ، وقد قال في محكم التنزيل (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا) اية ٧٢ الاحزاب .

الحكومات الاسلامية الا من رحم ربي تضن باستثمار اموالها في نشر كلمة الحق . وكأن ذلك ليس احد مسئوليات الحكومة في بلاد الاسلام كما انها تتحرج من ان توصف بانها حكومة اسلامية وتفضل ان تتصف بصفة الديمقراطية او القومية .

بعض علماء المسلمين يمالئون النصارى ويقيمون العلاقات الفكرية والثقافية مع القسس والرهبان من خلال ما يسمى بـ (جمعيات التسامح الديني) و (التعايش بين الاديان) .

اي اديان هذه التي يريدون للاسلام ان يتسامح معها والله سبحانه وتعالى يقول : (ومن يتبع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين) الآية ٨٥ سورة آل عمران

المصادر والمراجع

المراجع العربية

١. العالم الاسلامي ومحاولات السيطرة عليه - محمود شاكر - بيروت ١٩٨٤م .
٢. الاقليات المسلمة في افريقيا/سيد عبدالمجيد بكر - سلسلة رابطة العالم الاسلامي الشهرية (دعوة الحق) مكة المكرمة يونيو ١٩٨٥م .
٣. مشكلة جنوب السودان (الطبعة الاولى) - د. مدثر عبدالرحيم - الدار السودانية ١٩٧٠م .
٤. حقائق ووثائق (الطبعة الاولى) د . عبدالودود شلبي ـ جدة ١٩٨٩م .
٥. تاريخ كشف افريقيا (الطبعة الثانية) د . شوقي الجمل - مكتبة الانجلو المصرية ١٩٨٠م .
٦. تاريخ السودان الحديث (الطبعة الثالثة) ضرار صالح ضرار - دار مكتبة الحياة - بيروت ١٩٦٨م .
٧. دول الاسلام وحضارته في افريقيا (الطبعة الاولى) د . عبدالرحمن عبدالله الشيخ - الرياض ١٩٨٣م .
٨. نهضة افريقيا - محمد عبدالعزيز اسحق - الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١م .
٩. الادارة البريطانية والحركة الوطنية في السودان - (الطبعة الاولى) - د . جعفر محمد علي بخيت ، ترجمة هنري رياض - دار الثقافة - بيروت ١٩٧٢م .
١٠. الدعوة الاسلامية في غرب افريقيا - د . حسن عيسى عبد الظاهر - منشورات جامعة الامام محمد ابن سعود الاسلامية - الرياض ١٩٨١م .
١١. المنهاج الحركي للسيرة (الجزء الثاني) - منير الغضبان - عمان ١٩٨٥م .
١٢. أرتيريا والحبشة (سلسلة مواطن الشعوب الاسلامية) محمود شاكر - بيروت ١٩٨٤م .
١٣. امبراطورية غانا الاسلامية - د . ابراهيم علي طرخان - القاهرة ١٩٧٣م .
١٤. مع حركة الاسلام في افريقيا - د . عبده بدوي - القاهرة ١٩٧٠م .
١٥. تاريخ الدول الاسلامية السودانية في غرب افريقيا - د . عبدالرحمن زكي - القاهرة ١٩٦١م .
١٦. المسلمون والاستعمار الاوربي - د. عبدالله عبدالرزاق ابراهيم - الكويت ١٩٨٩م .
١٧. دولة مالي الاسلامية - د . ابراهيم علي طرخان - القاهرة ١٩٧٣م .
١٨. توشكي - د . عبدالرحمن عبدالوهاب - دار جامعة الخرطوم للنشر - الخرطوم ١٩٧٩م .
١٩. حاضر العالم الاسلامي (الطبعة الرابعة) - ا . ي . شاتليه - تعريب / محب الدين الخطيب وساعد الباقر - جدة ١٩٨٥م .
٢٠. محمد شاكر - نيجريا - مواطن الشعوب الاسلامية ـ مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٧١م .

الصحف والدوريات

١٠ جريدة الوطن الكويتية - العدد (٤٥٥٩) بتاريخ ٣٠/١٠/١٩٨٧م ٠
٢٠ مجلة كل العرب (اسبوعية) باريس - العدد ٣٥٦ - يونيو ١٩٨٩م ٠
٣٠ مجلة مرآة افريقيا - اصدار بالفيديو - منظمة الدعوة الاسلامية - الخرطوم ١٩٩٠م ٠
٤٠ صحيفة الاهالى - القاهرة - ٧/٩/١٩٨٩م ٠
٥٠ International Herald Tribune . June 14.1990 .
٦٠ newsweek Magazine, June 25 . 1990 .
٧٠ The Times . June 16 . 1990 .
٨٠ جريدة المسلمون - لندن - العدد ٢١٤ بتاريخ ١٦/٣/١٩٨٩م ٠
٩٠ مجلة المجتمع الكويتية - العدد ١٥/ رمضان ١٤٠٢هـ ٠
١٠٠ جريدة الشعب - مصر - العدد ٥٤٢ ابريل ١٩٩٠م ٠
١١٠ جريدة اخبار العالم الاسلامى (اسبوعية) تصدرها رابطة العالم الاسلامى - مكة المكرمة - العدد ١١٦٧ ٠
١٢٠ وكالة الانباء الاسلامية (اينا) ٠
١٣٠ وكالة الانباء القطرية (ق . ن . أ) ٠
١٤٠ وكالة الصحافة الفرنسية (أ . ف . ب) ٠
١٥٠ وكالة رويتر البريطانية (رويتر) ٠

المراجع الاجنبيـة

1- *Alan Moorehead , The white Nile , Newyork ,1960 .*

2- *Dr. Sultan Bin Mohd. el-Gasimi. The Myth of Arabian Biracy in the Gulf .*

3 - *Dr. Hassan Makki , Sudan , Christian Design , (The Islamic Foundation) London 1989 .*

4 - *A . B . Theobald , The Mahadiya . London , 1951 .*

5 - *Hinde , Sidney Langford , The Fall of the Congo Arabs . London , 1897.*

6 - *The Gospel and Islam : 1976 Editted By Don M. Mccurry .*

7 - *Melwal , Bona : People and Power in Sudan , the Struggle for National stabilty .*

الفهـرس

الفصل الخامس

الفصل السادس